



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

- أبي - تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث ل.م.د. (L.M.D.)

تخصص: التاريخ الوسيط للمغرب الإسلامي

وأثرها الاجتماعي بالمغرب الأوسط

الفقهاء

ق 8-10هـ/14-16م

إشراف الدكتورة:

إعداد الطالب:

مطهر

مشراوي ابراهيم

اللقب والاسم	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د.بن داود نصر الدين	أستاذ التعليم العالي	تلمسان	رئيسا
د.ة. مطهري فطيمة	أستاذة محاضرة (أ)	تلمسان	مشرفا ومقررا
د.ة. بكاي هوراية	أستاذة محاضرة (أ)	تلمسان	عضوا

عضوا		أستاذ التعليم العالي	أ.د. مغراوي مصطفى
عضوا	نيارت	أستاذة محاضرة (أ)	د.ة الطيب بوجمة نعيمة
عضوا	سعيدة	أستاذ محاضر (أ)	د. بوحسون عبد القادر

السنة الجامعية

1441-1442هـ/2020-2021م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وَمَا كَانَ أَلَمٌ مِّنْهُنَّ لِيَنفِرُوا كَأَنَّ

فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ

لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا

رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»

## شكر و عرفان

الحمد والشكر لله أولا وآخرا على أن وفقني لإتمام هذا العمل.

أتقدم بجزيل شكري وخالص امتناني، إلى أستاذي وموجهي

خلال هذه الرحلة الـ الدكتورة مطهري فطيمة؛ الذي رعت هذا

العمل حيث لم أبخل بإيضاح ما أشكل علي. وسهلت لي كل صعب،

وشجعت ووجهني في كل مراحلها فلها كل الشكر والتقدير.

أتقدم بالشكر لكل من ساعدني من قريب أو بعيد على إتمام

هذه المذكرة، وإلى كل أساتذة قسم التاريخ الذين منحونا من وقتهم،

وقاسمونا معارفهم وشجعونا ونصحونا وأخص منهم بالذكر الأستاذ

بن داود نصر، والأستاذ وهراني قدور، والأستاذة بكاي هوارية  
والأستاذ محمد بوشقيف فلهم جزيل الشكر وكامل التقدير.

كما لا أنسى شكري لأعضاء لجنة المناقشة على قبولهم

هذه المذكرة، وعلى توجيهاتهم وتصويباتهم فلهم مني جزيل  
الشكر...

ابراهيم مشراوي

# إهداء

إلى روح والدي الكريمين برا وإحسانا

إلى زوجتي التي صبرت علي كثيرا ودعمتني

إلى أولادي الذين أخذت من وقتهم الكثير.

إلى كل الأصدقاء الذين جمعني بهم طلب العلم والتحصيل.

إلى كل من حملتهم ذاكرتي ولم تحملهم مذكرتي ...

أهدي هذا العمل...

ابراهيم مشراوي

شهد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني تطورا فكريا وحركة علمية نشيطة، كان من بين مظاهرها بروز العديد من الأعلام الذين تعدت شهرتهم البلاد بسبب نبوغهم المعرفي وكثرة مؤلفاتهم في مختلف العلوم، خاصة منها ما تعلق بالفقه المالكي، اقد كان الراعي لهذه الحركة العلمية هم سلاطين بني عبد الواد الذين أعادوا للفقه المالكي مكانته متخذين منه مذهب الدولة الرسمي، وأصبح للفقهاء مكانتهم وكلمتهم في جميع ما يجري في أوساط المجتمع.

وإلى جانب الفقه برز تيار التصوف على الساحة الفكرية والاجتماعية، حيث تبناه العديد من العلماء متخذين من منهجه سلوكا عمليا في حياتهم اليومية ومع مرور الوقت كان التصوف قد توسع ووصل إلى أوساط العامة من مختلف شرائح المجتمع، حيث عرف سلوكيات وممارسات جديدة بينما كان الفقهاء ينظرون إلى أن تطبيق الأحكام الشرعية الغاية من الدين ( علم الشريعة)، كان المتصوفة ينظرون إلى غاية أخرى للدين وهي المعاني الباطنة لتلك الأحكام أي إلى حقيقتها (علم الحقيقة).

وفي هذا السياق يأتي موضوع هذه الدراسة الموسوم بـ " علاقة الفقهاء

المتصوفة وأثرها الاجتماعي، المغرب الأوسط ق 8-10هـ/14-16م " .

أهمية الدراسة:

---

تكمُن أهمية هذه الدراسة ، محاولتنا رصد ورسم ملامح ومعالَم طبيعة العلاقة التي ربطت الفقهاء بالمتصوفة في تلك الفترة الزمنية الهامة من جهة، ثم نتبع واستقرأ تداعياتها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة؛ السلبية والإيجابية المستوى الاجتماعي.

### أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الاطلاع الدور الإجماع الذي لعبه كل من الفقهاء والمتصوفة، ومعرفة إسهامات كلا الفريقين في مجتمعهم وإبراز أهم أعمالهم الفكرية.

### أسباب اختيار الموضوع:

أما أسباب اختيارنا لهذه الدراسة فمنها ما هو موضوعي ومنها ما هو ذاتي.

### الأسباب الموضوعية:

أما الدوافع الموضوعية فقد لاحظنا قلة الدراسات التي تناولت موضوع التصوف في العهد الزياني مقارنة بباقي المواضيع السياسية والعسكرية و ،  
ختار هذا



الموضوع من بين المواضيع الأخرى وأردنا من خلاله التعرف على تلك العلاقة بين أصحاب الفقه ورجال التصوف، ومعرفة ما إذا كان يعترها توتر أو خلافات، والوقوف على تداعيات ذلك على الجانب الاجتماعي.

### الأسباب الذاتية:

تمثلت الأسباب الذاتية لاختيارنا لهذه الدراسة في رغبتنا الخوض في حقل التصوف لمعرفة ما كان يواجهه من تحديات عند بداية بروزه في الدولة الزيانية هذا من جهة ومن جهة ثانية محاولتنا التعريف بمكانة التصوف والمتصوفة العلمية والاطلاع مساهماتهم وحضورهم في المجتمع الزياني.

### إشكالية الدراسة:

ومن هنا تتحدد إشكالية موضوعنا الرئيسية حول: طبيعة العلاقة التي جمعت بين الفقهاء والمتصوفة في العهد الزياني بين القرنين 14/810-16م، وانعكاساتها ومدى تأثيرها على المجتمع الزياني في الفترة المدروسة.

وتثير هذه الإشكالية بدورها جملة من التساؤلات منها:

- فيما تجلت إسهامات الفقهاء والمتصوفة على الصعيدين الثقافي

والاجتماعي؟

- مظاهر العلاقة التي جمعت بين الفقهاء والمتصوفة؛ هل كانت علاقة

تقارب وتوافق؟ أم كانت علاقة اختلاف وتنافر؟

– هل وصل الاختلاف حد الصراع والتصادم؟ و مدى تأثيراته على الجانب الإجتماعي؟

– مناهج الدراسة:

– وبغرض الإجابة عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة اعتمدنا جملة من المناهج، كان أبرزها الـ التاريخي التحليلي الذي يعتمد على جمع ورصد المعلومات وعرض الأحداث وترتيبها بالتقصي ومتابعة المحطات التاريخية وربطها زمانا ومكانا، مع تحليل مختلف القضايا والمواقف وربط بعضها ببعض للوصول إلى الحقائق التاريخية.

– والـ الوصفي التحليلي، وذلك حسب توفر المادة العلمية في مظانها بغرض الاستقراء والوصف والنقد، نون الإستغناء عن التحليل والتفسير في كثير من المواضع التي تتطلب ذلك.

– اعتمدنا أيضا على الـ المقارن الذي لا يفتي بالتاريخ السردي الوصفي، بل يستلزم وجود عدة قضايا مشتركة ومختلفة بين الأطراف المقارن بينها، فطريقة المقارن جيب على التساؤل لماذا حدث؟ أما الطريقة الوصفي التحليلي جيب على التساؤل كيف حدث؟؟ وقد اعتمدناه للمقارنة بين سلوكيات الفقهاء والمتصوفة، وأثرهم في

المجتمع الزياني... استخدمنا الإحصائي الكمي في بعض العناصر لإحصاء ووجد أهم أعمال الفقهاء والمتصوفة وإنتاجهم الفكري.

#### – خطة وهيكل الدراسة:

– وكان عمنا هذا مبنيا وفق خطة مكونة من مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول، و ، وأرفقنا هذه الدراسة بمجموعة من الملاحق لإثراء الموضوع.

– في الفصل التمهيدي والموسوم بـ " التعريف بالدولة الزيانية – حدودها – مراحلها وسكانها" خصصناه للوقوف على حدود المغرب الأوسط من خلال كتب الرحالة والجغرافيين، ثم ذكرنا فيه نسب قبيل بني عبد الواد وبدايات ظهورهم السياسي، ومراحل حكمهم منذ التأسيس إلى السقوط، كما ، عناصر وبنية المجتمع الزياني ومكوناته وفئاته ومميزاته.

– وفي الفصل الأول المعنون بـ "أوضاع الفقهاء والمتصوفة في الدولة الزيانية بين القرنين 8-10هـ/14-16م" استعرضنا فيه أوضاع الفقهاء والمتصوفة في الدولة الزيانية خلال الفترة المدروسة، وتطرقنا إلى وضعية المذهب المالكي قبل وخلال العهد الزياني، وكيف كانت مكانة

---

الفقهاء الاجتماعية والعلمية وبعض تراثهم الفقهي، ثم أشرنا إلى بداية نشأة التصوف في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني وأبرز أعلامه وأهم مؤلفاتهم.

– أما الفصل الثاني فكان عنوانه "علاقة أصحاب الفقه برجال التصوف خلال العهد الزياني خلال القرنين 8-10/14-16م" خصصناه تلك العلاقة التي جمعت بين أصحاب الفقه برجال التصوف، مركزين أولاً علاقة الفقهاء بعضهم ببعض ثقافياً واجتماعياً وسياسياً، ثم ذكرنا علاقتهم بالمتصوفة وقسمناها إلى مظاهر توصل ومظاهر قطيعة ونفور.

– وكان الفصل الأخير تحت عنوان "نتائج علاقة الفقهاء بالمتصوفة على الصعيد الاجتماعي" درسنا تلك العلاقة بين الفئتين حيث جزأنا إلى جزأين، ذكرنا في الأول النتائج الإيجابية، والثاني النتائج السلبية.

– وختمنا عملنا بخاتمة احتوت على مجموعة من النتائج هي خلاصة ما توصلنا إليه، محاولين الإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة.

– وعززنا بحثنا ببعض الملاحق المتمثلة في بعض الرسائل، ونماذج عن الإجازات العلمية وإجازات في التصوف. وكذا بعض الجداول

---

والرسومات البيانية لتمثيل وتجسيد لأبرز الفقهاء والمتصوفة؛ وبعض مؤلفاتهم وإنتاجهم الفكري والعلمي.

### الدراسات السابقة:

لدراسة هذا الموضوع كان لزاما علينا الاطلاع على جل الدراسات التي تناولت موضوع العلاقة التي كانت تجمع بين الفقهاء والمتصوفة في المغرب الأوسط على عهد الزيانيين وأثر ذلك على المجتمع، وذلك ليسهل علينا الإحاطة بجميع جوانبه؛ ثم الاستفادة منها في كيفية التعامل مع مصادره.

- ومن أبرز الدراسات الحديثة التي استعنا بها في بحثنا هذا؛ المقال الذي أعده بوداود عبيد والمعنون بـ : " قراءة في العلاقة بين صوفية وفقهاء المغرب الأوسط ما بين القرنين 7 و9 الهجريين/ 13-15م" حيث تعرض فيه إلى تنوع العلاقة بينهم وتعددتها مع مختلف شرائح المجتمع، كما تطرق للظروف التي تحكمت في تلك العلاقة سلبا وإيجابا.

- ومنها مقال هوارية بكاي بعنوان: "العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة في المغرب الأوسط الزياني بين التعايش والتصادم" حيث تعرضت فيه إلى طبيعة العلاقة بينهما وتتبعتها عبر مختلف مراحل تطور



---

الدولة الزيانية وتعرضت لأبرز فقهاء ومتصوفة تلك الفترة مع ذكر مؤلفاتهم في الفقه والتصوف.

– ومنها أيضا المقال الذي أعدته ، بعنوان: " دور السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط" وهي عبارة عن رؤية تاريخية عن دور كل من المتصوفة

والفقهاء الإجتماعي من خلال عرض الدور الذي لعبوه في تخفيف المعانات والشدة التي كان يعاني منها أفراد مجتمعهم.

– وكذلك الدراسة التي أعدها مصطفى باحو بعنوان: " علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم" وهي دراسة تبرز العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة من جهة وأثرها على المجتمع من أخرى.

دراسة وعرض لأهم المصادر والمراجع:

وكانت مصادرنا لهذا البحث متنوعة، فمنها المصادر التاريخية والجغرافية وكتب الرحلة والطبقات والتراجم وكتب البلدان والمسالك، وكتب الفقه والفتاوى والأحكام وكتب المناقب والكرامات وقد تفاوتت هذه المصادر في قيمتها التاريخية

والحضارية، حيث أن بعضها لها علاقة مباشرة بموضوع الدراسة وكذا من حيث قربها الزمني من الأحداث، ومن أهم هذه المصادر نذكر:

**\* - كتب التاريخ والحواليات:**

وهي في معظمها مصادر مغربية سنية وهي كثيرة ومتنوعة رغم ضياع العديد منها؛ أمدتنا بأخبار الملوك والحكام، واستفدنا منها في رصد الحياة السياسية والاجتماعية للدولة الزيانية... أهمها:

**1- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن**

عاصرهم من نوي السلطان الأكبر: لعبد الرحمن بن خلدون(808هـ/1406م):

جزئه السابع الذي تعرض فيه إلى التعريف بأصل قبيلة زناتة وذكر أهم الفروع التي تنتمي إليها وخريطة توزيعها، ونسب بني عبد الواد وبداية الدولة الزيانية.

**2- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد: ليحي بن خلدون**

(780هـ/1378م) أرخ فيه لسلطين الدولة الزيانية وتاريخها السياسي، كما ترجم في الجزء الأول منه لعدد من علماء تلمسان.

**3- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في**

بيان شرف بني زيان: لأبي محمد عبد الله بن عبد الجليل التنسي(899هـ/1494م)  
استعنا بالتراجم الموجودة في القسم الخاص بالدراسة أخذنا منه شيوخ المؤلف، كما أفادنا في التعرف على بعض الحوادث السياسية لتاريخ الدولة الزيانية.

#### 4- تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان: بن يوسف الخزرجي

المعروف ابن الأحمر (807/1404م) الذي أرخ فيه لتاريخ بني زيان لكنه يقطر تحاملا عليهم ونيلا من سلاطينهم عدا من كان منهم في خدمة بني مرين وقد أخذنا منه تاريخ بني عبد الواد عندما كانوا في بداية أمرهم داخلين في خدمة الموحيدين.

#### \* - كتب الطبقات والتراجم:

تعد كتب التراجم والطبقات سجلا حافلا للأنشطة الثقافية والدينية والعلمية كما أنها تمدنا بمعلومات قيمة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية للفترة التي تتناولها، وتبين مدى إسهامات المترجم لهم في تلك المجالات المذكورة. ومن الكتب التي اعتمدنا عليها في هذا الجانب نذكر :

#### 1- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: لأحمد بابا التتبكتي (1032/1624م)

وكذلك كتابه الثاني كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج حيث ترجم فيهما لعلماء المغرب والأندلس وبعضا من علماء المشرق.

#### 2- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن

الخطيب: لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني (1041/1631م) خصص قسما منه لتراجم بعض من علماء المغرب الأوسط، وذكر فيه بعض الأسر التي كانت تنشط في مجال التجارة بتلمسان ومن أسرة المقرئ.



3- تعريف الخلف برجال السلف: لأبي القاسم محمد الحفناوي)

1360/1941م) ترجم في كتابه هذا لحوالي أربعمئة علما من أعلام المغرب الأوسط وغيرهم.

4- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: لشمس الدين محمد بن عبد

الرحمان السخاوي(902/1498م) استخرجنا منه بعض تراجم الصلحاء والعلماء المغاربة الذين ضمهم كتابه.

5- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبي العباس شمس الدين أحمد

بن محمد بن خلكان (681/1283م) ترجم فيه لكل من له شهرة ويقع السؤال عنه مرتبين على حروف المعجم، ورغم أن تاريخ تأليفه يسبق الفترة التي ندرسها إلا أننا استعنا به في تراجم بعض الشخصيات التي جاء ذكرها في سير أحداث هذه الرسالة

\* - كتب المناقب والكرامات:

يعتبر هذا النوع من الكتابات المصدر الأساس للتعرف على واقع التدين عند

أهل المغرب الأوسط، لأنها تترجم وتؤرخ للأشخاص المشهورين من الصوفية

والفقهاء حيث كان الغرض منها ذكر فضائلهم والتعرض لكرامات الصوفية

ومكانتهم الدينية والاجتماعية. فمن الكتب التي استعنا بها في هذه الدراسة نذكر:

1- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: لأبي عبد الله محمد

المليتي المعروف بابن مريم التلمساني (كان حيا 1025/1611م) أفادنا كثيرا في

---

تراجم أولياء وعلماء تلمسان والتعرف على كرامات المتصوفة وطريقة عيشهم وذكر بعض العلاقات التي كانت بينهم.

## 2- روضة النسرین فی التعریف بالأشیاخ الأربعة المتأخرین: ويعرف

أيضا بروضة النسرین فی مناقب الأربعة الصالحین لمحمد بن سعد الأنصاري التلمساني (901هـ/1499م) ترجم فيه لأربعة أولياء من المغرب الأوسط حسب تواريخ وفياتهم/ وهم على التوالي الشيخ محمد بن عمر الهواري، والشيخ الحسن أبركان والشيخ ابراهيم التازي والشيخ أحمد الغماري، عدد فيه مناقبهم ونبذًا من حياتهم الصوفية وطريقة عيشهم ولباسهم.

## 3- النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب: نفس المؤلف (ابن

سعد التلمساني)، وهو من أقدم الكتب التي ترجمت لصوفية المغرب الأوسط، وقد أفادنا في نقله لكم هائل من الكرامات وخوارق العادات التي كانت سائدة ومسيطرة على ذهنية المجتمع في تلك الفترة، وكذلك مسألة اللجوء إلى الأولياء للعلاج وقضاء الحاجات.

## 4- المناقب المرزوقية: لأبي عبد الله محمد بن مرزوق

التلمساني (781هـ/1379م) ترجم فيه لعدد من أسرة المرزوقية وكامل أحوالهم وذكر ما كان يقع، مجالس الصوفية من مذكرات في

المقامات والأحوال وختم كتابه هذا بترجمته لنفسه وذكر شيوخه  
ومن لقيه من الأولياء وزهدهم وصلاتهم.

#### 5- مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار: لموسى بن

عيسى المازوني ترجم فيه لعدد من أولياء المغرب الأوسط وذكر قصصا من  
حياتهم وكراماتهم وتعاملهم مع السلطان وخوارق عاداتهم.

#### \* - كتب النوازل والفتاوى:

تكمُن أهمية هذا النوع من الكتب في ما تحتويه من معلومات غزيرة عن  
الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وكذا ما تحمله من فتاوى وردود وإجابات  
عن أسئلة مختلفة كان مجتمع المغرب الأوسط يطرحها، وقد أفادتنا هذه الكتب في  
معرفة مواقف الفقهاء من عديد الممارسات التي كان صوفية المغرب الأوسط  
يمارسونها. ولعل أهم المصنفات في هذا المجال:

#### 1- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس

والمغرب: لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (914هـ/1508م) وهو بالإضافة إلى  
كونه كتابا نقل فيه صاحبه فتاوى السابقين والمعاصرين له، فإنه يعد مادة إجتماعية  
وتاريخية هامة للباحث في مواضيع العصر الوسيط حيث يعثر فيه على العادات  
والتقاليد وطريقة عيش الناس والتعرف على ذهنياتهم وجميع ما كان سائدا من

معاملات في تلك الفترة، وقد افدنا منه الكثير من الممارسات الصوفية وإنكار الفقهاء ، وطريقة عيش المتصوفة في المأكل والملبس وجميع حياتهم اليومية.

2- الدرر المكنونة في نوازل مازونة: ليحي بن عيس المازوني

(1478/883م) ورغم أن عنوانه يدل على أنه مخصص لفتاوى أهل مازونة إلا أنه

فتاوى أهل بجاية وتلمسان، وقد أفادنا في نقله لبعض المسائل المتعلقة

بمعاملة السلاطين لفئة المتصوفة وعنايتهم بأبنائهم.

### \*كتب الرحالة والجغرافيين:

وهي من المصادر الهامة التي تعد مادة أساسية لاستقاء العديد من المعطيات

التاريخية، فمن طريقها استطعنا رسم صورة عن الحياة التي كان المتصوفة

يعيشونها، وكذلك معرفة مكانة الفقهاء لدى سلاطين بني زيان. فكان من بينها الكتب

التالية:

1- وصف إفريقيًا: للحسن الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي

(1552/957م) فيه لوصف لجميع المن والأقاليم التي زارها ومنها تلمسان وبعض

مدن المغرب الأوسط، حيث نقل إلينا وصفا لفئات السكان وطبقاتهم وروايتهم،

وأشار أيضا إلى بعض المتصوفة الذين صادفهم أثناء رحلته.

## 2- رحلة القلصادي: لأبي علي الحسن بن محمد القلصادي (891هـ/1486م)

تعرض في ثنايا كتابه إلى الشيوخ الذين تتلمذ عليهم أثناء إقامته بالمغرب الأوسط، منهم قاسم بن سعيد العقباني.

## 3- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: لأبي عبد الله الشريف الإدريسي

(548هـ/1154م) وصف لبعض مدن المغرب الأوسط ومنها تلمسان، حيث وصف فيها أنواع الحرف وأنواع المحاصيل والإنتاج.

## 4- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب: عبيد

الله البكري (487هـ/1094م) استعنا به في رسم حدود المغرب الأوسط على اعتبار أنه أول من ذكر هذا المصطلح عندما قسم المغرب إلى ثلاثة مناطق، كما استعنا به في التعريف ببعض المدن والأقاليم.

وتكلمة لما أوردته المصادر حول الموضوع، استعنا بمجموعة من المراجع والمقالات والدراسات الحديثة المنشورة وغير المنشورة المتخصصة في تاريخ حضارة تلمسان الزيانية ومنها:

## 1- كتاب تلمسان في العهد الزياني. ج:1، لعبد العزيز فيلالي، حيث

اعتمدنا عليه في معرفة أصل قبيل بني زيان وكيفية انتقالهم من صحراء المغرب الأوسط إلى غربيه.



---

2- كتاب تاريخ الدولة الزيانية لمختار حساني، وهو حدث

السياسية والثقافية التي كانت في العهد الزياني، حيث أطلعنا هذا الأخير على المكانة العلمية لكل من ابن زكري والسنوسي، وعن الاختلاف الذي حصل بينهما.

3- وكتاب التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين 12 و13

الميلاديين لطاهر بونابي الذي ساعدنا على معرفة أقسام التصوف، ودور متصوفة المغرب الأوسط في الحياة الثقافية والاجتماعية.

4- وكتاب أعلام التصوف في الجزائر عبد المنعم القاسمي الحسني، وهو

عبارة عن معجم لأغلب رجال التصوف في المغرب الأوسط، مع ذكر تلاميذهم وشيوخهم وأهم أعمالهم.

5- وكتاب تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، لأبي القاسم سعد الله، وهو

عبارة عن حوصلة شاملة لتراث القرن التاسع الهجري، حيث تطرق فيه إلى حالة التصوف خلال هذا القرن وذكر بعض الممارسات الصوفية التي استهجنتها الفقهاء..

6- وكتاب الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي لألفريد بل، والذي أفادنا

في تطور حركة التصوف في الشمال الإفريقي عموما وكذا أثر التصوف في الدراسات الفقهية والدينية.

7- وكتاب الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء والأولياء الجامع بين

الشريعة والحقيقة لمحمد إدريس طيب، الذي أطلعنا على النزاع الذي

حدث بين مدرسة الفقهاء التي كان زعيمها أبو عبد الله بن مرزوق،

ومدرسة المتصوفة التي تزعمها قاسم بن سعيد العقباني، وما كان

بينهم من فتاوى وردود حول تلك المسألة.

8- وكتاب جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية

في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغربي

للوشرسي لكمال السيد أبو مصطفى، حيث تعرض فيه لذكر بعض

الفئات والطوائف في المغرب الإسلامي ووضعها الاجتماعي، منها،

الأشراف الذين كانوا يحظون بمكانة خاصة، وكيف كانت نظرة كل

من الفقهاء والمتصوفة لهم.

9- وكتاب الامام بن يوسف السنوسي وعلم التوحيد جمال الدين بوقلي

حسن، الذي نقل عثرنا في ملحق كتابه على الرسالة التي بعث بها أبو

الحسن الزرويلي إلى فقهاء تلمسان ينتقد فيها ممارسات فقهاء الصوفية " وما

كانوا يفعلونه من أمور كان المتصوفة يرون صحتها، وهو الأمر الذي

أثار حفيظة الفقهاء وتصدوا لها بالرد.

هذا بالإضافة إلى بعض الرسائل العلمية من بينها:

1- بيوتات العلم بتلمسان من القرن 13/هـ إلى القرن 16/هـ م

لنصر الدين بن داود.

2- العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك عبد الرحمن بالأعرج

3- عبد الرحمن الأخضرى رائد التصوف السلفى في الجزائر خلال العهد

العثماني (مجلة الآداب والعلوم الإنسانية)

4- الحياة العقلية في الفلسفة والكلام والتصوف (مجلة الأصالة)

عمار الطالبي.

5- ظهور السلفية في الجزائر (دراسات مغاربية) المهدي البوعبدلي.

6- أهم الأحداث الفكرية بتلمسان (مجلة الأصالة) المهدي البوعبدلي.

7- قراءة في العلاقة بين صوفية وفقهاء المغرب الأوسط ما بين

القرنين 7 و9 الهجريين/13-15م (مجلة عصور الجديدة) بوداود عبيد.

8- الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السلطة الزيانية بها

(8-10هـ) (مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية) هادي جلول.

9- التصوف في بلاد المغرب، مشترك موروث بين مختلف أقطاره، له

امتداده على كامل البحيرة المتوسطية. (نشر في جريدة الشروق

التونسية) لطفي عيسى وغيرها من المراجع التي ساعدتنا على إنجاز

هذه الدراسة.



\*المعاجم والقواميس والموسوعات:

وهي متعددة وقد استفدنا منها في تعريف الكثير من الأعلام وتحديد العديد من الأماكن والبلدان وشرح الغامض من المصطلحات.

ت الاستعانة ببعض المراجع الأجنبية نذكر منها:

- 1- *LEVI PROVENCAL :Religion culte des saints et confréries dans le nord marocain.*
- 2- Marcel Bodin, « Note sur Sidi M'hammed Ben- Chaa: Patron des Ben - Zeroual d'Algérie », in société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran.

حيث استعنا بهاذين الكتابين في التعرف على معتقدات سكان المغرب وعاداتهم وطقوسهم، وبعض معتقداتهم؛ عنقادهم في شخصية الولي في علاج المرضى ودفع الشرور وجلب المنافع وغيرها...

- 3- Dhina (A) : les Etats de l'occident Musulmans au 13,14 et 15<sup>ème</sup> siècle.
- 4- Dhina (A) : Le royaume abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1<sup>er</sup> et d'Abou Tachfin 1<sup>er</sup> .

تعرض دهينة في كتابه هذا إلى تاريخ الدولة الزيانية في عهد السلطان أبي حمو موسى الأول وابنه أبي تاشفين الأول، وقد أفادنا هذا الكتاب في الاطلاع على عناية السلاطين بالعلماء والمكانة التي كانوا يحظون بها؛ مثلما حصل مع العالمان

---

ابني الامام وما لقيه من حفاوة وتبجيل من طرف السلطان أبي حمو موسى الأول  
وابنه أبي تاشفين الأول.

وقد حاولنا قدر الإمكان الإفادة من المصادر والمراجع التي استخدمناها في  
هذه الدراسة لتحديد طبيعة العلاقات التي كانت بين الفقهاء والمتصوفة واستخلاص  
ما نتج عنها من نتائج إجتماعية حسب ما توفر عندنا من مادة علمية.

### صعوبات الدراسة:

أما صعوبات البحث فقد صادفنا البعض منها، فحاولنا  
تجاوزها حتى تخرج هذه الدراسة بصورتها الحالية، وأهم هذه  
الصعوبات:

صعوبة التمييز بين شخصية الفقيه من شخصية الصوفي في تلك الفترة التي كان  
أغلب الفقهاء فيها من المتصوفة، فكثيرا ما كانت المصادر التي تترجم لأحد الأعلام  
على أنه من الفقهاء تصفه بعبارات تدل على أنه من أهل التصوف، منها عبارات:  
الزاهد الورع؛ من كبار الزهاد؛ كان من الصلحاء... وغيرها مما صعب علينا  
التمييز بين الفقيه والمتصوف، وبما أن الموضوع قد تناول العديد من الأعلام  
والأماكن فقد تحتم علينا تعريف الكثير منهم وهو أمر يعرف صعوبته كل باحث  
حيث فرض علينا ذلك اللجوء إلى الكثير من المصادر الجغرافية وقواميس الأعلام

---

للقيام بذلك، كما أن العثور على مادة علمية تغطي متطلبات الفصل الأخير والمتعلق  
بالنتائج الاجتماعية لعلاقة الفئتين ببعضهما كان أكبر عائق أمامنا، لكن عزيمتنا على  
إتمام ما بدأناه كانت أقوى وذلك بفضل استشارة وتوجيه وتشجيع الأستاذة المشرفة  
مطهري فطيمة فلها كل الشكر والتقدير والاحترام.

وفي الأخير نرجو أن نكون بهذا العمل قد قدمنا إضافة علمية لموضوع تعايش  
الفقهاء والمتصوفة خلال العهد الزياني، ولا بد من الإشارة إلى أن هذا العمل  
كالمكلف لا يسلم من المؤاخذة ولا يرتفع عنه القلم، وأن الخوض في مثل هذه  
المواضيع لا يخل من نقص أو خلل وسوف يكون لجلسة المناقشة وتوجيهات  
الأستاذة خلالها دور في تصويب ما فاتنا فلهم جزيل الشكر مسبقا.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

تيهت : 2020/04/16 الموافق: 22 شعبان 1441هـ.

ابراهيم مشراوي

# فصل تمهيدي

## الدولة الزيانية (إطارها الجغرافي — التاريخي —

والبشري):

أولا

- 1 نسب بني عبد الواد وبداية أمرهم.
- 2 مراحل حكم الدولة الزيانية.
  - أ . التأسيس والتوسع.
  - ب . الهيمنة المرينية (737-749هـ/1352-1364م).
  - ج . الأبهة والسلطان (760-791 هـ /1358-1389م).
  - د . التبعية لبني مرين (791-795هـ/1389-1393م).
  - هـ . التبعية لبني حفص (827-890هـ/1424-1485م).
  - و . السقوط (890هـ - 923 هـ /1485م-1517م).

: :

1 - عناصر المجتمع الزياني.

2 - فئات المجتمع الزياني.

أولاً: حدود المغرب الأوسط :

قبل أن نعرف حدود المغرب الأوسط لابد لنا من التعريف أولاً ببلاد المغرب

عموماً، لأنها هي الكل الذي يدخل ضمنه المغرب الأوسط نقول بأن بلاد المغرب

ذكر ابن عذاري المراكشي " البيان المغرب" تبدأ شرقاً بصفة النيل

بالإسكندرية<sup>1</sup>، وتنتهي غربا عند مدينة سلا<sup>2</sup> بالمغرب الأقصى، وحدًا من الشمال البحري الشامي المعروف ببحر الروم<sup>3</sup>، ومن الجنوب بلاد السودان<sup>4</sup>.

وعن لفظ المغرب والزمن الذي أشير فيه إلى هذا الصقع من الأرض، فإن ابن الأثير في حوادث سنة 37هـ، عند حديثه عن الخوارج<sup>5</sup> وما كان من أمرهم، ذكر أن<sup>6</sup> رضي الله عنه قال لهم: " ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم أقتلهم بهم، ثم أنا تارككم

<sup>1</sup> الإسكندرية: مدينة بأرض مصر يقال أن الاسكندر هو الذي بناها وسماها باسمه، وهي مدينة برية بحرية لها مياي طويلة مرتفعة. ينظر: كاتب مراكشي من كتاب القرن 6 الاستبصار في عجائب الأمصار وصفة مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب. : سعد زغلول عبد الحميد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت. ص:100. أسست في القرن الرابع قبل الميلاد، وسُميت بعروس البحر الأبيض المتوسط. و مدينة الإسكندرية غرب مدينة القاهرة العاصمة المصرية

<sup>2</sup> : مدينة أزلية فيها آثار للأول بأرض المغرب، وهي معروفة بضفة الوادي، وهي متصلة بالعمائر التي أحدثتها الموحدون. ينظر: الاستبصار، المصدر، ص: 140. وهي اليوم تقع على الضفة الشمالية لنهر أبي رقراق، على اليمين من مصبه في المحيط الأطلسي، بالقرب من العاصمة المغربية الرباط.

<sup>3</sup> البحر الرومي: وهو الذي يقال له بحر الزقاق الداخل من المحيط. ينظر: أبو عبيد البكري المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. وهو جزء من كتاب المسالك والممالك. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت. ص: 102. وهو المعروف اليوم بالبحر الأبيض المتوسط.

<sup>4</sup> ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. ج:1 : يفي بروفصال، و كولان، بيروت: دار الثقافة، بدون ت، ص، ص:6 5.

<sup>5</sup> الخوارج: جمع خارج وخارجي، وهم الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه وكفروه وكفروا كل من رضي بتحكيم الحكيمين في صفين. ينظر: عبد القاهر البغدادي الفرق بين الفرق. : محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: المطبعة العصرية 1995م. ص: 73.

<sup>6</sup> علي بن أبي طالب: بن هاشم بن عبد مناف، يكنى أبا الحسن، ابن عم النبي ﷺ ورابع الخلفاء الراشدين، توفي في رمضان سنة 40 لهجرة. ينظر: ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في أسماء الأصحاب. : 3 : علي محمد الجاوي، بيروت: دار الجيل، ط: 1 1992م. ص: 1089، رقم: 1853.



وكاف عنكم حتى ألقى أهل المغرب"<sup>1</sup>، وقد كان يقصد<sup>2</sup> بالمغرب أهل الشام<sup>3</sup>، لأنهم في مسيرهم نحوها كانوا يتوجهون غربا.

يرجع ابن عذاري في البيان المغرب، زمن ظهور لفظ المغرب إلى عهد النبي ﷺ أحاديث<sup>4</sup> ذكر فيها المغرب وأهل على سبيل المدح كقوله ﷺ: " يزال أهل المغرب ظاهرين إلى أن تقوم الساعة"<sup>5</sup> وغيرها من الأحاديث التي تدل في عمومها على جهة ا غرب الذي يقابل المشرق الاسلامي.

وأما لفظ المغرب الأوسط يقصد البلاد الواقعة بين المغربيين الأدنى والأقصى وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون في تحديد إطاره الجغرافي اختلافاً على معايير متباينة فمنهم من اعتمد في تقسيمه لبلاد المغرب على المعيار السياسي، أي حدود ما وصلت إليه سلطة كل دولة من الدول التي تعاقبت على حكمه، ومنهم من اعتمد على المعيار القبلي، أي على مناطق استقرار القبائل التي كانت تقطنه، ويرجع

<sup>1</sup> عز الدين بن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ، 3: أبي الفدا عبد الله القاضي، بيروت: دار الكتب العلمية ط: 1 1987 م، ص: 219.

<sup>2</sup> ابن الأثير، المصدر نفسه، ص: 219.

<sup>3</sup> الشام: بلاد كثيرة وكور عظيمة، من مدنها فلسطين واليرموك وقنسرين وحلب وطبرية وطرابلس الشام والغور وغيرها، والشام اسم لجميع تلك الكور. ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري الروض المعطار في خبر الأقطار. : إحسان عباس، بيروت: مطابع هيدلبرغ، د.ت. ط: 2، ص: 335.

<sup>4</sup> ابن عذاري، المصدر السابق، ص، 6.

<sup>5</sup> أبو عوانة يعقوب النيسابوري الإسفراييني: مستخرج أبي عوانة، ج: 4 : ابن بن عارف الدمشقي، بيروت: دار المعرفة، ط: 1 1998 م. ص: 508.



سبب هذا الاختلاف في التقسيم إلى الصراعات التي كانت تدور في المنطقة للسيطرة والتوسع فيها حيث جعل رؤيتهم لحدوده متباينة، وقد أخذنا بأقوال بعض الجغرافيين والمؤرخين الذين عاصروا الدولة الزيانية، التي يشمل بحثنا جزءا من تاريخها أو الذين عاشوا قبيلها بفترة قليلة، بغية تحديد المجال الجغرافي أو السياسي للمغرب الأوسط فترة موضوع البحث.

أول ذكر لمصطلح المغرب الأوسط جاء في كتاب البكري(ت 487 /1094م)، عندما قسم المغرب إلى ثلاثة مناطق : إفريقية وقاعدتها القيروان<sup>1</sup> والمغرب الأوسط وقاعدته تلمسان<sup>2</sup>، والمغرب الأقصى من غرب تلمسان إلى المحيط<sup>3</sup> معتمدا في تقسيمه على المعيار القبلي، فهو حين يتحدث عن تلمسان وصفتها يختم ذلك بقوله، « وهي دار مملكة زناتة»<sup>4</sup> كما أن لفظ المغرب الأوسط ورد أيضا لدى الونشريسي صاحب المعيار في فتواه المتعلقة بيهود توات<sup>5</sup> بقوله: « أن البلاد التواتية

<sup>1</sup> القيروان: هي قاعدة البلاد الإفريقية وأم مدائنها، وأكثرها بشرا وأسرها أموالا، وأوسعها أحوالا. بنظر: الحميري المصدر السابق ص: 486. هي إحدى المدن التونسية التي تقع على بعد 160 كم من العاصمة تونس، وتعتبر ذات مكانة وأهمية كبيرة بسبب دورها البارز في الفتوحات الإسلامية.

<sup>2</sup> تلمسان: قاعدة المغرب الأوسط، وهي مدينة عظيمة قديمة، فيها آثار للأول، وهي دار مملكة زناتة. بنظر: الحميري، المصدر السابق، ص: 135. وهي عاصمة الدولة الزيانية في تلك الفترة.

<sup>3</sup> البكري، المصدر السابق، ص: 76.

<sup>4</sup> البكري، المصدر السابق، ص: 76.

<sup>5</sup> توات: وتسمى أيضا تيكورارين، وه منطقة مأهولة بالسكان يوجد به أكثر من خمسين قصرا ومائة قرية بين حدائق النخيل، تبعد حوالي ثلاثمائة ميل عن البحر المتوسط، كان بعض أثرياء اليهود يقيمون في تيكورارين فتدخل احد فقهاء تلمسان (عبد الكريم المغيلي) فأدى ذلك إلى محاربتهم وإجلاء معظمهم من طرف السكان. بنظر: الحسن

وغيرها من قصور الصحراء النائية المسامتة لتلول المغرب الأوسط<sup>1</sup> رغم أن الونشريسي عاش في أواخر القرن التاسع الهجري.

ويرى الشريف الإدريسي ( 1164م/560هـ ) الذي عاصر الحماديين، بأن حدود المغرب الأوسط تبدأ من بونة<sup>2</sup> شرقا إلى سويسريات غربا وهو بذلك يعتمد على المعيار السياسي، حيث يرى أن المغرب الأوسط هو ما كان تابعا للسلطة الحمادية، مشيرا إلى « أن<sup>3</sup> في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط و عين بلاد بني حماد» أما تلمسان فقد جعلها في بلاد البربر<sup>4</sup> ودرعة<sup>5</sup> ووهران<sup>1</sup> وتيهرت<sup>2</sup> ضمن الجزء الأول من الإقليم الثالث.

الوزان الفاسي وصف إفريقيا. ج:2، تر: محمد حجي، ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط:2، 1983م. ص: 133.

<sup>1</sup> أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب. ج:2، بإشراف: محمد حجي، الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1981م. ص: 232.

<sup>2</sup> بونة: تسمى بلد العناب لكثرة العنب بها، من بلاد إفريقية لريبة من فحص قل، وهي قديمة من بناء الأول، وهي على ساحل البحر. بنظر: الحميري، المصدر ، ص: 115. مدينة ساحلية تقع شمال شرق الجزائر على ساحل البحر الأبيض المتوسط بالقرب من وادي سييوس.

<sup>3</sup> : مدينة عظيمة بالمغرب الأوسط على ضفة البحر يضرب سورها، وهي عين بلاد بني حماد. بنظر: الحميري، المصدر السابق، ص: 81. وهي اليوم ولاية جزائرية تعد عاصمة القبائل الصغرى، اشتهرت قديما بدورها العلمي والثقافي.

<sup>4</sup> : من أعظم مدن المغرب، وهي على طرف الصحراء، بينها وبين البحر خمسة عشر مرحلة. بنظر: الحميري، المصدر ، ص: 305. مدينة إسلامية تشيد بالمغرب الإسلامي بعد مدينة القيروان وهي عاصمة أول دولة في المغرب العربي تكون مستقلة عن الخلافة الإسلامية حيث كانت عاصمة بني مدرار الصفريين.

<sup>5</sup> درعة: مدينة معروفة بوادها الكبير الذي يجري من المشرق نحو المغرب ويتبع من جبل درن، وهي تقع على فراسخ من سجلماسة ( تقيلاحت حاليا ) بنظر: الاستبصار، المصدر السابق، ص: 206.

أما الكاتب المراكشي المجهول، صاحب كتاب الاستبصار الذي عاش في القرن السادس الهجري، فقد حدد لنا المجال الجغرافي الذي يشغله المغرب الأوسط بقوله: « وفيه مدن كثيرة، وقاعدتها تلمسان، وحد المغرب الأوسط من وادي مجمع وهو في نصف الطريق بين مدينة مليانة<sup>3</sup> ومدينة تلمسان، إلى بلاد تازا<sup>4</sup> من بلاد المغرب في الطول، وفي العرض من البحر الذي على ساحلها.... إلى مدينة تنزل، وهي مدينة في أول الصحراء، وهي على الطريق إلى سجلماسة، وإلى وارجلان<sup>5</sup> وغيرها من بلاد الصحراء. »<sup>6</sup> معنى هذا أن حدود المغرب الأوسط الشرقية عند صاحب الاستبصار

<sup>1</sup> وهران: مدينة حصينة، ذات مياه سائحة، وأرجاء ماء وبساتين، بناها محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران. ينظر: البكري، المصدر السابق، ص: 70. ثاني أكبر مدن الجزائر بعد العاصمة وإحدى أهم مدن المغرب العربي، تقع في شمال غرب الجزائر على بعد 432 كيلومترا عن الجزائر العاصمة.

<sup>2</sup> محمد بن عبد الله الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مجموعة من المحققين، مج: 1، بور سعيد: الثقافة الدينية، د. ت. ص: 222.

<sup>3</sup> : مدينة في أحواز أشير من أرض المغرب، وهي مدينة رومية فيهل آثار. ينظر: الحميري، المصدر، ص: 547. بين مدينتي تنس والمسيلة، يد قرب نهر شلف.

<sup>4</sup> بلاد تازا: بها جبال عظيمة حصينة، وسكن ببلاد تازا قبائل بربرية يعرفون بغيانة، وقد بني ببلاد تازا في هذه المدة القريبة مدينة الرباط المغربية. ينظر: الاستبصار، المصدر السابق، ص: 186.

<sup>5</sup> وارجلان: وتعرف أيضا بواركلان (ورقلة) في طرف الصحراء مما يلي إفريقية وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين، بينها وبين الجريد أربعة وعشرون يوما، وأهلها بربر. ينظر: الحميري، المصدر، ص: 600. وهي اليوم ولاية جزائرية تعرف باسم ورقلة.

<sup>6</sup> مجهول، الاستبصار، المصدر، ص: 176.

تتجاوز حدود مدينة مليانة، أما حدوده الغربية فتنتهي عند بلاد تازا بالمغرب الأقصى مخرجا بتقسيمه هذا كل من مدينة بجاية و بونة و قسنطينة<sup>1</sup> من حدود المغرب الأوسط.

نجد ابن سعيد المغربي (685هـ/1286م) المعاصر للدولة

الزيانية \_\_\_\_\_ من رغم تبعيتها للحفصيين قاعدة للمغرب الأوسط، وامتد حدود هذا الأخير شرقا إلى غاية بونة التي جعلها أول سلطنة إفريقية أما تلمسان : « هي الآن قاعدة بني عبد الواد من زناتة »<sup>2</sup> غير أنه لم يشر إلى وجودها

ضمن حيز المغرب الأوسط !!.

ومن جغرافي القرن الـ نجد الحميري بقسم المغرب تقسيما سياسيا، ويبدو

ذلك قوله: « وكانت تلمسان دار مملكة زناتة في هذه العصور القريبة »<sup>3</sup> أي

إصمة للزيانيين من بني عبد الواد، ذكر أن تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، وهي

أول بلاد المغرب<sup>4</sup> وقد حدد مجال المغرب الأوسط شرقا من وادي مجمع القريب من

إلى مدينة تلمسان التي هي أول بلاد المغرب الأوسط من ناحية الغرب »

<sup>1</sup> قسنطينة: مدينة كبيرة عامرة قديمة أزلية فيها آثار للأول، وهي مدينة حصينة في نهاية المنعة لا يعرف بإفريقية أمنع منها. ينظر: الاستبصار، المصدر، ص: 165. مدينة جزائرية وثالث أكبر مدنها بعد كل من الجزائر العاصمة ووهران.

<sup>2</sup> ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا. : إسماعيل العربي، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 1-1970م. ص: 140.

<sup>3</sup> الحميري، المصدر، ص: 135.

<sup>4</sup> الحميري، المصدر السابق، ص: 135.



على طريق الداخل والخارج منه، ولابد من الاجتياز عليها على كل حال<sup>1</sup> في السفر من وإلى المغرب الأقصى.

أن عبد الرحمن بن خلدون (ت808 / 1406م) قد حدد بداية المغرب الأوسط غربا عند نهاية بلاد تازا، ومن الجهة الشرقية جعل حدوده تنتهي عند مدينة بونة : « وفي الجوف عن بلاد مراكش بلاد فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة وهذه هي التي تسمى المغرب الأقصى.....وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الأوسط وقاعدتها تلمسان وفي سواحلها على البحر الرومي بلد هنين ووهران والجزائر.....وعلى ساحل البحر بلد بونة، ثم في سمت هذه البلاد شرقا بلاد إفريقية<sup>2</sup> » وسمى هذا المجال بلاد المغرب الأوسط وقاعدته تلمسان، حين ذكر ذلك كله ضمن الإقليم الثالث من أقاليم المعمور السبعة

أما الحسن الوزان الفاسي(ت: بعد 957/1550م) الذي زار تلمسان بداية القرن العاشر الهجري، فقد أشار إلى أنها عاصمة المملكة، وتبدأ حدودها الغربية من وادي ملوية<sup>3</sup> وأنها تشتمل على ثلاثة أقاليم هي: الجبال، وتنتس<sup>1</sup>، والجزائر<sup>2</sup>، أما

<sup>1</sup> الحميري المصدر نفسه، ص: 135.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة. مراجعة: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، 2001م. ص: 76.

<sup>3</sup> الحسن الوزان، المصدر السابق، ص: 7.

حدودها الشرقية فيمكن أن نستخلصها من قوله عن أقاليم مملكة تونس<sup>3</sup> التي تخضع لها أربعة أقاليم هي، بجاية، قسنطينة، طرابلس<sup>4</sup> الغرب، والزاب<sup>5</sup> وبذلك فإن حدود المغرب الأوسط عند الحسن الوزان، تبدأ من وادي ملوية غربا، إلى حدود بجاية شرقا، ويؤكد ذلك عندما ذكر بأن إقليم بجاية كان موضوع نزاع مستمر، يتبع تارة سلطة ملك تونس، وتارة أخرى سلطة ملك تلمسان<sup>6</sup> مه هنا يعد تقسيما سياسيا، وإن لم يشر إلى ذلك في مقدمة كتابه، ورغم أنه قسم في كتابه هذا إفريقيا تقسيما عموديا، باعتبار مميزاتها النباتية، والاقتصادية، لكنه عند تجزئته لهذه الأقسام، نجده يجزئها اعتبارا لنظم الحكم فيها، أكثر من اعتبار الفوارق الطبيعية.

<sup>1</sup> تنس: بينها وبين البحر ميلان، وهي مدينة مسورة حصينة، كثيرة الزرع رخيصة الأسعار. بنظر: الاستبصار، المصدر السابق، ص: 133. وهي إحدى المدن التاريخية الجزائرية، وهي واحدة من المدن الساحلية الواقعة إلى الشمال من الجزائر، وإلى الغرب من العاصمة الجزائرية.

<sup>2</sup> الجزائر: وتسمى جزائر بني مزغنى، وهي مدينة جبلية قديمة البنين فيها آثار للأول، وأزاج محكمة تدل على أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم. بنظر: البكري، المصدر السابق، ص: 66. الجمهورية الجزائرية وأكبر مدنها.

<sup>3</sup> تونس: مدينة قديمة البناء لها سور عظيم، بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام. بنظر: الاستبصار، المصدر ص: 120. هي عاصمة للجمهورية التونسية، وتعتبر من أكبر مدنها من حيث عدد السكان، وكانت عاصمة للحفصيين.

<sup>4</sup> طرابلس: مدينة على شاطئ بحر الروم، بناها اشقاروس قيصر الروم، لها أسواق حافلة عامرة وحمامات كثيرة، بينها وبين مدينة مغمداس بضع مراحل. بنظر: البكري، المصدر السابق، ص: 7. اليوم عاصمة ليبيا وأكبر مدنها.

<sup>5</sup> الحسن الوزان، المصدر السابق، ج: 1، ص: 16.

<sup>6</sup> الحسن الوزان المصدر السابق، ج: 1، ص: 16.

عرض معاصره مارمول كربخال الذي عاش في شمال إفريقيا منتصف

القرن العاشر الهجري رأيين مختلفين الأول يرى بأن بجاية ونس بقوله «

جعل بعضهم هذا الإقليم معدودا في مملكة تونس»<sup>1</sup> والثاني يرى بأن إقليم بجاية هو «

عند خيرة الكتاب معدود في مملكة تلمسان ..... وهذا الرأي لبطليموس»<sup>2</sup> ثم يعطي

مارمول بعدها رأيه في هذا التقسيم بقوله بأن بجاية كانت تابعة لمدة من الزمن لمملكة

تونس ويعين حدود تلمسان، غربا بنهر ملوية إلى حدود بجاية شرقا.<sup>3</sup>

وصفوة القول فإن بلاد المغرب الأوسط على عهد الزيانيين امتدت من حدود

تلمسان غربا، إلى حدود شرقا، ومن ساحل البحر شمالا، إلى إقليم توات جنوبا،

كما نشير إلى أن الدولة الزيانية كانت عرضة للهجمات من طرف جارتها الشرقية ممثلة

في الحفصيين، وجارتها الغربية ممثلة في المرينيين لحدودها السياسية تتمدد

وتتقلص تبعا لهذه الظروف<sup>4</sup>، في حين ظلت عاصمتها السياسية والثقافية والاقتصادية،

هي مدينة تلمسان.

### : نسب بني زيان ومراحل حكمهم:

#### 1 نسب بني عبد الواد وبداية أمرهم:

<sup>1</sup> مارمول كربخال: إفريقيا. ج2، تر: محمد حجي وآخرون، الرباط: دار الشروق للمعرفة 1989م، ص: 375.

<sup>2</sup> مارمول، نفسه، ج2، ص: 375.

<sup>3</sup> مارمول، نفسه، ج2، ص: 291.

<sup>4</sup> بخصوص الحدود التقريبية للمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، ينظر: الملحق رقم 5.

قد أعقب تفكك الدولة الموحدية في النصف الأول من القرن السابع الهجري، ظهور ثلاث كيانات سياسية في بلاد المغرب : الدولة الحفصية في المغرب الأدنى والدولة الزيانية في المغرب الأوسط، والدولة المرينية في المغرب الأقصى ولم يكن لأي من هته الدول الثلاث دعوة دينية تقوم عليها سوى ادعاء الشرعية ، خلافة الدولة الموحدية، ولعل هذا ما يفسر الصراع العسكري الذي قام بينها طيلة فترة وجودها.

وكانت الدولة الزيانية ثانية هاته الدول ظهورا (1236/هـ 633م) حيث تمكن بنو عبد الواد من الاستقلال بالمغرب الأوسط، بعد أن كانوا يتحينون الفرصة وراء ما تركه الموحدون بمناطق تواجدهم ومنها مدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط وعرفت دولتهم بدولة بني زيان نسبة لمؤسسها يغمراسن<sup>1</sup> بن زيان.

ينتسب بنو زيان إلى قبيلة بني عبد الواد « وأصله عابد الوادي، رهبانية عرف جدهم من ولد شجيح بن واسين بن يصلتن<sup>2</sup> » وهي بطن من بطون قبيلة زناتة البترية<sup>3</sup> وهم حسب عبد الرحمن بن خلدون من ولد يادين بن محمد، إخوة توجين

<sup>1</sup> يغمراسن بن زيان: بن ثابت بن محمد العبد الوادي، أول من استقل بتلمسان من سلاطين بني عبد الواد، يبيع سنة 633هـ . ينظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، في ذكر الملوك من بني عبد الواد. : 1، الجزائر: مطبعة، فونتاننا الشرقية، 1903م. ص: 110.

<sup>2</sup> يحيى بن خلدون: المصدر نفسه، ص: 95.

<sup>3</sup> عبد الرحمن بن خلدون: العبر. ج: 7، مرا: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، 2001م. ص: 97.



وصاب وزردال وبني راشد، وأن نسبهم يرتفع إلى رزجيك بن واسين بن ورسيك بن<sup>1</sup> كانت تجوب صحراء المغرب الأوسط، و انتقلت إلى غربا مدفوعة بضغط من العرب الهلاليين منتصف القرن الخامس الهجري<sup>2</sup> عندما كان هذا الجزء من المغرب الأوسط تابعا للمرابطين « وهناك عاشوا نحو قرن من الزمان حياتهم البدوية الفقيرة، ودخلوا في طاعة الموحدين وخدموهم واكتسبوا نظير ذلك حق الاستيطان في منطقة وهران وما يليها غربا حتى تلمسان، وكان رؤساؤهم يتقاضون من الموحدين لقاء معاونتهم إياهم في حماية هذه النواحي من أعداء الموحدين»<sup>3</sup>.

ولما ملك الخليفة الموحد عبد المومن بن علي<sup>4</sup> تلمسان وأمصارها وبعث بغنائمه إلى المغرب الأقصى، إعترضها بنو مرين وأخذوها من جنوده، فلما سمع بذلك عبد المومن، انتدب بني عبد الواد، أبا محمد عبد الحق بن معاد لاسترجاعها فنهض بنو عبد الواد لهذه المهمة ونجحوا في استخلاص الغنائم من أيدي المرينيين بعد

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج: 7، المصدر نفسه، ص: 97.

<sup>2</sup> عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني. ج:1، الجزائر: موفم للنشر والتوزيع، 2002م. ص: 14.

<sup>3</sup> ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف الغرناطي: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان. : بور سعيد:

الثقافة الدينية، ط: 1 2001م. ص: 10.

<sup>4</sup> أبو محمد عبد المومن بن علي: أول خلفاء الدولة الموحدية ( 524 - 558هـ). ينظر: مجهول الحلل الموشية في نكر الأخبار المراكشية، : سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ط: 1 1979م. ص:142.

أن قتلوا أكثرهم، وهذه الواقعة صار لبني عبد الواد مكانة ووجاهة وعظم أمرهم عند الموحدين<sup>1</sup>.

وفي عهد الخليفة الموحد المأمون (624/1228م)<sup>2</sup> كان الوالي على تلمسان هو أبو سعيد أ الخليفة، لكنه كان كما وصفه عبد الرحمن بن خلدون مغفلاً ضعيف التدبير،<sup>3</sup> فأغراه أحد الشيوخ من عماله بجماعة من بني عبد الواد فقبض عليهم، فلما بلغ خبرهم إبراهيم بن إسماعيل بن علان<sup>4</sup> أحد شيوخ لمتونة، ذهب إلى الوالي الموحد ليشفع فيهم ويطلق سراحهم، لكن والي تلمسان رده ولم يقبل شفاعته فيهم، فاغتاظ لذلك وقرر الخروج عليهم، وجمع قومه وهاجم قصر الوالي أبا سعيد واعتقله وأطلق سراح بني مرين، لكنه رأى بعدها أن يفتك بهم، فدعاهم لمأدبة ليقتلهم جميعاً، غير أن زعيم بني عبد الواد جابر بن يوسف نطن لهذه الحيلة وفتك به وأعلن طاعته للموحدين، وأرسل بذلك إلى المأمون الذي أقره على أمر تلمسان وسائر بلاد زناتة، يقول ابن

<sup>1</sup> يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص: 101.

<sup>2</sup> الخليفة المأمون الموحد: أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور، ثامن خلفاء الدولة الموحدية (624-629هـ) هو من أمر بزوال اسم المهدي من السكة والخطبة وغيرها. ينظر: مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص: 163.

<sup>3</sup> عبد الرحمن بن خلدون العبر، ج: 7، المصدر السابق، ص: 99.

<sup>4</sup> إبراهيم بن إسماعيل بن علان: زعيم جماعة من لمتونة بتلمسان، كان عبد المؤمن بن علي قد أثبتهم في الديوان وألحقهم بالحامية. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج: 7، المصدر السابق، ص: 99.

خلدون: « فاضطلع بأمر المغرب الأوسط، وكانت هذه الولاية ركوبا إلى صهوة الملك الذي اقتعدوه من بعد».<sup>1</sup>

وقد خرج على جابر بن يوسف هذا أهل ندرومة<sup>2</sup>، فذهب إلى محاصرتهم بها لكنه أصيب بسهم طائش توفي على إثره سنة (629هـ/1232م)، فخلفه ابنه الحسن الذي جدد البيعة لمأمون الموحد فأرسل له هذا الأخير عهده بالولاية على تلمسان وبقية المغرب الأوسط، لكن الحسن كان ضعيفا عن السيطرة على أمور الملك فتخلى عنه بعد ستة أشهر من ولايته، وترك الحكم لعمه عثمان بن يوسف الذي كان ظلوما جائرا، مما دفع أهالي تلمسان إلى الثورة عليه وطرده سنة (631هـ/1234م)، وتولية ابن عمه زكراة بن زيان بن ثابت الملقب بأبي عزة، فقام بنو مطهر وبنو راشد بالخروج عليه، وقامت بينه وبينهم حروب قتل في إحداها سنة (633هـ/1236م)، فانتقل الحكم بعده إلى أخيه يغمراسن بن زيان الذي أطاعته جميع القبائل واستتب له الأمر، وكتب له الخليفة الموحد الرشيد<sup>3</sup> العهد بحكم تلمسان وبذلك بدأ فترة جديدة في تاريخ تلمسان<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن خلدون العبر، ج:7، المصدر ، ص: 100.

<sup>2</sup> ندرومة: مدينة حسنة كثيرة الزرع والفواكه رخيصة الأسعار بينها وبين البحر نحو عشرة أميال. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص: 576. وتقع ندرومة ولاية تلمسان، في شمال غرب الجزائر، على بعد 77 كيلومترا من تلمسان. بناها عبد المؤمن بن علي الموحد والذي ولد فيها أيضا.

<sup>3</sup> الرشيد الموحد: هو الخليفة الموحد عبد الواحد بن المأمون إدريس بن يعقوب المنصور بالله أبو محمد الملقب بالرشيد، تولى الخلافة مدة عشرة سنين وتوفي بمراكش سنة 640هـ. ينظر: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص:

## 2 مراحل حكم الدولة الزيانية:

### أ - التأسيس والتوسع:

يعتبر يغمراسن بن زيان ( 603هـ - 681هـ/1207م - 1283م) المؤسس الفعلي للدولة الزيانية، فقد دامت مدة حكمه 48 استطاع خلالها أن يقيم نظام دولة جديدة على أرض المغرب الأوسط بعد زوال حكم الموحدين، يقول عبد الرحمن بن خلدون: « وأحسن السيرة في الرعية، واستمال عشيرته وقومه وأحلافهم من زغبة بحسن السياسية والاصطناع وكرم الجوار، واتخذ الآلة، ورتب الجنود والمسالح، واستلحق العساكر من الروم والغز، رامحة وناشبة، وفرض العطاء واتخذ الوزراء والكتاب<sup>2</sup>، وبعث في الأعمال ولبس شارة الملك والسلطان، واقتعد الكرسي ومد آثار الدولة المؤ..... ولم يترك من رسوم دولتهم، وألقاب ملوكهم إلا الدعاء على منابره للخليفة بمراكش، وتقلد الأمر من يده تأنيسا للكافة ومرضاة للأكفاء من قومه»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن خلدون العبر، ج:7، المصدر السابق، ص: 100.

<sup>2</sup> ذكر عطاء الله دهيئة: "أن أول ما قام به مؤسس الدولة الزيانية يغمراسن بن زيان هو أنه اتخذ لنفسه كتابا أي أنه استحدث خطة الكتابة ضمن أجهزة الدولة؛ كضرورة حتمية للتواصل مع الدول القائمة آنذاك..." " DHINA (A) les Etats de l'occident Musulmans au 13,14 et 15<sup>ème</sup> siècle O.P.U, Alger,1984,p- 151, p136- وانظر أيضا: حسين تواتي: الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية (الكتابة نموذجا) 633- 791 /1236- 1389م، ماجستير جامعة تلمسان 2014، ص97.

<sup>3</sup> عبد الرحمن بن خلدون العبر، ج:7، المصدر السابق، ص: 106.



استطاع يغمراسن توسيع حدود دولته مستعينا في ذلك بمن أطاعه من القبائل التي كانت متحالفة معه، لكن بعض المنافسين له استغلوا سوء علاقته مع العاهل الحفصي أبي زكريا<sup>1</sup> (226هـ-764هـ/1228م-1244م) وتوجهوا إلى تونس لتحريض هذا الأخير على غزو تلمسان فتوجه أبو زكريا الحفصي بجيشه إليها سنة (640هـ/1242م) ودخلها بعد أن فر منها يغمراسن ملتجأ إلى جبل<sup>2</sup> جنوب المدينة ليعود إليها بعد مفاوضات وشروط بينهما<sup>3</sup> توجت بعدها بعقد زواج ولي عهده أبي عثمان سعيد بن يغمراسن بينت السلطان الحفصي أبي إسحاق إبراهيم<sup>4</sup> (678هـ-683هـ/1279م-1284م).

أما عن علاقته ببني مرين فإنه وبعد الهزائم التي تعرض لها أمامهم جنح إلى ادنتهم وعدم الدخول في صراع معهم وهو ما يظهر من وصيته<sup>5</sup> لولي عهده من بعده، فبعد وفاة يغمراسن (681هـ/1283م) خلفه ابنه عثمان الذي شرع في تنفيذ وصية والده وعقد هدنة مع السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق<sup>6</sup> لمدة ثمان سنوات

<sup>1</sup> أبو زكريا يحي بن عبد الواحد الحفصي: موطد الدولة الحفصية بتونس، قطع البيعة للموحدين بمراكش وعقدها 634هـ. ينظر: الزركشي، المصدر السابق، ص: 24.

<sup>2</sup> يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص: 112.

<sup>3</sup> يحي بن خلدون، المصدر ، ص: 113.

<sup>4</sup> أبو إسحاق إبراهيم الحفصي: ابن أبي زكريا تولى سنة 678هـ بعد خلع ابن أخيه الواثق. ينظر: الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية. : محمد ماضور، تونس: المطبعة العتيقة ، ط: 2 1966م. ص: 43.

<sup>5</sup> عبد الرحمن بن خلدون العبر، ج: 7، المصدر السابق، ص: 123.

<sup>6</sup> يعقوب بن عبد الحق: أبو يوسف المريني أمير المسلمين، بويغ له بالخلافة بحضرة فاس بعد وفاة أخيه أبي يحي 656هـ. ينظر: ابن أبي زرع الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية. اعتنى بنشره: محمد بن أبي شنب، الجزائر: مطبعة جول كربونل 1920م. ص: 92.

وتفرغ لتوسيع دولته من الناحية الشرقية « فاستكثر من الأنصار ودوخ المعازل والأمصار»<sup>1</sup> حيث شرع في إخضاع القبائل الخارجة عن طاعته، كبنى توجين ومغراوة ومليكش، ومناطق<sup>2</sup> ومازونة<sup>2</sup> واستولى عليها، ومدينة تنس، والمدينة<sup>3</sup> وغيرها حتى صار كل المغرب الأوسط تحت حكمه<sup>4</sup>.

لم تدم مدة السلم بين الزيانيين وبنى مرين طويلا، بعد ثلاث سنوات من المهادنة عادت العلاقات إلى التوتر وحاول السلطان المريني أبو يوسف يعقوب دخول تلمسان أربع مرات لكنه كان يفشل في ذلك، وفي المرة الخامسة كان حصاره الطويل على تلمسان حيث توفي خلاله السلطان الزياني أبو سعيد عثمان (1304/هـ 703م) وخلفه ابنه أبو زيان محمد بن عثمان الذي لم تطل به الأيام وتوفي (1308/هـ 707م) إثر مرض أصابه في مدة الحصار وتولى بعده أخوه السلطان أبو حمو موسى الأول مدة إحدى عشرة سنة (707هـ - 1308/هـ 718م)، اشتغل خلالها بتمهيد ملكه « فرتب

<sup>1</sup> محمد بن عبد الله التنسي: نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان. : محمود أغا بوعباد، تلمسان: موقم للنشر 2011م. ص: 129.

<sup>2</sup> مازونة: مدينة بالقرب من مستغانم، على ستة أميال من البحر، لها سوق يجتمع فيه أصناف البربر بضروب من الفواكه والألبان والعسل، وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصبا. بنظر: الحميري المصدر السابق، ص، ص: 521 522. وهي إحدى دوائر ولاية غليزان الجزائرية، وتقع إلى الغرب من العاصمة الجزائر.

<sup>3</sup> المدينة: بناها الأفارقة في تخوم نويميا تقع في سهل خصيب جدا. بنظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج: 2: 41. وهي اليوم مدينة جزائرية عاصمة ولاية المدينة، تقع في الأطلس التلي على بعد 70 كلم تقريبا جنوب الجزائر العاصمة.

<sup>4</sup> التنسي، المصدر السابق، ص: 130.



مراسم الملك وهذب قواعده، وأرهب في ذلك لأهل ملكه حده، وقلب لهم مجن بأسه حتى نلوا لعز ملكه، وتآدبوا بأداب السلطان»<sup>1</sup> وأعاد للدولة مجدها، ولكي يتفرغ لشؤون دولته أبرم اتفاقية حسن الجوار مع السلطان المريني أبي ثابت (706-708هـ/716م-719م)<sup>2</sup> وبسط هيمنته على من خرج عن طاعته من قبائل أثناء الحصار الطويل<sup>3</sup> حتى أعاد للدولة هيبتها وقوتها.

تعرض السلطان أبو حمو موسى الأول (1318هـ/718م) يد بطانة<sup>4</sup> ولده عبد الرحمن أبو تاشفين الأول (718هـ/737م-1337م) الذي خلفه في الحكم، وقد تذا الأخير وقائع عديدة كان آخرها الحصار الذي ضربه السلطان المريني أبو الحسن بن سعيد<sup>5</sup> على تلمسان (735هـ/1316م)، واستمر في ذلك حتى دخلها (737هـ/1337م) ولم يزل السلطان الزياني أبو تاشفين الأول يقاتل أولاده وبعض وزرائه عند باب قصره إلى أن قتلوا جميعا وبموته تنتهي مرحلة مهمة من

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن خلدون العبر، ج:7، المصدر السابق، ص: 132.

<sup>2</sup> أبو ثابت المريني: عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب المريني، من ملوك الدولة المرينية، كان مع جده يوسف يوم قتل بالمنصورة، فدعا لنفسه وبايعه أشياخ بني مرين والعرب ورحل إلى فاس في جموع كثيرة. ينظر: الزركلي خير الدين الأعلام، قاموس تراجم. ج: 3 بيروت: دار العلم للملايين، ط: 15 2002م. ص: 253.

<sup>3</sup> التتسي، المصدر السابق، ص: 136.

<sup>4</sup> يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص: 131.

<sup>5</sup> أبو الحسن بن سعيد المريني: من كبار بني مرين، كان على غير وفاق مع بني زيان فزحف عليهم سنة 735هـ فافتتح وجدة وهدم أسوارها، واستولى على هنين ووهران ومليانة والجزائر وجدد بناء المنصورة إلى أن تم له فتح تلمسان. ينظر: الزركلي المصدر السابق، ج: 4، ص: 311.

مراحل حكم الزيانيين حيث طمس السلطان المريني أبو الحسن رسوم ملكهم ومعالمه وبذلك « انقرض ملك آل يغمراسن برهة من الدهر، إلى أن أعاده منهم أعياص سموا إلى بعد حين»<sup>1</sup>.

#### ب - ال المريني (737-749هـ/1352-1364م):

بعد أن تمكن أبو الحسن المريني من دخول تلمسان وفرض السيطرة عليها وصار أمر المغربين الأقصى والأوسط تحت حكمه<sup>2</sup> بدأ في التحضير للهجوم على أفريقية مستعينا في ذلك بقبائل زناتة والعرب، ومعه ابني عبد الرحمن بن يغمراسن يقودان جنود بني عبد الواد وترك ابنه أبا عنان<sup>3</sup> نائبا عنه بتلمسان وتوجه هو نحو أفريقية التي دخلها (1348هـ/748م) دون مقاومة من أهلها، لكن العرب الهلاليين الذين خضد أبو الحسن المريني شوكتهم انقلبوا عليه وانظم إليهم الأميران الزيانيان أبو ثابت وأبو سعيد<sup>4</sup> في معركة بالقيروان انهزم فيها أبو الحسن المريني ووصلت الإشاعة بخبر موته إلى

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن خلدون العبر، ج:7، المصدر السابق، ص: 148.

<sup>2</sup> ابن الأحمر، المصدر السابق، ص: 31.

<sup>3</sup> أبو عنان المريني: فارس بن أبي الحسن المريني، تولى عرش بني مرين بعد مهلك والد أبي الحسن سنة 749هـ، وعزم من فاس على غزو تلمسان. ينظر: أحمد بن خالد الناصري السلاوي الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج:3 : ولدي المؤلف، جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1955م، ص: 182.

<sup>4</sup> عبد الرحمن بن خلدون العبر ج:7، المصدر ، ص: 154.

ابنه أبي عنان في تلمسان، مما اضطره إلى مغادرتها (1349/هـ) نحو فاس<sup>1</sup> متوليا عرش أبي الحسن، وترك على تلمسان رجلا من بني عبد الواد، فاغتتم أبو سعيد وأبو ثابت الفرصة ورجعا إلى تلمسان لتولي الحكم فيها وإعادة دولتهم من جديد. استطاع هذان الأميران تسير شؤون دولة بني عبد الواد، فضربا السكة وأقاما الخطبة باسم<sup>2</sup> لمدة أربع سنوات فقط، تمكنوا خلالها من بسط نفوذهم على المغرب الأوسط، وأعادوا فرض سيطرتهم على جل القبائل الخارجة عليها لكن السلطان المريني أبا عنان عاد لحربهما واقترب من تلمسان لبسط نفوذه عليها، فخرج إليه أبو سعيد الزياني والتقى به بالقرب من وجدة<sup>3</sup>، حيث دارت بينهما معركة أسير فيها السلطان الزياني وقتل بعدها سنة (1352/هـ) فر أخوه أبو ثابت إلى تلمسان ثم تنقل بين عدة مدن، ولما كان مارا ببجاية في طريقه إلى إفريقية أسره أميرها أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا الحفصي<sup>4</sup> الذي كان حليفا لأبي عنان وسلمه له مع جماعة من بني عبد

<sup>1</sup> فاس: مدينة فاس تتكون من مدينتان مقترنتان مسورتان كثيرة الأرحاء والبساتين وهي تبعد عن بلاد مطغرة بنحو مسيرة نصف يوم. بنظر: البكري، المصدر السابق، ص: 115. تأسست مدينة فاس على يد إدريس الثاني الذي جعلها عاصمة الدولة الإدريسية بالمغرب.

<sup>2</sup> مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، ج:1، الجزائر: منشورات الحضارة 2009م. ص: 13.

<sup>3</sup> وجدة: مدينة كبيرة مسورة قديمة أزلية، وبها يمر الطريق المار من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب. بنظر: الاستبصار، المصدر السابق، ص: 177. وهي اليوم تقع في شرق المملكة المغربية على الحدود الجزائرية.

<sup>4</sup> محمد بن أبي زكريا الحفصي: أبو عبد الله الملقب بالمستنصر، بويع له بعد وفاة والده سنة 647هـ وهو ابن اثنتين وعشرين سنة. بنظر: محمد بن ابراهيم الزركشي: المصدر السابق، ص: 32.

الواد فأمر بقتلهم<sup>1</sup> اختفت بذلك دولة بني عبد الواد مجددا حيث ضمها بنو مرين لملكهم إلى غاية سنة (760هـ/1359م).

### ج - إعادة إحياء الدولة (760-791 هـ / 1358-1389م):

كان أبو . مو موسى الثاني قد لجأ عند الحفصيين في إفريقية وأقام عندهم في خير لمدة خمس سنوات، وشرع من هناك في محاولة استعادة سلطانه مستعينا بعرب الذواودة مستغلا فترة الاضطراب التي عرفتھا الدولة المرينية في عهد أبي عنان المريني وبدأ في مسعاه سنة (759هـ/1358م) منتقلا بين الكثير من مدن وأرياف المغرب الأوسط<sup>2</sup> وخاض أثناءها معارك انتصر فيها حتى بلغ تلمسان ودخلها وبويع له فيها سنة (760 هـ / 1359م) .

دام حكم السلطان أبو .حمو موسى الثاني إحدى وثلاثين سنة<sup>3</sup> مهد قواعد وبسط نفوذه على بلاد المغرب الأوسط وأعاد فيها مجد دولته، فقد كان هذا السلطان ذا همة عالية وحزم شديد إلى ما اتصف به من ثقافة واسعة وعناية بالعلم وأهله كما أنه كان شاعرا وأديبا وضع لابنه وولي عهده عبد الرحمن أبو تاشفين الثاني

<sup>1</sup> يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص: 162.

<sup>2</sup> فيلالی، المرجع السابق ج1، ص: 54.

<sup>3</sup> عبد الرحمن الجبالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، بيروت: دار مكتبة الحياة ط: 2، 1965م. ص: 180.



كتابا سماه "واسطة السلوك في سياسة الملوك"<sup>1</sup> ضمنه جميع تجاربه في الحكم، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ابنه هذا الذي كان يدخره للأعداء هو من شق ل عصا الطاعة وتحالف مع أعدائه المرينيين<sup>2</sup> وكان سببا في ، وبموت آخر الكبار من بني عبد الواد<sup>3</sup> تنتهي مرحلة مهمة من مراحل حكم بني زيان وتدخل في طاعة المرينيين حيناً من الدهر وتضم لحكمهم بعد ذلك.

#### ١ - التبعية لبني مرين (791-795هـ/1389-1393م):

وهي المرحلة التي يدخل فيها بنو زيان في دورهم الأخير، أين صار أمر الدولة في يد بني مرين تارة وبني حفص تارة أخرى، وتبدأ هذه المرحلة بولاية السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن الثاني (791-795هـ/1389-1393م) الذي أمضى مدة حكمه في طاعة المرينيين، حيث كانت السكة تضرب باسمهم ويدعا لهم في المنابر ويدفع لهم الضريبة التي اشترطوها<sup>4</sup> إلى أن توفي سنة (795هـ/1393م)، فدخل تلمسان أبو فارس<sup>5</sup> ابن السلطان أبي العباس المريني وبقي المغرب الأوسط تحت حكم بني مرين لسنة واحدة

<sup>1</sup> أبو حمو موسى الثاني: واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق محمود بوترة، برج الكيفان، الجزائر: دار النعمان للطباعة و النشر 2012م.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن خلدون العير، ج:7، المصدر السابق، ص: 195.

<sup>3</sup> ابن الأحمر، المصدر السابق، ص: 35.

<sup>4</sup> عبد الرحمن بن خلدون العير، ج:7، المصدر السابق، ص: 196.

<sup>5</sup> أبو فارس عبد العزيز المريني: هو الذي أنعش دولة بني مرين بعد تلاشيها، ببيع له بعد مقتل السلطان أبي زيان 767هـ. بنظر: السلاوي، المرجع السابق، ج:4، ص: 52.

ود لملك أبي زيان بن أب حمو موسى الثاني، لكن تدخلات بني مرين ودسائسهم لم تنقطع فقد كانوا يدعمون المنشقين من بيت عبد الواد ضد بعضهم للإطاحة بمن شاعوا وتولية من شاعوا « وبذلك أصبحت الدولة المرينية تتدخل تدخلا مباشرا في شؤون البيت الزياني»<sup>1</sup>.

#### ه - التبعية لبني حفص (827 - 890/1424-1485م) :

تبدأ هذه المرحلة باستيلاء السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز<sup>2</sup> (796-837/1394-1433م) على تلمسان (827/1424م) وتعيينه محمد بن تاشفين الثاني المعروف بابن الحمراء ليحكم فيها باسم الحفصيين و تداول أفراد من بني عبد الواد على حكم تلمسان يشق بعضهم بعضا الطاعة بتدبير من لاطين بني حفص وتدخلهم في شؤون المغرب الأوسط، ويمكن استثناء فترة حكم أبي العباس أحمد

<sup>1</sup> فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص: 68.

<sup>2</sup> أبو فارس عبد العزيز الحفصي: ابن السلطان أبو العباس أحمد الحفصي، بويغ بتونس يوم وفاة والده سنة 796هـ على رضى من الناس وإلف بين إخوته. بنظر: الزركشي، المصدر السابق، ص: 114.



المعتصم<sup>1</sup> بن أبي حمو موسى الثاني وهو الذي اشتهر باسم أحمد العاقل الذي حكم لمدة اثنتين وثلاثين سنة (834-866هـ/1432-1461م) حيث قطع بعد ثلاث سنوات من توليه الدعوة للحفصيين واستقل بحكم بلاده أين « ساد خلالها نوع من الاستقرار والرخاء الاقتصادي، والتطور الفكري فكثر الإقبال على طلب العلم والرحلة في سبيله»<sup>2</sup> هذه المرحلة بوفاة السلطان محمد المتوكل سنة (890هـ/1485م).

و - السقوط (890هـ - 923 / 1485م - 1517م) :

وهي آخر مراحل حكم الزيانيين، حيث تولى فيها الحكم عدة سلاطين ضعفاء لم تطل ببعضهم المدة ليتركوا أثرا يذكر، وكان اعتلاؤهم لسدة الحكم عن طريق المؤامرات للوصول إلى كرسي العرش حيث عرفت هذه المرحلة ظهور الخطر الإسباني واحتلاله للمدن الساحلية للمغرب الأوسط<sup>3</sup>، وكان من نتيجته تدخل الأتراك العثمانيين لحماية المسلمين، ليكون سقوط الدولة الزيانية سنة (923هـ/1517م)، وهي السنة التي أمضى فيها

<sup>1</sup> أحمد المعتصم: بن أبي حمو موسى الثاني الملك الخامس عشر من ملوك الدولة الزيانية اعتلى العرش سنة 834هـ، فسك النقود وسهر على مصالح رعيته فأحبه الناس. ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط: 2، 1980م. ص: 213.

<sup>2</sup> فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص: 72.

<sup>3</sup> عبد الرحمن الجبالي، المرجع السابق، ج2، ص: 198.

السلطان الزياني أبو حمو موسى الثالث معاهدة مع الإسبان أصبح بموجبها تابعا للتاج الاسباني<sup>1</sup>، وكانت سببا في إنهاء سيادة الدولة الزيانية.

### : عناصر وفئات المجتمع الزياني :

#### 1 عناصر المجتمع الزياني :

عاش في أراضي الدولة الزيانية مجموعات بشرية ذات أعراق مختلفة، جمعتهم قواسم مشتركة كالدين واللغة والانتماء الجغرافي والتاريخ المشترك والتبعية السياسية وغيرها من العوامل الأخرى، ومن العناصر المكونة للمجتمع الزياني نجد العناصر التالية:

#### 1-1 - البربر:

البربر هم سكان المغرب الأصليون الذين سكنوه منذ القديم، و  
رئيسين هما البتر نسبة إلى ماذغيس الأبتز، والبرانس نسبة إلى برنس وقد سماهم إفريقش بن قيس بن صيفي بهذا الاسم عندما غزا بلادهم ورأى اختلاط أصواتهم التي لا تفهم<sup>2</sup> فأطلق عليهم اسم البربر منذ ذلك العهد، غير أننا سنتعرض لذكر بطن من بطون

<sup>1</sup> مختار حساني، المرجع السابق، ج1، ص:101.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن خلدون ج:6، المصدر السابق، ص: 117.

القسم الأول وهم زناتة وفروعها لأنهم يشكلون غالبية سكان المغرب الأوسط<sup>1</sup> حتى أنه وطن زناتة، وهم من أبناء جانا من ولد ماذغيس بن بر، وقد تفرق البربر في عموم بلاد المغرب واختار جانا أبو زناتة النزول بضواحي<sup>2</sup> وادي الف<sup>3</sup> وتفرقت فروعهم في المغرب الأوسط كما سنذكره.

#### — بنو عبد الواد:

انتشروا بين جبال سعيدة شرقا ووادي ملوية<sup>4</sup> غربا واتخذوا من المراعي الخصبة هناك مكانا للانتجاع يرعون فيه ماشيتهم ولا يدخلون المدن إلا للتزود بما يحتاجونه<sup>5</sup>، ولما ملك الموحدون المغرب الأوسط دخلوا في طاعتهم وأخلصوا لهم الولاء أقطعوهم مناطق غليزان إلى أحواز تلمسان فاستقروا بهذه المناطق<sup>6</sup> إلى أن ضعف أمر الموحدين استحوذوا على تلمسان ونادوا باستقلالهم عن الموحدين سنة (633هـ/1236م).

#### بنو يفرن:

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن خلدون، ج:7، المصدر ، ص: 3.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن خلدون ج:6 المصدر ، ص: 121.

<sup>3</sup> شلف: مدينة قديمة أزيلت فيها آثار للأول، وإليها ينسب النهر المشهور. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص: 343. تقع على غرب الجزائر العاصمة بحوالي 200 كلم.

<sup>4</sup> نهر ملوية: نهر كبير من الأنهار المشهورة، وهو قريب من أحواز تلمسان. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص: 12. يقع على الحدود بين الجزائر والمغرب.

<sup>5</sup> عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج:1، الرباط: المطبعة الملكية 1968م، ص:146.

<sup>6</sup> ابن الأحمر، المصدر السابق، ص: 10.

وهم أوسع بطون زناتة، ويفرن هو من ولد جانا، ومعناه الفار<sup>1</sup> وكانت مواطنهم ما بين تلمسان إلى تيهرت وقد قامت هذه القبيلة بالخروج على بني أمية بزعامة أبي قرة اليفرني، ثم الخروج على الفاطميين بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني<sup>2</sup> وكانت مواقفها متذبذبة من مؤيدة ومناصرة إلى متخاذلة ومعادية لبني عبد الواد.

### مغراوة:

ينتسبون إلى مغراو بن يصلتين من ولد جانا، وهم إخوة بني يفرن وتمتد مواطنهم في المغرب الأوسط من شلف شرقا إلى تلمسان غربا، وتعد من أشد القبائل كرها لأبناء عمومتهم بني عبد الواد<sup>3</sup>، محاولة إسقاط عرشها خاصة في الأوقات العصيبة التي كانت تمر بالدولة الزيانية.

### بني يلومي وبني وامانو:

هما قبيلتان من فروع زناتة مواطنهم جميعا بالمغرب الأوسط، حيث ينتشر بنو وامانو شرق وادي مينا إلى أسافل وادي شلف، بينما ينتشر بنو يلومي غرب وادي شلف

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج: 7، ص: 15.

<sup>2</sup> بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، أدوارها، مواطنها وأعيانها، ج: 1، الجزائر: دار الكتاب العربي 2007م. ص: 169.

<sup>3</sup> فيلاللي، المرجع السابق، ج: 1، ص: 17.

إلى سيق وسيرات<sup>1</sup> وجبل بني راشد<sup>2</sup> وقد كانوا في صراع مع بني عبد الوادي ،  
الذين انتصروا عليهم بسبب دخولهم في طاعة الموحدين .

#### – بنو راشد:

وإليهم ينسب الجبل المعروف بجبل بني راشد، وقد استقروا بالمناطق الشمالية بين  
وادي مينا وسيق في أواخر الدولة الموحدية، وبنوا فيها قلعة اشتهرت<sup>3</sup> باسمهم وتعرف  
أيضا باسم قلعة هوارة<sup>4</sup>، وكانوا من القبائل التي أخضعها الزيانيون وصارت تدفع لهم  
الضرائب .

#### – بنو توجين:

كانت هذه القبيلة تدفع الضرائب للدولة الزيانية، فقد كلف عثمان بن يغمراسن أحد  
شيوخ بني توجين بجمع الإتاوة من قومه، غير أنهم كانوا يتحينون فرص اشد  
الزيانيين بحربهم مع جيرانهم ليمتنعوا عن دفعها، لكن بعد أن تعود الأوضاع إلى

<sup>1</sup> سيرات: مدينة بنيت في فحص سمي باسم النهر الذي يمر بها وهو نهر كبير مشهور يصب في البحر، وهي قريبة  
من قلعة هوارة. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص: 470. وهي إحدى الدوائر التابعة لولاية مستغانم غرب  
الجزائر العاصمة.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن خلدون، ج:7، المصدر نفسه، ص: 74.

<sup>3</sup> الحسن الوزان المصدر السابق، ج:2، ص: 26.

<sup>4</sup> قلعة هوارة: قريبة من مدينة تيهرت وهي قلعة منيعة في جبل خصيب به بساتين وثمار وأشجار ومزارع. ينظر:  
الاستبصار، المصدر السابق، ص: 178.



الاستقرار تفرض عليهم مجدداً، وقد كان بنو توجين من بين القبائل التي ناصبت بني عبد الواد العداء<sup>1</sup> وتحالفت مع أعدائهم في كثير من الأحيان.

#### – بني زردال وبني مصاب:

مواطنهم تسمى قصور بني مصاب وهي تبعد عن جبل تيطري بخمس مراحل وقد تسمت باسمهم، اختطوها في المكان الذي يسمى بالحماة<sup>2</sup> وكانوا محالفين لبني عبد الوادي.

#### – مديونة:

هم من بني فاتن، وقد استقرت غالبية هذه القبيلة بنواحي تلمسان عند جبل بني راشد، لكن بفعل ضغط بعض القبائل الأخرى إلتجأت إلى نواحي جبل اوجيل وجدة<sup>3</sup> ومنهم من سكن الأندلس مع الفاتحين الأوائل.

#### 1-2 – العرب:

يعتبر العرب العنصر الثاني الذي يتشكل منه المجتمع الزياني، وقد تعايشوا مع البربر جنباً إلى جنب، وكان دخول العرب إلى المغرب الأوسط على دفعتين :

<sup>1</sup> فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص:17.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن خلدون، ج:7، المصدر السابق، ص: 80.

<sup>3</sup> عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق ج1، ص: 110.



— عرب الفتح:

رهم العرب الذين وفدوا على بلاد المغرب مع طلائع الفتح الاسلامي لنشر الدعوة  
المحمدية واستقر الكثير منهم في البلاد المفتوحة، وهم من المضربية واليمانية، وقد استقر  
بالمغرب الأوسط جماعات منهم جاءت مع كتائب أبي المهاجر دينار<sup>1</sup> (685/65م)  
الذي وصلت فتوحاته إلى غاية تلمسان<sup>2</sup> ثم تبعتها جماعة أخرى مع جيش موسى بن  
نصير<sup>3</sup> (705/86م) ثم لحق بهم آخرون في الجيش الذي أرسله هشام<sup>4</sup> بن عبد  
الملك بقيادة كلثوم بن عياض<sup>5</sup> (741/123م) لقتال البربر الذين خرجوا عليه<sup>6</sup>  
وهناك من العرب من وفدوا على المغرب الأوسط في عهد الأدارسة<sup>7</sup>، فقد كانت تلمسان

<sup>1</sup> أبو المهاجر: دينار مولى مسلمة بن مخلد الذي ولاء على إفريقية فلما قدمها توغل في بلاد المغرب حتى وصل  
تلمسان وهو أول من وطئت خيله أرض المغرب الأوسط، وبه سميت العيون القريبة منها بعيون أبي المهاجر. ينظر:  
السلوي المرجع السابق، ج: 1، ص: 37.

<sup>2</sup> عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج: 1، ص: 374.

<sup>3</sup> موسى بن نصير: بن عبد الرحمن بن زيد اللخمي بالولاء، فاتح الأندلس تولى ولاية إفريقية والمغرب سنة 88هـ في  
خلافة الوليد بن عبد الملك، توفي سنة 97هـ. ينظر: الزركلي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 330.

<sup>4</sup> هشام بن عبد الملك: بن مروان من ملوك الدولة الأموية بالشام (71-125هـ)، قامت في عهده ثورات البربر في  
المغرب. ينظر: الزركلي، المصدر السابق، ج: 8، ص: 86.

<sup>5</sup> كلثوم بن عياض: القشيري، أمير إفريقية، وأحد الأشراف الشجعان القادة ولاء هشام بن عبد الملك على إفريقية  
123هـ وسير إليها بجيش عظيم. ينظر: الزركلي، المصدر السابق، ج: 5، ص: 231..

<sup>6</sup> ابن عذاري، المصدر السابق، ج: 1، ص: 54.

<sup>7</sup> عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج: 1، ص: 385.

إحدى مدنهم التي استقروا بها ، أبناء الأشراف من بني سليمان<sup>1</sup> أخا إدريس بن عبد الله<sup>2</sup>.

### – العرب الهلاليون:

هم مجموعة من القبائل العربية التي دخلت بلاد المغرب الإسلامي (1052/هـ443م) واكتسحوا ربوعه<sup>3</sup> كأنهم جراد منتشر كما وصفهم ابن خلدون فمنهم من استقر في المغرب الأدنى ومنهم من واصل الزحف إلى المغرب الأوسط منها رياح وزغبة والمعقل وجشم والأثيج وكان بنو عامر بتخوم تلمسان ويرتلون إلى تيكورارين ويستأجرهم ملك تلمسان، واستقر بنو عروة بضواحي مستغانم<sup>4</sup> وكانوا لصوصاً<sup>1</sup> يعتمدون على الإغارة.

<sup>1</sup> سليمان بن عبد الله: ابن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، جد السليمانيين أصحاب الدولة في تلمسان، صحب الحسين بن علي (الطالبي) في خروجه على (الهادي) العباسي وحضر معه وقعة فخ واستشهد بها 169هـ. ينظر: الزركلي، المصدر ، ج: 3، ص: 128.

<sup>2</sup> إدريس بن عبد الله: بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب سنة 172هـ. ينظر: الزركلي، المصدر ، ج: 1، ص: 279.

<sup>3</sup> الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص: 46.

<sup>4</sup> مستغانم: مدينة بقرب نهر شلف بينها وبين قلعة مغيلة مسيرة يومين، وهي مدينة مسورة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء. وهي ولاية ساحلية تطل على البحر الأبيض المتوسط. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص: 558.

وتجدر الإشارة إلى أن يغمراسن بن زيان حالف أغلب هذه القبائل واسكن العديد منها بنواحي تلمسان متخذاً منها سندا له في مواجهة أعدائه<sup>2</sup> وعونا له في تحصين ملكه.

### 3-1 عناصر أخرى:

#### الأندلسيون:

عرف المغرب الأوسط كغيره من بلدان المغرب الإسلامي لجوء العديد من الأسر الأندلسية، فبعد ازدياد ضغط النصارى على مدن الأندلس فضل العديد من أهلها الهروب من بطش النصارى والعيش في ظل الدول الإسلامية ببلاد العُدوة، وقد كانت مدن المغرب الأوسط من بين المدن التي استقبلت هؤلاء الأندلسيين تلمسان ووهران وبجاية وغيرها من المدن، حيث وجدوا ترحيبا كبيرا من أهلها وعناية فائقة من طرف سلاطين بني عبد الواد خاصة في منتصف القرن التاسع الهجري حيث وفدت على المغرب الأوسط جالية كبيرة نقلت معها علومها و. عارفها وخبرتها في مختلف الميادين استعان بها سلاطين بنو عبد الواد على تسيير شؤون دولتهم.

كان ، من هؤلاء المهاجرين الصناع والمزارعون وأهل العلم والأعلام وأهل البيوتات وأعيان الأندلس<sup>1</sup>، مما جعل السلطان يغمراسن يصدر قرارا<sup>2</sup> يمنحهم حق

<sup>1</sup> الحسن الوزان المصدر ، ج1، ص: 51.

<sup>2</sup> يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 13.

السكن وتملك الأراضي الزراعية لممارسة نشاطهم الفلاحي طالب الجميع بتنفيذ أوامره وقد تولى العديد من الأندلسيين مناصب عليا في الدولة الزيانية، منهم بنو وضاح في عهد يغمراسن حيث جعلهم من أهل الشورى، كما جعل الأديب أبا بكر بن خطاب<sup>3</sup> صاحب القلم الأعلى في بلاطه، ومنهم بنو ملاح الذين تولوا منصب الحجابة<sup>4</sup> وقد كانت معظم المدن الساحلية بالمغرب الأوسط حلت بها جاليات أندلسية زادت في دفع حركة نشاط الاقتصادي وتنوع الثقافة .

#### \* الغز:

وهم من قبائل تركية كانت تسكن وسط آسيا<sup>5</sup> وقد وفدت إلى بلاد المغرب على عدة مراحل، إذ يعد المرابطون أول من أدخلهم إلى المغرب الإسلامي كرماء في الجيش عهد يوسف بن تاشفين (450-500هـ/1088-1106م)<sup>6</sup> أما في العهد الزياني فقد

<sup>1</sup> عبد الرحمن الجبالي، المرجع السابق، ج2، ص: 232.

<sup>2</sup> فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص: 175.

<sup>3</sup> أبو بكر بن خطاب: محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب المرسي، أصله من مرسية من الأندلس كان مشهورا ببلاغته وجودة خطه، قدم تلمسان على يغمراسن بن زيان فولاه كتابة الإنشاء. بنظر: يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج: 1، ص: 111.

<sup>4</sup> يحيى بن خلدون ، ج1، ص: 126.

<sup>5</sup> آسيا: بعدها من جانب الغرب النهر والخليج الفاصلان إياها عن أوروبا، ومن جهة الجنوب بحر اليمن والهند، ومن المشرق أقصى أرض الصين، ومن الشمال أقصى أرض الترك وأجناسهم. بنظر: باقوت الحموي معجم البلدان، ج: 1، بيروت: دار صادر 1977م. ص: 54.

<sup>6</sup> أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي: الأبيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. ترح: كارل يوحنا تورنبرغ، أوبسالة: دار الطباعة المدرسية 1893. ص: 139.



وجدت فرق منهم في الجيش على عهد يغمراسن بن زيان أشار إليهم يحي بن خلدون واشتهر في عهد أبي حمو موسى الأول وابنه أبي تاشفين الأول القائدين الغزيين علي بن حسن وابنه موسى بن علي<sup>1</sup> اللذين توليا قيادة الجيش.

\* ال :

ويقصد بهم سبي النصارى الذين تم إدخالهم إلى بلاد المسلمين وقد كان الزيانيون يستخدمونهم في بلاطهم، وهم من جنسيات أوربية مختلفة ليتم تدريبهم على أعمال القصر وخدمة الحريم، كما استعملوا في فرق الجيش الزياني وحرس السلطان ووصل بعضهم إلى مناصب عليا في الدولة، اعل من أشهرهم ذكرا في تاريخ الدولة الزيانية هو القطلاني<sup>2</sup> وهو من سبي النصارى القطلونيين أهداه السلطان ابن الأحمر إلى عثمان بن يغمراسن، وصار إلى السلطان أبي حمو فأعطاه إلى ولده أبي تاشفين فيما أعطاه من الموالى المعلوجين<sup>2</sup> واللفظ الأخير يبين أنه كان مع غيره من الأعالج: لالة على كثرة تواجدهم.

<sup>1</sup> يحي بن خلدون، المصدر 1، ج1، ص: 129.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص: 152.



\* السودان:

هم الرقيق السود الذين يجلبون من بلاد السودان ويتم بيعهم إلى تجار المغرب واليهود<sup>1</sup>، منهم الرجال والنساء والأطفال، وقد ازداد الطلب على هذا النوع من الرقيق في العهد الزياني نظرا لإتقانهم الأعمال المنزلية والخدمة في الحقول والجيش فقد استخدم أبو حمو موسى فرقة من السود في جيشه تمثلت مهمتهم الرئيسية في حماية السلطان، وأشار على ولده في كتابه واسطة السلوك<sup>2</sup> أن يتخذ منهم بفارقونه طرفة عين.

1-4 - أهل الذمة:

\* النصارى:

يرجع وجودهم إلى العهد المرابطي، فقد استخدمهم المرابطون كفرق مرتزقة تقوم بحراسة السلطان<sup>3</sup>، أما في العهد الموحي فقد اتخذ المأمون الموحي (626-630هـ/1228-1232م) فرقة تحميه وتحرسه، وبقيت تلك الفرق في خدمة السلاطين حيث كان في جيش يغمراسن بن زيان فرقة من روم الموحدين تتكون من ألفي فارس<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المقدمة، المصدر السابق، ص: 70.

<sup>2</sup> أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق ص: 81.

<sup>3</sup> يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 206.

<sup>4</sup> يحيى بن خلدون المصدر السابق، ج1، ص: 114.

تحارب معه بني مرين ومنهم من كان يتولى ادة الجيش مثل العليح مسامح<sup>1</sup> ، وكان في جيش أبي حمو موسى الثاني فرق من النصاري<sup>2</sup> كان يستخدمهم كمرتزقة في جيشه كما أن المسيحيين كانوا يستخدمونهم أيضا داخل القصور كجوارى وخصيان<sup>3</sup> للسهر على خدمة الملك وحريره ووجد منهم الأسرى الذين تم جلبهم من سواحل قطلونية<sup>4</sup> وغيرها نتيجة لعمليات الجهاد البحري.

#### \* اليهود:

تميز اليهود بنشاطهم التجاري في الدولة الزيانية حيث كونوا به أموالا طائلة، واستطاعوا أن يربطوا علاقات اقتصادية قوية بين المغرب الأوسط وأوروبا وكان البعض منهم يؤدي أدوارا مختلفة كإطلاق الأسرى المسيحيين والمسلمين إما بالتفاوض والتبادل أو بالافتداء، وكانوا يعرفون باسم ((الفكاكين))<sup>5</sup> استعملهم بنو زيان في مهام البعثات الدبلوماسية فقد استعمل السلطان عثمان بن يغمراسن ابراهام اليهودي كمبعوث إلى حاكم برشلونة عام 690هـ/1291م<sup>6</sup> نظرا لإتقانه للغة العربية والأجنبية، وقد كان

<sup>1</sup> يحي بن خلدون ج 1، ص: 128.

<sup>2</sup> يحي بن خلدون: ج 2 : بوزياني الدراجي، الجزائر: دار الأهل للدراسات والنشر والتوزيع 2007م. ص: 142.

<sup>3</sup> الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص: 22.

<sup>4</sup> الحسن الوزان ، ج 2، ص: 30.

<sup>5</sup> فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص: 191.

<sup>6</sup> فيلاي، المرجع ، ج 1، ص: 194.

اليهود حارة خاصة بهم في مدينة تلمسان تعرف باسمهم ( حارة اليهود) تضم حوالي خمسمائة دار أغلبهم من الأغنياء، ويضعون عمائم صفراء على رؤوسهم<sup>1</sup> ليتميزوا عن بقية سكان المدينة من المسلمين.

## 2 نوات المجتمع الزياني :

إن واقع الحياة وظروف المعيشة في الدولة الزيانية أنتجت فئات مختلفة داخل النسيج الاجتماعي الواحد، فرضتها الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وكان لكل فئة من هذه الفئات توديه ودورا تلعبه.

### أ - الفئة الحاكمة:

مثل هذه الفئة سلاطين وأمراء الدولة ووزراؤها، وأصحاب الحجابة، وقادة الجند وولاة الأنحاء، ورؤساء الدواوين، وقد عرفت هذه الفئة توسعا ملحوظا لارتباط البعض بعلاقة المصاهرة بالعائلة الحاكمة فمن الطبيعي أن يكون انتماء بني طاع الله عبد الواد إلى علو بقية بطون بني عبد الواد إلى أعلى هرم السلطة، لأنهم من

<sup>1</sup> الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 20.

أوائل الذين بايعوا السلطان يغمراسن بن زيان كانت تعيش حياة رغيدة بحكم مكانتها  
كان لها رواتب ثابتة بالإضافة إلى العطايا والامتيازات التي كانت تحصل عليها  
وكان تحت تصرفهم ضباط لكل منهم كتيبته من الفرسان، لذلك فهم يعتزون بما يملكون  
من مظاهر الأبهة<sup>1</sup> وقد نقل إلينا الحسن الوزان صورة استقبال ملك تلمسان لكبار رجال  
الدولة ولباسه الذي كان يلبسه عند خروجه وغير ذلك بقوله: « ويتبع ملك تلمسان  
مراسم شديدة، فلا يظهر إلا للعظماء ولكبار الشخصيات من رجال حاشيته، ولا يستقبل  
إلا هؤلاء وحدهم..... ولباس الملك جميل لائق، والجواد الذي يركبه رائع مسروج  
«<sup>2</sup> بل إن مارمول قد بالغ في وصفه ملوك تلمسان بأنهم كانوا أقدم وأعظم  
الأمراء بأفريقيا<sup>3</sup>.

أما عن الشخصيات الكبرى والوظائف التي تتولاها داخل بلاط الملك، فهي عديدة  
ومتفاوتة على حسب أهميتها وألويتها أول، هو المزوار نائب الملك<sup>4</sup> وهو  
الحاجب الذي الاتصال بالسلطان في أي وقت شاء، كما أنه ينوب عنه عند غيابه  
في الحرب والسلم<sup>5</sup> وهو المسؤول عن تحديد أجور الحاشية ويرأس الجيوش ويقودها

<sup>1</sup> مارمول، المصدر السابق، ج2، ص:301.

<sup>2</sup> الحسن الوزان، المصدر السابق، ج:1 ص:22.

<sup>3</sup> مارمول، المصدر ، ج2، ص:301.

<sup>4</sup> الحسن الوزان، المصدر ، ج:1 ص:22.

<sup>5</sup> عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص: 130.

كما أنه يمنح الوظائف في بلاط الملك ويتصرف في الأمور كأنه الأمير<sup>1</sup> ثم تأتي الشخصية الثانية وهو المستشار وكبير الكتاب الذي يحرر الرسائل باسم الملك، والمؤمن على . ثم الشخصية الثالثة، وهو أمين بيت المال أو ناظر المالية المكلف بجميع الموارد ثم رابع كبار الدولة وهو صاحب النفقات، وفي الأخير تأتي الشخصية ا وهو قائد الباب والمكلف بحراسة القصر والملك عندما يستقبل الناس<sup>2</sup>، ولكل وظيفة من هذه الوظائف ديوان خاص بها.

#### ب - العلماء والفقهاء:

تعد هذه الفئة واسطة بين السلطة والرعية، فهي من جهة تعيش مع هذه الأخيرة وتشعر بهمومها وآلمها، لذلك تلقى من الرعية الاحترام والإجلال، ومن جهة أخرى بحكم مرتبتها العلمية ومكانتها الاجتماعية كان عند السلطان، وقد أشار أبو حمو موسى الثاني في كتابه إلى ا الفقهاء بقوله « هم مصابيح الدين وبهم تقام الشرائع، وتسد الذرائع، ويعتصم بهم من الأهواء والبدع، ويعتز بهم الإسلام ويرتفع»<sup>3</sup> لذلك نجد سلاطين بني زيان يعنون بالعلماء والفقهاء<sup>4</sup> ويحضرون مجالسهم العلمية.

<sup>1</sup> مارمول، المصدر السابق، ج2، ص:301.

<sup>2</sup> الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص: 22.

<sup>3</sup> أبو حمو موسى ، المصدر السابق، ص: 87.

<sup>4</sup> عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص:153.



اشتغل بعضهم موظفين لدى الدولة هم من كان يرافق السلطان خلال عقده لمجلس المظالم في أيام الجمعة<sup>1</sup> أو يبعث بهم كسفراء إلى الدول المجاورة مثل الفقيه ابن الخطيب الحفيد<sup>2</sup> (ت 842هـ/1439م) الذي أرسل في أكثر من مأمورية سلطانية<sup>3</sup> ومنهم من اختص بخدمة السلطان كالفقيه الشريف التلمساني<sup>4</sup> الذي استخلصه السلطان المريني عندما دخل تلمسان (753هـ/1352م) مع غيره من الفقهاء<sup>5</sup> ومنهم من واصل بالتجارة في محلاتهم واداءتهم التي يملكونها بأسواق المدينة وقيساريته<sup>6</sup> وكانت لديهم محلات بجانب المسجد الجامع اتخذت مكانا يتجمع فيه العلماء، إلى كونها مكانا للتجارة، كما احترف بعضهم الحراثة وتربية الماشية ومنهم من كان خياطا لملابس أو ناسخا للكتب والمصاحف<sup>7</sup> وبيعها في سوق الكتب، وعلى العموم فإن هذه الفئة كانت تتمتع بمنزلة اجتماعية مرموقة<sup>8</sup> كعائلة العقباني التي تعاقب أفرادها على

<sup>1</sup> مختار حساني، المرجع السابق، ج1، ص: 87.

<sup>2</sup> ستاتي ترجمته في الفصل الأول.

<sup>3</sup> عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص: 117، 116.

<sup>4</sup> أبو عبد الله الشريف التلمساني: ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد سنة 710هـ، وتوفي 771هـ، من أشهر علماء تلمسان في وقته. ينظر ترجمته في: نيل الابتهاج، ص: 430، والبستان، ص: 164، وتعريف الخلف، ص: 106.

<sup>5</sup> عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص: 206.

<sup>6</sup> ابن الأحمر، المصدر السابق، ص: 16.

<sup>7</sup> فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص: 218.

<sup>8</sup> مختار حساني، المرجع السابق، ج1، ص: 89.

منصب القضاء مدة طويلة، وقد كانت تتميز هذه الفئة بلباسها المتكون من العمامة التي يضعونها فوق رؤوسهم<sup>1</sup>، والجبّة من الصوف أو القطن.

### ج - الأشراف:

تحدّر هذه الفئة من سلالة إدريس بن عبد الله، وأخوه سليمان الذي جاء إلى تلمسان واستوطنها<sup>2</sup> وتتمتع هذه الفئة بمكانة رفيعة لدى المغاربة عموماً وسكان المغرب الأوسط خصوصاً، وكانوا يحضون بمعاملة خاصة من طرف سلاطين بني زيان، فقد كانوا يعفونهم من الضرائب ويخصونهم بوظائف التدريس، ويقربونهم من مجالسهم<sup>3</sup> ونظراً لأهمية هذه الفئة فقد وصى بها السلطان أبو حمو موسى الثاني ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن بقوله: « ويكون الشرفاء عندك أرفع الناس في الرتب، لشرفهم في الحساب، وأعلامهم في النسب»<sup>4</sup> لذلك نجد سلاطين بني زيان ! ونهم من خواص مجالسهم ويتخذونهم كمستشارين لهم.

### د - المتصوفة:

<sup>1</sup> مختار حساني، ج 1، ص: 121.

<sup>2</sup> ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية المصدر السابق، ص: 4.

<sup>3</sup> ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. مر: محمد بن أبي شنب، الجزائر: المطبعة الثعالبية 1908م، ص: 165.

<sup>4</sup> أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص: 86.

تميز هذا العهد ببروز فئة المتصوفة وكثرتها في أوساط المجتمع الزياني وطغيان فكرها على الحياة الدنيوية ، وقد لقيت قبولا واسعا لدى الجماهير من الناس، حيث كان يتم اللجوء إليهم في أوقات الشدائد والأزمات<sup>1</sup> أنها حظيت باحترام الفئة الحاكمة وإجلالها، ويظهر ذلك في تجيلهم وقضاء حوائجهم، ولعل ذلك بسبب مكانتهم لدى الناس من جهة، ولالتماس الدعاء والبركة لديهم من جهة أخرى، فكان يغمراسن بن زيان يذهب لزيارة سيدي محمد بن عبد الله<sup>2</sup> لنيل البركة وطلب الدعاء من الشيخ.

أما نمط حياتهم وطريقة عيشتهم فكانت تختلف عن غيرهم من الناس، فمنهم من اختار حياة الزهد والتقشف والابتعاد عن ملذات الحياة، وكان لباسهم مقتصرًا على الخشن من الثياب المصنوعة من الصوف أو المرقعات، ومنهم من كان يتجمل ويلبس الملاحف التونسية<sup>3</sup> واكتفوا من الأطعمة بأكل الشعير والنخالة<sup>4</sup> والإكثار من الصوم،<sup>5</sup> وتخيروا سكنى الهين من البيوت يأوون إليها من حر الصيف وبرد الشتاء.

هـ - التجار:

<sup>1</sup> يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص: 54.

<sup>2</sup> مختار حساني، المرجع السابق، ج1، ص: 96.

<sup>3</sup> أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: المناقب المرزوقية. : سلوى الزهراوي، الدار البيضاء: مطبعة النجاح، ط1 2008م، ص: 24.

<sup>4</sup> فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص: 399.

<sup>5</sup> ابن مرزوق المناقب، المصدر ، ص: 25.

برزت في تلمسان بعض الأسر التي اهتمت بالنشاط التجاري، كعائلة النجار والمقري<sup>1</sup> والمرازقة التي كانت تشتغل بتجارة الذهب وريش النعام والرقيق الذي يؤتى به من السودان، وقد عمل أفراد هذه الأسر كوسطاء تجاريين بين بلاد السودان والأندلس ودول البحر المتوسط<sup>2</sup> وصفهم الحسن الوزان أنهم « أناس مخلصون في تجارتهم، ويحرصون على تزويد المدينة بكل ما تحتاجه من مؤن، وغالب أسفارهم التجارية كانت نحو بلاد السودان، وهم أغنى الناس من حيث النقود والممتلكات، ويرتدون لباسا أجمل أحيانا من لباس أهل فاس، لأنهم أكثر أناقة وسخاء»<sup>3</sup>.

استطاعت هذه الأسر التي اشتهرت بالتجارة بين بلاد السودان والمغرب والأندلس أن تعقد صداقات طيبة مع حكام تلك البلاد حتى أن كبير أسرة شركة المقري كان يقوم كم بلاد التكرور<sup>4</sup> بخاطبه « بالصديق الأحب والخالصة الأقرب»<sup>5</sup> وهذا إن دل على شيء دل على نفوذهم بالأموال التي كانوا يحوزونها والأرباح التي كانوا

<sup>1</sup> أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. ج5 : إحصان عباس، بيروت: دار صادر، 1988م، ص:206.

<sup>2</sup> فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص:216.

<sup>3</sup> الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص:21.

<sup>4</sup> تكرر: مدينة في بلاد السودان بالقرب من مدينة صنغانة، إليها يسافر أهل المغرب الأقصى بالصوف والنحاس والخرز، ويعودون منها بالتبر والعبيد. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص:134.

<sup>5</sup> المقري، المصدر السابق، ج5، ص:206.



يحصلونها، واتصفوا بالطيب والوفاء في تجارتهم وحسن التدبير<sup>1</sup> فقد « مهدوا طريق الصحراء، بحفر الآبار وتأمين التجار، واتخذوا طبلًا للرحيل وراية تقدم عند الرحيل»<sup>2</sup>. ويمكن أن نصنف ضمن هذه الفئة أيضا، التجار الكبار وأرباب الحرف وأصحاب رؤوس الأموال الكبيرة، وتجار القوافل المتنقلة بين مناطق الاستهلاك ومناطق الإنتاج، الذين كانت غالب تجارتهم<sup>3</sup> التي يجلبون منها الكثير من الد التبر والعنبر والمسك والرقيق السود، محققين بذلك أرباحا طائلة « حتى لتكفي الرحلتان أو الثلاث ليستغني التاجر»<sup>4</sup> كما يمكن أن نضيف لهؤلاء الوسطاء والوكلاء والسماسرة في الأنشطة التجاري والصناعية<sup>5</sup>.

وإلى جانب هذه الفئة الكبيرة من التجار، وجد تجار صغار اشتغلوا بالتجارة في نكاكينهم الصغيرة المنتشرة على طول أزقة تلمسان، وقد ينتقل بعضهم إلى المدن

<sup>1</sup> مارمول، المصدر السابق، ج2، ص:300.

<sup>2</sup> المقري، المصدر ، ج5، ص: 205.

<sup>3</sup> : مملكة غينيا يسميها التجار الأفارقة كناوة، تقع ولاتة في شمالها وتبكتو في الشرق ومالي في الجنوب، وتمتد طول النيجر على مسافة نحو 250ميلا، ولها جزء على المحيط حيث يصب النيجر في البحر. بنظر: الحسن الوزان المصدر السابق، ج:2، ص: 162.

<sup>4</sup> مارمول، المصدر ، ج2، ص:300.

<sup>5</sup> فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص: 215.



المجاورة والأسواق اليومية<sup>1</sup> والأسبوعية والموسمية في القرى والبادي لأنهم كانوا يجدون في ذلك مصدرا للربح.

## و - الصناع:

زايد عددهم خاصة بعد هجرات الأندلسيين إلى مدن المغرب الأوسط، حيث نقلوا معهم خبراتهم الحرفية، وخصصت لهم دكاكين مرتبة في المدينة<sup>2</sup> وعرفوا بنظام الطوائف الحرفية، فكانت كل طائفة تتجمع في مكان واحد وتتسمى بنوع الحرفة أو الصناعة التي تمارسها، وهو ما أشار إليه الحسن الوزان بقوله: « وجميع الصنائع والتجارات بتلمسان موزعة على مختلف الساحات والأزقة»<sup>3</sup> وكانوا يتحصلون على مداخيل هامة نظرا لجودة صناعتهم، فقد كانوا يصنعون الأقمصة والزرايب الفاخرة والمعاطف الرفيعة جدا ولجم الخيل وركاباتها<sup>4</sup>، وعلى العموم فقد اتسمت صناعتهم بالإتقان الجيد وهو ما جعل الإقبال عليها من طرف سكان المغرب الاسلامي والسودان الغربي كبيرا كما كانت لهم صناعات يقومون بها على جوانب نهر الورييط<sup>5</sup>، كأرحية

<sup>1</sup> يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 37.

<sup>2</sup> مارمول، المصدر السابق، ج2، ص: 298.

<sup>3</sup> الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 19.

<sup>4</sup> مارمول، المصدر السابق، ج2، ص: 300.

<sup>5</sup> نهر لورييط: أصله من عيون تسمى لورييط يمد مدينة تلمسان بالماء وهو من عمل الأول بينها وبين المدينة حوالي ستة أميال. ينظر: الحميري المصدر السابق، ص: 135.

طحن القمح التي كانت موجودة على نهر سفسف<sup>1</sup>، ومنحدرات رأس القلعة<sup>2</sup> التي كانت تزود المدينة بالطحين.

ومن صفاتهم أنهم يتميزون بالقوة ويعيشون عيشة راضية، ويحبون التمتع بالحياة<sup>3</sup> ويتميز لباسهم بالقصر، و يضعون العمائم بل يكتفون بوضع قلنسوة على رؤوسهم، ونعالهم تعلو حتى نصف الساق، كما تميزوا بالنشاط والمهارة في صناعتهم ومنتجاتهم الحرفية والتقليدية التي عرفت تطورا ملحوظا في تلمسان وتختلف مداخل عرفاء الصنائع، وأمناء الحرف وأصحاب الورشات<sup>4</sup> عن الحرفيين أصحاب الأجر اليومي التي تتسم بضعف الدخل.

## ز - الجنود:

كان الجيش في العهد الزياني يتكون من عدة أصناف م الأعيان وهم الرؤساء والقواد الذين أوكلت إليهم مهام قيادة الجيش ومرافقة الملك، ويحضون مقابل ذلك بالعديد من الامتيازات والإعفاءات من الضرائب، بالإضافة إلى رواتبهم الجيدة<sup>5</sup>

<sup>1</sup> نهر سفسف: نهر كبير يمر بمدينة تلمسان ، ويسمى أيضا بنهر سطفيف. ينظر: الحميري المصدر ص: 135.

<sup>2</sup> الحسن الوزان، المصدر ، ج2، ص: 19.

<sup>3</sup> ارمول، المصدر ، ج2، ص: 300.

<sup>4</sup> فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص: 222.

<sup>5</sup> مارمول، المصدر السابق، ج: 2، ص: 300.

ومنهم القبيل وهم مطلق رعايا بني عبد الواد ويعرف رئيسهم بلقب "الشيخ" وهم نخبة الجيش وخالصته<sup>1</sup> تحدد لكل طبقة منهم وهم أناس يقومون بخدمة الملك ويتقاضون مقابلها أجرة ملائمة بالإضافة إلى ما يتحصلون عليه من مكافآت وعطايا نظير مشاركتهم في الحملات والمعارك العسكرية ويصف الحسن الوزان لباسهم بأنه أسوأ لباس، وقد يرجع ذلك إلى طبيعة عملهم إذ يضعون على ظهرهم قميصا واسعا عريض الكمين يغطونه بكساء كبير جدا من قماش القطن يلتفون فيه شتاءً وصيفاً أما العسكريون الأرقى درجة فإن لباسهم يمتاز عن الجنود العاديين حيث « يضعون فوق القميص كساء آخر من الجوخ وفوقه معطف على نمط المعاطف التي كانت تستعمل قديما في إيطاليا للأسفار يغطون به رؤوسهم عند نزول المطر»<sup>2</sup>.

### ح - الطلبة:

وضعهم الوزان في الطبقة الأخيرة من تقسيمه، ووصفهم بأنهم أفقر الناس لأنهم يعيشون عيشة بئيسة في مدارسهم، وكانت ألبستهم تختلف باختلاف جهاتهم، فالجبلي يلبس لباس أهل الجبل والأعرابي لباس الأعراب، أما الأساتذة والقضاة والأئمة وغيرهم من الموظفين فإن لباسهم أحسن من لباس الطلبة، حيث خصصت السلطة الرواتب والأجور للمدرسين والعاملين في المدارس كما حملت على عاتقها التكفل بإعانة الطلبة

<sup>1</sup> عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج: 2، ص: 130.

<sup>2</sup> الحسن الوزان، ج: 2، المصدر السابق، ص: 21.

ماديا من نفقة ومصاريف، أما أكلهم ومبيتهم فقد « كانت تتكفل المدارس الخمس بمعاشهم بكيفية منتظمة »<sup>1</sup>، ومن بين العلوم التي كانوا يدرسونها علوم الشريعة والعلوم الطبيعية<sup>2</sup> إلى غير ذلك من العلوم.

امتدت حدود دولة بني زيان من وادي ملوية غربا إلى حدود مدينة بجاية شرقا، وشمالا من بحر الشام إلى ما وراء إقليم توات الصحراوي جنوبا، غير أن هذه الحدود لم تكن ثابتة على الدوام، بل كانت تتمدد وتتقلص حسب الظروف السياسية التي كانت تمر بها الدولة، في حين ظلت تلمسان عاصمتها السياسية إلى غاية سقوطها.

ينتسب بنو زيان إلى جدهم " عابد الواد" لذلك عرفوا ببني عبد الواد، وهم من قبيلة زناتة البترية، وقد كانوا في بداية أمرهم في خدمة الموحدين وطاعتهم، ومع مرور الوقت أقروهم على ولاية تلمسان وسائر بلاد زناتة، وبعد أحداث سياسية كثيرة آل الحكم إلى يغمراسن بن زيان (633هـ/1236م) المؤسس الفعلي للدولة الزيانية.

عاش في دولة بني زيان عناصر بشرية مختلفة شكلت نسيجها الاجتماعي، فهي تتكون من عدة قبائل بربرية كبني عبد الواد وبني يفرن ومغراوة، وبني يلومي وبني وامانو وبني راشد وبني توجين، وبني زردال وبني مصاب و مديونة وغيرهم... أما

<sup>1</sup> الحسن الوزان المصدر السابق ج2، ص:19.

<sup>2</sup> الحسن الوزان ، ج 2 ص:21.

العرب فمنهم عرب الفتح ومنهم الهالليون، بالإضافة إلى وجود عناصر أخرى كالأندلسيين و الغز والصفالبة والسودانيين، كما لا ننسى حضور أهل الذمة من يهود ونصارى.

ويمكن تقسيم المجتمع الزياني إلى فئات مختلفة، حيث تأتي فئة الحكام في المرتبة الأولى وتليها فئة العلماء والفقهاء والأشراف والمتصوفة، ثم تأتي فئة التجار والصناع والجنود والطلبة، ولا يمكن أن نغفل دور المرأة الزيانية في هذه التركيبة الاجتماعية لأنها مكون أساسي للمجتمع، فقد شاركت في جميع المجالات الثقافية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.



# الفصل الأول

## أوضاع الفقهاء والمتصوفة في الدولة الزيانية

القرنين 8-10 هـ / 14-16 م

أولاً: :

1 — الفقه (المفهوم والدلالة):

أ — المفهوم الذي:

ب — المفهوم الاصطلاحي:

2 المذهب المالكي قبيل العهد الزياني.

3 العودة إلى العمل المذهب المالكي العهد الزياني.

4 مكانة الفقهاء الاجتماعية والعلمية وإنتاجهم الفكري بين

القرنين: 8-10 هـ / 14-16 م.

أ – مكانتهم الاجتماعية

ب – مكانتهم العلمية وإنتاجهم الفكري

## ظهور التيار الاجتهادي في الفقه.

: :

1 التصوف (المفهوم والدلالة):

أ - المفهوم اللغوي:

ب - المفهوم الاصطلاحي:

2 أقسام التصوف

أ التصوف السني

ب التصوف الفلسفي

3 نشأة التصوف ، المغرب الأوسط.

4 عوامل انتشار التصوف ، المغرب الأوسط

## 5 أبرز أعلام التصوف في العهد الزياني، وأهم مؤلفاتهم

مابين القرنين 8-10هـ/14-16م.

من الثابت تاريخيا أن دولة الموحدين قد عملت على محاربة المذهب المالكي وحاولت طمسه حتى كادت أن تمحوه، فكيف تمت العودة إلى العمل به في العهد الزياني كيف كانت مكانة فقهاء المالكية في الأوساط العلمية والاجتماعية ومتى وكيف كانت نشأة التيار الصوفي في المغرب الأوسط ما العوامل التي أدت إلى انتشاره ومن هم أبرز أعلام هذا التيار خلال العهد الزياني؟

طغى على الساحة الفكرية في الدولة الزيانية الجانب الديني، وقد مثله ثلة من العلماء الذين اشتهروا بثقافتهم العالية، وشهرتهم الواسعة وساهموا في تنشيط الحركة الثقافية وتفعيلها من خلال الاشتغال بالعلوم العقلية والنقلية، وكان من بين هؤلاء العلماء من غلب عليه الجانب الفقهي، خاصة المذهب المالكي الذي يمثل مذهب الدولة الرسمي حيث شجع سلاطين بنو زيان العودة إلى العمل به من خلال الاعتراف بعلمائه وتوفير



الرعاية لهم، وكذلك من خلال بناء المؤسسات الدينية والمدارس التعليمية التي تقوم على خدمته.

## أولا الفقه والفقهاء في العهد الزياني :

### 1 فهم الفقه :

الفقه هو اسم علم من العلوم المدونة<sup>1</sup> أو هو عبارة عن فهم غرض المتكلم من ولغة هو الفهم العميق النافذ الذي يتعرف غايات الأقوال والأفعال<sup>3</sup> ومنه قوله :  
وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَّهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّغْنَا هُمُضًا أُولَٰئِكَ هُمُ

الْعُقُلُونَ<sup>4</sup> والفقه معناه أيضا إدراك معاني الكلام، ومنه قوله ت : ( أَحَلَّلَ عُقْدَةَ

يَفْقَهُوا قَوْلِي<sup>5</sup> وهو التصديق بالقضايا الشرعية المتعلقة بكيفية العلم

<sup>1</sup> محمد علي التاهنوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج:1 : علي نحروج، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون 1996م، ط:1، ص:1282.

<sup>2</sup> علي بن محمد الجرجاني: معجم التعريفات. : محمد صديق المنشاوي، القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، د. س. ص: 141.

<sup>3</sup> محمد أبو زهرة: أصول الفقه، دار الفكر العربي، د، ت، ص: 6.

<sup>4</sup> سورة الأعراف، الآية: 179.

<sup>5</sup> سورة، طه، الآية، 27 28.

صديقا حاصلًا من الأدلة التفصيلية التي نصبت في الشرع على تلك القضايا<sup>1</sup>  
وا قوله عليه السلام: { من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين }<sup>2</sup> أي يطلعه على  
ومقاصده.

وجاء في لسان العرب: الفقه هو العلم بالشيء والفهم له وغلب على علم الدين  
لسادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم، فجعله العرف خاصا بعلم الشريعة<sup>3</sup>  
شرفها الله تعالى وتخصيصا بعلم الفروع منها.

## 2: فهوم الفقه اصطلاحا :

هو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية<sup>4</sup> : وَلَوْ رَدُّوهُ  
أ وَإِلَىٰ أَوْلِيَ الْأَمْرِ مِثْمَهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ<sup>5</sup> أي هو استنباط  
حكم المشكل من الواضح، قال عليه السلام { ربه حامل فقه غير فقيه }<sup>6</sup> أي غير مستنبط ومعناه أن  
يحمل الرواية من غير أن يكون له استدلال واستنباط فيها وللفقه أصول وقواعد يتوصل

<sup>1</sup> محمد مصطفى الزحيلي: الوجيز في أصول الفقه الاسلامي، ج1، دمشق: دار الخير، 2006م، ط: 2، ص: 21.

<sup>2</sup> أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال: مسند الإمام أحمد، ج: 28 مؤسسة الرسالة، ط: 1، 2001م، ص: 75.

<sup>3</sup> جمال الدين أبو الفضل، ابن منظور: لسان العرب، : 5، القاهرة: دار المعارف، دت، ص: 3450.

<sup>4</sup> محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص: 6.

<sup>5</sup> سورة النساء، الآية، 83.

<sup>6</sup> أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير، ج: 13، ص: 622.

بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية بالاستدلال<sup>1</sup>، والفقهاء في الاصطلاح مقصور على معرفة ما للنفس وما عليها من الأحكام (العملية) وهذه الكلمة الأخيرة زادا الأحناف لتخرج الاعتقادات والوجدانيات<sup>2</sup> من التعريف الاصطلاحي للفقهاء.

أما ابن خلدون فيعرفه بقوله: «الفقهاء معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكره والإباحة، وهي متفاعة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه»<sup>3</sup> فهو يتناول كل مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأحوال الشخصية وغيرها..

### 3 حالة المذهب المالكي قبل العهد الزياني :

ن الثابت تاريخياً أن دولة الموحدين قد قامت على دعوة دينية كان مذهبها مابينا لمذهب الدولة المرابطية التي اتخذت المذهب المالكي مذهبها الرسمي، لذلك نجد الكثير من خلفاء الموحدين يقفون موقف المعادي للمذهب المالكي ويحرصون على محاربته وبدأت هذه السياسة واضحة في عهد خلفاء الدولة الأوائل فقد أشار ابن الخطيب

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: شرح العضد لمختصر ابن الحاجب وضع حواشيه، فادي نصيف، وطارق يحي، بيروت: دار الكتب العلمية 2000م، ط:1، ص: 9.

<sup>2</sup> رهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلتها، ج:1، دمشق: دار الفكر 1985م، ط:2، ص:16.

<sup>3</sup> مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص:563.

شرح له لقصيدته رقم الحل، إلى أن ابن تومرت<sup>1</sup> كان ينكر كتب الرأي والتقليد وله باع في علم الكلام<sup>2</sup> ففكرة إنكار الرأي في الفروع الفقهية متأصلة منذ عهد ابن تومرت.

كانت نية عبد المؤمن بن علي (541-558هـ/1147-1148م) محو مذهب الإمام مالك وإزالته من المغرب كله، يقول ابن أبي زرع الفاسي: « ثم دخلت سنة خمسين وخمسم فيها أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بإصلاح المساجد.....وتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث، وكتب بذلك إلى جميع طلبته من بلاد الأندلس والعدوة<sup>3</sup> » لكن أمره هذا لم ينفذ ولو وقع تنفيذه كما يقول المنوني لكان جديرا بالتصريح به والتتصيص عليه<sup>4</sup> في كتب المؤرخين، لكن يبدو أن الأمر وقف عند حد الأمر به، ثم رأى عبد المؤمن أن الوقت غير مناسب لذلك.

<sup>1</sup> ابن تومرت: أبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن تومرت البربري المصمودي الهرغي، الخارج بالمغرب المدعي أنه حسني علوي، وأنه الإمام المعصوم المهدي، مؤسس دولة الموحدين، وكان جل ما يدعو إليه الاعتقاد على رأي الأشعري. ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء. ج: 19 : شعيب الأرنؤوط، ونعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة ط: 11 1996م. ص: 539.

<sup>2</sup> أبو عبد الله بن الخطيب السلماني: رقم الحل في نظم الدول، تونس: المطبعة العمومية 1316هـ. ص: 57.

<sup>3</sup> ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس المصدر السابق، ص: 127.

<sup>4</sup> محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، الرباط: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر 1977م، ط: 2، ص: 52.



أما في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (558 - 580/1163 - 1164م)<sup>1</sup> فقد بدأ التمهيد للفكرة بإنكاره للأراء الكثيرة في المسألة الواحدة، واختلاف الفقهاء حولها فقد نقل صاحب المعجب عن أبي بكر بن الجد قوله: «لما دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب أول دخلة دخلتها عليه، وجدت بين يديه كتاب ابن يونس :

أبا بكر أنا أنظر في هذه الآراء المتشعبة التي أحدثت في دين الله، أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا، فأبي هذه الأقوال هو الحق وأيها يجب أن يأخذ به المقلد؟ فافتتحت أبين له ما أشكل عليه من ذلك فقال لي وقطع :

يا أبا بكر ليس إلا هذا وأشار إلى المصحف، أو هذا، وأشار إلى كتاب سنن أبي داوود، وكان عن يمينه، أو السيف!<sup>2</sup> وهي إشارة يفهم منها أن يوسف بن عبد المؤمن كان يفكر في إبطال العمل بالمذهب المالكي، وفرض العمل بالظاهر<sup>3</sup> من الكتاب والسنة على طريقة الاجتهاد ولو اقتضى ذلك استعمال قوة السيف.

<sup>1</sup> يوسف بن عبد المؤمن: أبو يعقوب الكومي الموحد، كان فقيها حافظا متقنا ، لكنه كان ميالا إلى الحكمة والفلسفة. بنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج: 7، ص: 130.

<sup>2</sup> عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، الكتاب الثالث، : محمد سعيد العريان، ص، ص: 355 356.

<sup>3</sup> المقصود هنا هو المذهب الظاهري القائم على اتباع ظاهر النصوص، وقد ظهر هذا المذهب على يد داوود الظاهري(ت270هـ) ببغداد، أما في المغرب الاسلامي فقد كان زعيمه ابن حزم (ت456هـ) في الأندلس. بنظر: أحمد



بقيت فكرة محاربة المذهب المالكي في طور الفكرة إلى أن كانت خلافة يعقوب

المنصور (580 - 595 هـ/1184 - 1185 م)<sup>1</sup> الخليفة الموحد الثالث الذي جسدها بأن»

الناس على الظاهر من القرآن والحديث، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده، إلا

أنهما لم يظهره وأظهره يعقوب هذا»<sup>2</sup> يفهم من هذا أن يعقوب المنصور جسّد الفكرة

بصفة عملية، وإلا فإن الفكرة كان قد سبقه إليها أبوه وجده من قبل حيث كان يميلان

إلى هذا الرأي لم يظهره.

وقد ابتلي فقهاء المالكية بترك الاشتغال بكتب المذهب، وامتحنوا في ذلك امتحانا

شديدا خاصة في خلافة يعقوب المنصور الذي أمر برفض فروع الفقه وإحراق كتب

المذهب وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة<sup>3</sup> وأن لا يفتي الفقهاء إلا من الكتاب والسنة

النبوية ولا يقلدون أحدا من أئمة الاجتهاد<sup>4</sup> بل تكون أحكامهم بما يؤدي إليه اجتهادهم

عن طريق استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس فكانت كتب

المذهب المالكي تجمع من عند أصحابها ويؤتى بها بالأحمال، توضع في الساحات

---

بكير محمود، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، بيروت: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 1 1990 م. ص: 135.

<sup>1</sup> أبو يوسف يعقوب: الخليفة الموحد الثالث، تلقب بالمنصور وفي عهده كانت وقعة الأرك سنة 591 هـ التي انتصر فيها المسلمون على النصاري، كانت وفاته بمراكش سنة 595 هـ. ينظر: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص: 159.

<sup>2</sup> عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص: 355.

<sup>3</sup> عبد الواحد المراكشي نفسه، ص: 355.

<sup>4</sup> السلاوي، المرجع السابق، ج: 1، ص: 182.

وتشعل فيها النار . انقطع « في أيام علم الفروع وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد، كمدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادير ابن أبي زيد ومختصره، وكتاب التهذيب للبرادعي وواضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها...»<sup>1</sup> فقد كانت نيته إزالة مذهب مالك من المغرب كله، وإحلال المذهب الظاهري مكانه وكنتيجة لهذه الحركة الاجتهادية والنزعة المتحررة فقد ظهر حفاظ ومؤلفون في السنة وانتصر أو كاد المذهب الظاهري يومئذ بالمغرب على المستوى الرسمي.

بالرغم من أن الموحدون قد أوقعوا المحن بأصحاب الفروع وقتلوهم وضربوهم بالسياط، وألزموهم الأيمان المغلظة من عتق وطلاق وغيرهما على أن لا يتمسكوا بشيء من كتب مالك، فإن ذلك لم يثن فقهاء المالكية عن ملازمة مذهبهم والتعصب له، إن أغلبهم ساخطين على المذهب الظاهري كارهين إلا .

#### 4 - العودة إلى مذهب المالكي في العهد الزياني :

<sup>1</sup> عبد الواحد المراكشي، المصدر ، ص: 354.

استمر العمل بالمذهب الظاهري مع بقية خلفاء الموحدين إلى أن كانت خلافة إدريس المأمون بن المنصور (624-629هـ/1227-1228م) حيث سعى إلى توطيد ملكه من طريق القضاء على سياسة أسلافه كتب إلى جميع العمال في بلاده يأمرهم قائلا بأن: « كل ما فعله المهدي وتابعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل لإبقاء البدع »<sup>1</sup> وعمل على رفض تعاليم المهدي ولعنها والرجوع بالناس إلى مذهب الإمام مالك<sup>2</sup> استعطافا للرعية الناقمة عليه.

ويبدو أن هذا الأمر الذي أقدم عليه المأمون م يلق معارضة قوية من طرف الموحدين ولم تترتب عليه أية معارضة أو بوادر انتفاض بل إن العكس هو الذي وقع فقد أشاد الشعراء بتصرفه ومدحوه في قصائد عديدة<sup>3</sup> وتجدر الإشارة هنا إلى أن أبو العلاء إدريس المأمون هذا هو الذي عقد لأبي محمد جابر بن يوسف شيخ بني عبد الواد على ولاية تلمسان 627هـ/1230م، فاستبد بها بعد ذلك وأورثها بنيه من بعده واستقلوا 633هـ/1236م وقطعوا دعوة الموحدين.

إن زوال الفلسفة الموحدية قد أفسح المجال أمام الفقهاء المالكية الذين عادوا إلى الاعتناء بالفروع وإحياء السنة والعناية بالمسائل الفقهية، فرغم سياسة الموحدين تجاه المذهب المالكي فقد كان المغاربة أشد تمسكا به، كما أن أهل المغرب الأوسط منذ العهود

<sup>1</sup> ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 198.

<sup>2</sup> عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج:2، ص:314.

<sup>3</sup> محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين، ج:5، مصر: مكتبة الخانجي، د. ط، ص: 372.

الأولى كانوا على مذهب الإمام مالك، قضاءً وفتياً وتدريساً شديد التمسك به، وهو ما جعل البكري يصف تلمسان بقوله: « ولم تزل تلمسانُ داراً للعلماء والمحدثين وحمة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله»<sup>1</sup>.

أما في العهد الزياني، نجد أن سلاطين بني عبد الواد قد عمدوا إلى بناء المدارس لتدريس العلوم المختلفة خاصة منها ما تعلق بالمذهب المالكي وذلك لرد الاعتبار لعلمائه الذين تعرضوا لمضايقات وابتلاءات زمن الموحدين<sup>2</sup> وتعزيز مكانة المذهب الدولة عن طريق تخريج علماء يعملون بما جاء فيه، وإن نظرة سريعة في كتب التراجم عن الذين تولوا التدريس في المدارس الزيانية من فطاحل علماء المالكية لخير شاهد على حرص سلاطين بني زيان على التمكين، مذهب المالكي بالمغرب الأوسط وإعادة إحيائه وهو دليل على أن الحركة التعليمية بالمغرب الأوسط قد نشأت في كنف علماء المالكية الذين تخرج على أيديهم الكثير من طلبة العلم وصاروا أئمة أعلام وأصحاب مؤلفات وفتاوى لا تخرج في الغالب الأعم عن حدود المذهب المالكي، منهم العلامة الشريف التلمساني، والعلامة الخطيب بن مرزوق الجد، والإمام المقرئ الجد، وأبو عثمان العقباني في جماعة كثيرة ممن طبقت شهرتهم الآفاق.

<sup>1</sup> البكري، المصدر السابق، ص: 77.

<sup>2</sup> صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، الجزائر دار القصبة للنشر 2007م، ص: 140.



وكان سلاطين بني زيان متمسكين بإعادة المذهب المالكي للحياة العامة، من

بناء المدارس والمؤسسات الدينية<sup>1</sup> واستقدام أشهر العلماء للتدريس بها، باذلين لهم كل ما يحتاجونه من دعم مادي ومعنوي، فقد كان لهم رعاية مستمرة بالعلم والعلماء وبعد السلطان يغمراسن بن زيان أول من بدأ بتشجيع حركة استقطاب فقهاء وعلماء المالكية وترغيبهم في القدوم إلى تلمسان، وذلك عن طريق الإغداق عليهم بالأموال والهدايا والجرایات، وتشجيعهم على التدريس والتأليف وإن استقدمه « لفقیه المالکی أبي إسحاق بن یخلف التنسی إلى تلمسان لتدريس العلوم الدينية، كان هدفه تثبيت قواعد المذهب المالكي ودعمه»<sup>2</sup> ولما قدم هذا الأخير إلى تلمسان كان يجتمع إليه فقهاء البلد ليأخذوا عنه العلم، فقد كان أبو إسحاق هذا واحد عصره علما ودينا<sup>3</sup> وبتأتيه الفتاوى حتى من إفريقية وتلمسان وهو بتتس.

وفي عهد السلطان أبي حمو موسى الأول وفد على تلمسان الفقيهان الكبيران ابن الإمام اللذان توليا التدريس في أول مؤسسة تربوية تقام في حاضرة بني زيان وسميت فقد جاء في ترجمة الأخوين ابني الإمام قول التنبكتي « العالمان الراسخان والعلمان الشامخان المشهوران شرقا وغربا الحافظان العلامتان، ذكرهما ابن فرحون

<sup>1</sup> بشأن المؤسسات التعليمية التي بناها سلاطين بني عبد الواد في تلمسان ينظر: الملحق رقم 3.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بالأعرج: العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان 2007/2008م، ص: 43.

<sup>3</sup> للتنسي: المصدر السابق، ص، ص: 126 127.



: أبو زيد شيخ المالكية بتلمسان العلامة الأوحى أكبر الأخوين المشهورين بأولاد الإمام التنسي البرشكي وهما فاضلا المغرب في وقتها<sup>1</sup> حيث قريهما أبو حمو موسى إليه، وبنى لهما مدرسة سماها باسمهما، وقد توارث سلاطين بني زيان حب تقريب العلماء وخدمتهم والاحتفاء بهم، فنجد السلطان أب تاشفين الأول لما وفد عليه العالم الكبير أبو موسى عمران المشدالي، أعرف أهل عصره بمذهب مالك<sup>2</sup> أكرم نزله و ولاه التدريس بمدرسته الجديدة المعروفة بالمدرسة التاشفينية.

أما أبو حمو موسى الثاني فقد كانت له عناية خاصة بالعلم وأهله باعتباره ذا ثقافة واسعة وملما بالعديد من العلوم المختلفة، فكان يعقد مجالس خاصة لكبار العلماء لمناقشة قضايا العلم والفقهاء والسيرة النبوية<sup>3</sup>، ونال الفقهاء والعلماء عطفه وكرمه وازدهر الفقه المالكي في عهده بالمغرب الأوسط ازدهرا لم يكن من قبل ولما أكمل بناء المدرسة اليعقوبية استدعى الشريف أبا عبد الله التلمساني الذي وصفه التنبكتي بقوله: «  
وحده، وفريد عصره، انتهت إليه إمامة المالكية بالمغرب وضربت إليه آباط الإبل شرقا وغربا، فهو علم علمائها ورافع لوائها»<sup>4</sup> وزوجه السلطان أبو حمو بابنته وكان يكثر من

<sup>1</sup> أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، نق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس: دار الكتاب ط: 2000م، ص: 245.

<sup>2</sup> التنسي: المصدر السابق، ص: 141.

<sup>3</sup> : المرجع السابق، ج: 1، ص: 323.

<sup>4</sup> التنبكتي: المصدر السابق، ص: 433 432.

حضور مجالسه المتعددة الفنون، من بينها مذهبه الكلامي في إطار المذهب المالكي<sup>1</sup> الذي علا على كل مذهب في المغرب الأوسط.

5 مكانة الفقهاء الاجتماعية والعلمية وإنتاجهم العلمي بين القرنين (8-10هـ/14-16م).

#### أ - مكانتهم الاجتماعية:

تبرز مكانة المذهب المالكي في العهد الزياني خلال الفترة المدروسة من خلال كثرة الأعلام المالكية الذين حفلت بهم كتب التراجم التي تعود لهذه الفترة (8-10هـ/14-16م)، فقد عرفت هذه المرحلة عددا من الفقهاء الذين تبوءوا منزلة مرموقة وعاشوا خلالها حياة اجتماعية حازوا فيها حظوة لدى الحكم والرعية على حد سواء فنجد بأن سلاطين بني زيان قد رفعوا من شأن الفقهاء وأفسحوا لهم المجال لبث علومهم وتدريسها، وساعدوهم على ذلك ببناء المدارس والإنفاق عليها وترتيب الجرايات لهم والرفع من شأنهم عن طريق تعيينهم في وظائف الخطابة والقضاء والفتيا، بل واتخاذ البعض منهم جلساء في مجالسهم السلطانية، وقبول شفاعتهم والجلوس في مجالس نروسهم والمشى في جنازهم، وغير ذلك من الأمور التي تبرز الـ الاجتماعية هؤلاء الفقهاء لدى الطبقة الحاكمة.

<sup>1</sup> المرجع ، ج:1، ص:323.

بلغ الفقهاء مكانة عليا من التقدير والاحترام من طرف الخاصة والعامة لوقوفهم مع الحق، مما جعل السلاطين يسندون لهم مهام إدارية كالسفارة والحسبة ومراقبة الأسواق والقضاء، كما كان العديد من العلماء يتصف بالجرأة<sup>1</sup> قول الحق، حيث تشير كتب التراجم والمصنفات النوازلية إلى العديد من الوقائع التي تسجل أشكال الرفض الذي كان بعض الفقهاء يبديه تجاه ممارسات السلطة مما زاد في هيبة واحترام الناس لهم إلى سعيهم في قضاء حوائج الناس والشفاعة لهم عند السلطان<sup>1</sup> ووقوفهم مع المجتمع مثلما فعل الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن الإمام عندما ندب السلطان أبو الحسن المريني الناس إلى الإعانة بأموالهم على الجهاد وكانوا في ضيق :

بصح لك هذا حتى تكنس بيت المال، وتصلي فيه ركعتين كما فعل علي بن أبي طالب<sup>2</sup> فرجع السلطان عن قراره وعدل عنه، فحفظ الناس لابن الإمام هذا الموقف وازداد بسببه رفعة في أعينهم ومحبة في قلوبهم.

وقد أشارت كتب التراجم إلى أن الفقيه العالم الشريف التلمساني كان مهيبا محببا جعل الله محبته في القلوب، فكل من رآه أحبه وإن لم يعرفه، وكان ينصر المظلوم ويقضي حوائج الناس، ومما يحكى عنه أنه قال « لبعض الملوك وقد أمر بضرب فقيه:

<sup>1</sup> محمد بن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، 1 : ماريّا خيسوس راء، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981م. ص: 322.

<sup>2</sup> المقري: المصدر السابق، ج:5، ص: 221.

إن كان عندك صغير فهو عند الناس ، وإنه من أهل العلم فنجا الفقيه وسرح مكرما<sup>1</sup> ولما كان أبو حمو في أول أمره، دخل عليه بعض المرابطين ولم يبايعه مثلما يبايعه الناس فغضب السلطان من تصرفه، وأراد به شرا لولا أن الفقيه أبا عبد الله الشريف تدخل بوضاح موقف المرابط قائلا: « هذه عادته مع من تقدم من الملوك وهو من أهل الله، فانكسر غضبه وأكرم المرابط وولاه قبيلة<sup>2</sup> » وهو ما يدل على مكانة هذا العلم عند الناس وعند الملوك لأنه لم يكن يسألهم حولا يكلمهم إلا بما يسوغ شرعا.

وعندما سجنه السلطان المريني أبو عنان، وجاءه شيخ أعراب إفريقية سأله ماذا يقول الناس عني إفريقية : خيرا، غير أنهم سمعوا بسجنك عالما شريفا كبيرا القدر فلامك فيه العامة والخاصة، فأسرع بإطلاق سراحه، وما زال يعتذر له عنها حتى مات<sup>3</sup> بعد أن عرف مكانته بين الناس.

#### ب - مكانتهم العلمية وأهم:

أما مكانتهم العلمية فتظهر من خلال كثرة تلاميذهم ووزارة تآليفهم في العديد من العلوم المختلفة، كما تظهر أيضا في اعتناء وحفاوة سلاطين بني زيان بهم لأنهم كانوا

<sup>1</sup> التنبكتي، المصدر السابق، ص: 437.

<sup>2</sup> التنبكتي المصدر نفسه، ص: 438.

<sup>3</sup> التنبكتي المصدر نفسه، ص: 439.



يتميزون بالنزعة العلمية والثقافية والعناية الدائمة بتشجيع الفقهاء والعلماء والأدباء، ويستقبلونهم من مختلف الحواضر المغربية والأقطار الإسلامية<sup>1</sup> ويتجلى لنا ذلك من تراجم الأعلام الذين عاشوا ما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين، ومن خلال مؤلفاتهم التي تركوها كشاهد على علو كعبهم وطول باعهم العلمي.

من علماء المالكية الذين طار ذكرهم في الآفاق واشتهروا شرقاً وغرباً، الفقيهان العالمان الإمام أبو زيد عبد الرحمن (ت 743هـ/1243م) و أبو موسى عيسى (ت 750هـ/1349م) الذين بدأ رحلتهم في طلب العلم نحو المشرق فلقيا علاء الدين القونوي، وجمال الدين القزويني صاحب البيان، وسمعا صحيح البخاري على الحجار، وقامت بين ما وبين تقي الدين بن تيمية مناظرة ظهر فيها عليه<sup>2</sup>، وبعد أن «حصل علوم شتى نقالية وعقلية، ورأساً بدمشق، وكان لهما بالشام والحجاز ومصر صيت عظيم»<sup>3</sup> عادا إلى المغرب، ودخلا تلمسان في أول المائة الثامنة، وأظهرا علمهما بها حتى صار أبو زيد عبد الرحمن شيخ المالكية، ونظرا لمكا

<sup>1</sup> فيلاكي، المرجع السابق، ج:1، ص:319.

<sup>2</sup> المقري، المصدر السابق، ج:5، ص:216.

<sup>3</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص:123.



العلمية الكبيرة فقد اقتصهما أبو حمو موسى الأول<sup>1</sup> بالفتوى وبالشورى، وبنى لهما المدرسة المعروفة باسمهما، وقد استمرت مكانتهما الرفيعة في عهد ابنه أبي تاشفين (718 - 737 / 1331-1337م)<sup>2</sup>.

لقد حظي ابني الإمام بفضل حسن سلوكهما وعلمهما بمعاملة خاصة من مختلف الملوك الذين تداولوا على حكم البلاد أو الذين سيطروا عليها وعلى تلمسان على وجه التحديد<sup>3</sup>؛ وبخاصة لما استولى السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان؛ والذي رفع من منزلة ابني الإمام واقتصهما بالشورى في بلدهما، إن العلمان تصديا للتدريس في أول مدرسة أسست في الجزائر على حد قول أبي راس الناصري؛ ألا وهي مدرسة ابني الإمام، وفاقت شهرتهما حدود المغرب الأوسط وشدت إليهما الرحلة في طلب العلم<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المقري، المصدر، ج:5، ص: 216.

<sup>2</sup> Attalah Dhina : le Royaume Abdelouadide à l'èpoque D'abou Hammou Moussa 1<sup>er</sup> Et D'abou Tachfin 1<sup>er</sup>, Office des Publications Universitaire, Alger, 1<sup>er</sup> Edition, 1985, P 188.

<sup>3</sup> - فايزة بوسلاح، المدارس العلمية بتلمسان في عصر بني زيان إشعاع فكري وحضاري، مجلة عصور الجديدة، العدد 2، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 1432هـ/2011م، ص182.

<sup>4</sup> - زهية خلافي، النسق الفكري لفقهاء المغرب الأوسط من خلال كتاب البستان، كتاب جماعي: قضايا من تاريخ المغرب الأوسط، تقديم وتنسيق، عبید بوداود، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص229.

قد أشار من ترجم لهما إلى أنهما صنفا تصانيف مفيدة<sup>1</sup> في عدة علوم، لكنهم لم ينقلوا إلينا عناوين كتبهم سوى أن أبو زيد ألف شرحا على مختصر ابن الحاجب الفروع<sup>2</sup> فقد شغلهم التدريس عن التأليف فتخرج على يدهم نخبة من العلماء أمثال: المقري الكبير، والشريف أبو عبد الله التلمساني، والأبلي، وسعيد العقباني وابن مرزوق الجد وغيرهم كثير، نذكر أبرزهم:

\* أبو عمران المشذالي (ت 745/1345م) الذي يعد من كبار الفقهاء وخيار العلماء والصلحاء نكره ابن خلدون في البغية فقال: «لم يكن في معاصريه أحد مثله علما بمذهب مالك، وحفظا لأقوال أصحابه وعرفانا بنوازل الأحكام، وصوابا في الفتيا ولقد بز جميع فقهاء المغرب في مسألة الركاب المموه بالذهب غرابة نقل واستدلال عقل»<sup>3</sup> وبسبب هذه المكانة العلمية العالية، احتفل به السلطان أبو تاشفين عندما قدم عليه بتلمسان « فأكرم نزله، وأدام المبرة به والحفاية بجانبه وولاه التدريس بمدرسته الجديدة»<sup>4</sup> فكان يدرس عدة علوم كالفقه والحديث والفرائض وغيرها، وقد اعتمد الونشريسي على فتاويه ونقلها في

<sup>1</sup> ابن مريم، المصدر ، ص: 123.

<sup>2</sup> التبتكي، المصدر السابق، ص - ص : 291 297.

<sup>3</sup> يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج: 1، ص: 72.

<sup>4</sup> التتسي، المصدر السابق، ص: 141.

المعيار، كما أن له تأليف في اتخاذ الركاب من خالص الفضة، وقد رحمه الله بلمسان حتى وفاته.

\* أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت 771هـ/1369م) العالم المتقن الذي

عناية وعطف السلطان أبي حمو موسى الثاني وعلت مكانته عنده، فقد استدعاه من فاس واستقبله بحفاوة وتلقاه « براحتيه وأصهر له في بنته فزوجها له وبنى له مدرسته»<sup>1</sup>.

وتبرز مكانة الشريف التلمساني من خلال أقوال من ترجموا له، فقد حلاه ابن مريم بقوله: « انتهت إليه إمامة المالكية بالمغرب، وضربت إليه آباط الإبل شرقا وغربا، فهو

علم علمائها ورافع لوائها»<sup>2</sup> واعترف له شيخه الأبلي بكثرة علومه التي درسها ونبغ فيها : « قرأ علي كثير شرقا وغربا، فما رأيت فيهم أنجب من أربعة، أبو عبد الله

الشريف أنجحهم عقلا وأكثرهم تحصيلا»<sup>3</sup> ولما فسر الشرف القرآن بحضرة السلطان

أبي عنان اندهش بما أتى به وقال عند فراغه: إني لأرى العلم يخرج من منابت شعره<sup>4</sup> قال عنه يحي بن خلدون كان « لا يعزب عن علمه فن عقلي إلا وقد أحاط به»<sup>5</sup> و

إن الأبلي كان إذا أشكلت مسألة على الطلبة يقول لهم: انتظروا أبا عبد الله الشريف

<sup>1</sup> التتسي ، ص: 432.

<sup>2</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص: 127.

<sup>3</sup> التتبيكي، المصدر السابق، ص: 435.

<sup>4</sup> التتبيكي ص: 436.

<sup>5</sup> يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج: 1، ص: 57.

لينظر فيها، لاشتهاره بالبحث الدقيق، وللشريف التلمساني تأليف منها: "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول" وشرح جمل الخونجي في المنطق شرحاً عجبياً.

ومن فقهاء القرن التاسع الهجري نذكر:

\* محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني (ت 871هـ/1466م)

بأبي عبد الله الإمام الحاج وهو رابع علماء الأسرة العقبانية ومن الثلاثة الأوسع شهرة جد الجد الأقرب قاسم العقباني، والجد الأعلى سعيد العقباني، ولد بتلمسان سنة 804 / 1401م نشأ وترعرع به<sup>1</sup> من فقهاء تلمسان وعلماء البارعين حاز على منصب قاضي الجماعة بتلمسان، بعد أن أخذ العلم عن أكابر علمائها أمثال:

— جده قاسم العقباني، ولم تشر المصادر إلى بقية شيوخه واكتفت بكلمة " وغيره " أي من علماء تلمسان، فنال العلم المطلوب في مختلف أصناف العلوم والفنون ليصل إلى منزلة علماء وفقهاء تلمسان.<sup>2</sup>

— أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد<sup>1</sup> (ت 842 / 1438م).

<sup>1</sup> أبو عبد الله محمد العقباني: تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي، نشره في: Extrait du bulletin d'études orientales de l'institut français de DAMAS,T,XIX ,1967 ص - ص 157 - 206.

<sup>2</sup> نصر الدين بن داود: بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7/13م إلى القرن 10/16م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان، السنة الجامعية: 2010/2009م، ص: 84.

ومن تلامذته الذين تأثروا به ونشروا علمه نذكر:

– أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي<sup>2</sup> (ت 914 / 1508م) وقد جمع له فتاويه في

المعيار. وأحمد بن حاتم وغيرهما، وذكره الشيخ زروق : كان فقيها

عارفا بالنوازل<sup>3</sup> حيث اعتمد عليه الونشريسي كمصدر من المصادر التي استقى منها

مادة كتابه المعيار.

– الفقيه المالكي أحمد بن حاتم البسطي<sup>4</sup>، وهو أحمد بن حاتم بن محمد بن حاتم بن عبد الله

البسطي الصنهاجي الحبسي الفاسي، نزيل القاهرة، و يعرف عند المصريين بحاتم، من

كبار علماء زمانه<sup>5</sup>.

توفي محمد العقباتي بعد عزله من منصبه في 23 من ذي الحجة سنة 871 /

1467م<sup>6</sup>، و دفن بالجامع الأعظم قرب ضريح العلامة ابن مرزوق الحفيد.

<sup>1</sup> شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج:1، دار الجيل: بيروت 1992 ط:1 ص، ص: 50 51.

<sup>2</sup> ابن مريم : المصدر السابق، ص، ص: 53 54.

<sup>3</sup> التنبكتي، المصدر السابق، ص: 548.

<sup>4</sup> ابن مريم : المصدر السابق، ص: 224.

<sup>5</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 15 - 17، ج4، ص303، ج5، ص 107 - 109، ج7، ص248، ج8 ص232.

<sup>6</sup> ابن مريم : المصدر السابق، ص: 224.



ويعدّ مصنفه "تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر" أطول عمل في الحسبة المالكية ، رأي موسى لقبال<sup>1</sup>، وأشهر تأليف على الحسبة في المغرب الاسلامي ، رأي عبد الحميد حاجيات<sup>2</sup>

\* **حمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد** (ت842/1439م) من مواليد تلمسان، رحل في طلب العلم إلى المشرق الحافظ بن حجر العسقلاني وأخذ عنه، كان عالما بمذهب مالك، وأصوليا محققا، وحافظا للحديث، ومفسرا للقرآن الكريم، « كان رحمه الله آية في تحقيق العلوم والاطلاع المفرط على المنقول والقيام التام على الفنون بأسرها، أما الفقه فهو فيه مالك ولأزمة فروعه حائز ومالك، فلو رآه الإمام مالك لقال له تقدم فلك العهد والولاية، وتكلم فمناك يسمع فقهي بلا محالة<sup>3</sup> » وقد ترك عدة مؤلفات تشهد له بتضلعه في العديد من العلوم منها كتاب " المفاتيح المرزوقية في حل أقفال وخبايا الخزرجية" وتفسير سورة الإخلاص و" المتجر الربيع في شرح الجامع الصحيح" وبعض الأراجيز منها أرجوزة "الروضة في الحديث" وأرجوزة في الميقات سماها

<sup>1</sup> موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها و تطورها، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1971. ص: 83.

<sup>2</sup> عبد الحميد حاجيات: دور وظيفة الحسبة بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان من خلال كتاب "تحفة الناظر" عبد الله محمد العقباني المتوفي 871 / 1467م، مجلة القرطاس للدراسات الحضارية و الفكرية، مختبر الدراسات الفكرية

والحضارية، جامعة تلمسان، العدد الثاني، جانفي 2015، ص 11.

<sup>3</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص: 201.

"المقنع الشافعي" وشرح "على البردة سماه" إظهار صدق المودة" وكتاب "إسماع الصم في إثبات الشرف من جهة الأم" و "المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطية" وغيرها من التأليف الدالة على إحاطته بعدة فنون.

\* يحيى بن موسى بن يحيى المازوني المغيلي (ت 883 / 1478م):

وسى بن عيسى المازوني أبو زكريا، فقيه قاض من أعيان المالكية

مازونة « أخذ العلم عن والده وعن أئمة وقته كابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني وابن زاغو وغيرهم، فنجب وتولى قضاء بلدة مازونة فكان إمام المحققين ومرجع أهل الشورى في الأحكام الشرعية وغيرها معتمدا في مذهب مالك، حاملا لواءه بالمغرب في عصره مطالعا على دقائق المسائل وفتاوى العلماء فيها له من التأليف كتابه المشهور " الدرر المكنونة في نوازل مازونة " وهو كتاب جليل حافل بفتاوى المتأخرين من علماء الجزائر وتونس والمغرب الأقصى في شتى المسائل جامع لأبواب الفقه»<sup>1</sup>.

\* محمد بن عبد الكريم المغيلي (831 / 909هـ / 1503 - 1427م):

أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي نشأ بتلمسان وبدأ تعليمه بها؛ ثم انتقل إلى مدن أخرى بالمغرب الأوسط، وأخذ العلم عن أئمتها أمثال: عبد الرحمن الثعالبي ويحيى بن يدير وغيرهم، كان من أكابر العلماء وأفاضل الأتقياء، وكان شديد الشكيمة

<sup>1</sup> عبد الرحمن الجيلالي : المرجع السابق، ج:2، ص: 287.

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>1</sup> ترجم له التتبعاتي بقوله: « خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني أحد ممن له بسطة في الفهم والتقدم متمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين.... وكان رحمه الله مقداما على الأمور جسورا جريء القلب فصيح اللسان محبا في السنة، جدليا نظارا محققا<sup>2</sup>، وقد ترك المغيلي رحمه الله عدة مؤلفات نذكر منها: " البدر المنير في علوم التفسير"، و "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"، و "مغني النبيل شرح مختصر خليل"، و "شرح بيوع الآجال من ابن الحاجب"، و "مفتاح النظر في علم الحديث"، و "تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين"، و "أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي" وغيرها، وتوفي بتوات سنة 909 هـ.

ومن فقهاء القرن العاشر الهجري:

\* أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرئ (928هـ/1522م)، عالم تلمسان في وقته، ولد بتلمسان وأخذ عن علمائها أمثال سيدي محمد بن

<sup>1</sup> محمد بن عسكر الشفشاوني: نوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشائخ القرن العاشر، ا : محمد حجي، الرباط: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ط: 2 1977م. ص: 130.

<sup>2</sup> التتبعاتي، المصدر السابق، ص، ص: 576 577.

عبد الرحمن الوهراني، وسيدي شقرون بن هبة الوجدجي<sup>1</sup> وسيدي عمر الراشدي، وعن أبي مالك الونشريسي، وأبي الحسن، وأبي محمد الزقاق وغيرهم<sup>2</sup> كما أخذ عن والده أحمد مما يشير كما ذكر أحد الباحثين<sup>3</sup> إلى مشاركة والده في تنشيط الحركة العلمية بتلمسان وقد ترجم له تلميذه ابن مريم المديوني فقال: « فقيه تلمسان وعالمها ومفتيها وخطيبها بالجامع الأعظم خمسا وأربعين سنة... كان علامة في التوحيد والفقهاء... وكان ذا عفة وصيانة وهمة وقريحة، أتقن كل علم<sup>4</sup> » اشتغل بالتدريس وتخرج على يديه الكثير من العلماء منهم ابن أخيه أحمد المقرئ صاحب كتاب نفح الطيب، ومنهم ابن مريم صاحب كتاب البستان، ومنهم محمد بن قاسم الحوبل والحاج بن مالك العبادي وأحمد بن أبي عبد الله اليزناسي<sup>5</sup> وخلق كثير مما يدل على كثرة عطائه وغزارة علمه، وعلو مكانته.

<sup>1</sup> شقرون الوجدجي : محمد شقرون بن هبة الوجدجي التلمساني، فقيه نوازلي، له شرح على التلمسانية في الفرائض وكان عارفا بالأصلين والبيان والمنطق. ينظر: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، ج:2 : محمد الأحمد أبو النور، القاهرة: دار التراث، ص: 215.

<sup>2</sup> ابن القاضي، ج:3، المصدر نفسه، ص: 300.

<sup>3</sup> نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص: 71.

<sup>4</sup> ابن مريم المصدر السابق، ص، ص: 104 105.

<sup>5</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص: 104.



\* محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني (ت 920هـ/1514م) الفقيه المالكي

المحدث، الخطيب السبط ترجم له أبو عبد الله بن العباس فقال هو « آخر علماء قطرنا الآخذ من كل فن بأوفر نصيب الحائز قصب السبق في ذلك ... صدر الحفاظ المبرزين وإمام الجهادة النقاد المتقنين»<sup>1</sup> وهو سبط ابن مرزوق الحفيد ولد بتلمسان ونشأ بها، وتبرز مكانة هذا العالم الفقيه من خلال الشيوخ الذين تلقى العلم عنهم أمثال خاله ابن مرزوق الكفيف الذي يعد من أعيان فقهاء المالكية بتلمسان، كما أخذ العلم أيضا عن أبي عبد الله بن العباس<sup>2</sup>، أحد علماء تلمسان في النحو واللغة.

\* أحمد بن يحيى الونشريسي (834-914هـ/1430-1509):

أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني وهذا ما اتفق عليه الكثير ممن ترجموا للونشريسي<sup>3</sup> من كبار فقهاء المذهب المالكي في المغرب كله نشأ بتلمسان ودرس على أكابر علمائها أمثال ابن مرزوق الكفيف وقاسم العقباني وغيرهم ترجم له ابن عسك الشفشاوني فقال: « الإمام العالم والعلامة

<sup>1</sup> ابن مريم المصدر نفسه، ص: 251.

<sup>2</sup> ابن مريم ، ص: 259.

<sup>3</sup> من الذين ترجموا للونشريسي نجد : أحمد بن القاضي، ذرة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق، محمد الحمدي، دار التراث، مصر، 1970، ج1، ص 91-92، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، طبع ومراجعة ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، 1326هـ/1908م، ص53-54، الزركلي، الأعلام، ج1، الطبعة الثانية، القاهرة، 1954، ص255-256 عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات، ج1، ص475، محمد ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ، ج1، ص274.



المصنف الأبرع، الفقيه الأكمل الأرفع، البحر الزاخر، والكوكب الباهر، حجة المغاربة على أهل الأقاليم، وفخرهم الذي لا يجده جاهل ولا عالم... كان رحمه الله من كبار العلماء الراسخين، والأئمة المحققين، ألف المعيار المغرب... في سبعة أسفار فاز به الأوائل والأواخر، ولقد رأيت مر يوماً بالشيخ ابن غازي بجامع القرويين، فقال بن غازي لمن كان حوله من الفقهاء: لو أن رجلاً حلف بطلاق زوجته أن أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك أصوله وفروعه لكان باراً في يمينه ولا تطلق عليه زوجته، لتبحر أبي العباس وكثرة اطلاعه وحفظه وإتقانه<sup>1</sup>. و للونشريسي الكثير من المصنفات التي تركها نذكر منها: " المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب " اثني عشر جزءاً قال التتبعي عنه: جمع فأوعى وحصل فوعى، و " غنية المعاصر والتالي على وثائق الفشتالي " وألف " إيضاح المسالك إلى قواعد مذهب مالك " و " نوازل المعيار " و " إضاءة الحلك في الرد على من أفتى بتضمين الراعي المشترك " رسالة صغيرة، و " الفروق " في مسائل الفقه، و " المنهج الفائق والمنهل الرائق في أحكام الوثائق " و " اختصار أحكام البرزلي " و " القصد الواجب في معرفة اصطلاح ابن الحاجب " و " الولايات " وهو كتاب في مناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، و " الوفيات " ويعرف بوفيات الونشريسي، وكتاب في ترجمة

<sup>1</sup> الشفشاوني، المصدر السابق، ص: 47.

المقري الكبير صاحب نفع الطيب، و " فهرست"<sup>1</sup> إن الونشريسي "لم يقتصر على جمع ألفين ومائة وخمس وثلاثين فتوى؛ أصدرها رجال فقهاء معاصرون له وآخرون متقدمون عليه؛ بل عمد إلى تصنيفها والتعليق عنها،...إلى الترجيح والتضعيف والقبول والرد<sup>2</sup>، مما أكسب المعيار قيمة مرجعية كبيرة؛ جعلته معتمدا بعد وفاة الونشريسي لعدة قرون؛ وما زال إلى يومنا هذا يوفر القسط الكبير من التراث التشريعي لبلاد المغرب الإسلامي؛ وما زالت الاستفادة من دفائنه مستمرة.

كانت عناية علماء المغرب الأوسط بشتى فنون العلوم الدينية كالفقه والتفسير والحديث وعلومه وعلم القراءات، وأحكام القضاء، والتواريخ والفهارس والبرامج والأثبات وغيرها وقد ألفوا فيها مؤلفات كثيرة، وهو ما يعطينا صورة واضحة عن مدى موسوعية هؤلاء العلماء وتضلوعهم في مختلف الفنون.

## 6 ظهور التيار الاجتهادي في الفقه :

<sup>1</sup> نويبيض، المرجع السابق، ص: 344.

<sup>2</sup> حميدة النيفر، المعيار والهوية والحوار، قراءة في التجربة التاريخية في الغرب الإسلامي، مجلة آفاق للثقافة والتراث، العدد 24، 1996، ص67.

الاجتهاد في عرف الفقهاء: هو استفراغ الفقيه الوسع في النظر فيما لا يلحقه فيه لوم<sup>1</sup> ويرى كثير من الباحثين في تاريخ الفقه الاسلامي أن باب الاجتهاد قد أغلق مع القرن الرابع و القرن الخامس الهجري<sup>2</sup> ايبداً عصر التقليد والتزام مذاهب المتقدمين، بعد استقرار المدارس الفقهية المختلفة، حيث اتخذ الفقهاء أقوال أئمة المذاهب نصوصاً لا يخرجون من دائرتها، وأصبح من كانت له قوة على فهم كلام الإمام الذي والتفريع عليه مجتهداً مقيداً أو مجتهد المذهب، وتتوسي الاجتهاد المطلق.

والحقيقة أن مسألة غلق باب الاجتهاد المطلق بعد القرن الرابع الهجري، هي مسألة اختلف فيها الباحثون، حيث يرى البعض منهم «أن المجتهد المطلق لم يوجد من لدن القرن الرابع، وإنما هم أهل الاجتهاد المقيد وهم مجتهدو المذهب المقيدون بقواعد مذهب إمامهم»<sup>3</sup> والترجيح بين أقوال فقهاء المذهب الواحد، بينما يرى البعض الآخر أن الاجتهاد المطلق ممكن « وأنه لا يجوز أن يخلو زمان من مجتهد قائم بحجج الله يبين للناس ما نزل إليهم.... بل لا بد أن يكون في كل قطر من اقوم به الكفاية لأن الاجتهاد

<sup>1</sup> محمد بن علي الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. ج:2 : سامي بن العربي الأثري، الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ط: 1 2000م، ص: 1025.

<sup>2</sup> علي بن محمد الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام. ج:4 : عبد الرزاق عفيفي، المملكة العربية السعودية: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط: 1 2003م، ص: 287.

<sup>3</sup> محمد بن الحسن الحجوي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي. ج:2، اعتنى به: أيمن صالح شعبان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: 1 1995م، ص: 511.

من فروض الكفاية»<sup>1</sup> وعليه فإن غلق باب الاجتهاد لا يتماشى مع روح الشريعة الإسلامية.

وقد ظهر تيار الاجتهاد بتلمسان ممثلا في بعض الفقهاء الذين رحلوا في طلب العلم شرقا وغربا حتى توسعت مداركهم وأصبحوا أئمة أعلاما تشد إليهم الرحال، لكن نزعة الاجتهاد لدى علماء المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة (8-10هـ/14-15م) لم تخرج في عمومها عن دائرة المذهب المالكي ولم ، بهم إلى درجة الاجتهاد المطلق وصل إليها الأئمة الأربعة المشهورين التي تمكنهم من تأسيس مذاهب خاصة بهم، بل كل ما في الأمر أن كان لهم اختيارات واجتهادات خالفوا فيها إمامهم بعد أن ترجح عندهم الدليل مع غيره ويبدو أن سبب ظهور هذا التيار يعود بالدرجة الأولى إلى تطور المذهب المالكي نحو المرونة وبعد فقهاءه عن الجمود، مستفيدين مما تعرضوا له من امتحانات في العهد الموحد<sup>2</sup>، فطرحوا قضايا مذهبيهم وأفكارهم، من خلال مقاييس جديدة توفق بين النظرة الشرعية والواقع المعيش. و من الفقهاء الذين بلغوا درجة الاجتهاد نذكر منهم:

\* ابني الإمام أبو زيد عبد الرحمن (ت 743هـ/1343م) وشقيقه أبو موسى

(ت 750هـ/1349م) « فاضلا أهل المغرب في وقتها... كانا يذهبان إلى التجديد و

<sup>1</sup> الشوكاني: المصدر ، ج:2، ص: 1035.

<sup>2</sup> فيلالي، المرجع السابق، ج:1، ص:380.



تركان التقليد»<sup>1</sup> فمن بين مسائل الاجتهاد التي تنقل عن أبي زيد عبد الرحمن بن الامام ما نقله المقرئ في نفح الطيب قال: « كان أبو زيد يقول في ما جاء من الأحاديث من معنى قول ابن أبي زيد: (وإذا سلم الامام فلا يثبت بعد سلامه ولينصرف) إن ذلك بعد أن ينتظر بقدر ما يسلم من خلفه، لئلا يمر بين يدي أحد، وقد ارتفع عنه حكمه، فيكون كالداخل مع المسبوق، جمعا بين الأدلة. قلت: وهذا من ملح ا »<sup>2</sup> وقد كان أبو زيد بن الإمام يرى بالاجتهاد المخصوص الذي يتقيد صاحبه بمذهب إمامه، وجرت بينه وبين أبي موسى عمران بن موسى المشدالي مناظرة في ذلك نقلها المقرئ في النفح<sup>3</sup>، احتج فيها أبو زيد باجتهاد ابن القاسم بالنظر إلى مذهب مالك، والمزني إلى الشافعي، ومما يشهد لهذين العالمين ببلوغهما درجة الاجتهاد قول التنبكتي: « الشيخان الراسخان الشامخان العالمان المفتيان الشقيقان، الفقيه العلامة آخر صدور أعلام أهل المغرب بشهادة أهل الإنصاف شرقا وغربا، أبو زيد والعلامة النظار آخر أهل النظر وجامع أشتات المعارف أبو موسى ابني الإمام »<sup>4</sup> اللذين يقومان بتفتيح المسائل الفقهية، وتوضيح غامضها عن طريق العودة إلى أصولها.

<sup>1</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص: 124. المقرئ، ج: 7، ص: 538.

<sup>2</sup> المقرئ، المصدر السابق، ج: 5، ص: 219.

<sup>3</sup> المقرئ، المصدر السابق، ج: 5، ص: 218.

<sup>4</sup> التنبكتي، المصدر السابق، ص: 248.



\* وأما العالم المجتهد محمد بن محمد بن أحمد المقرئ (ت 759هـ/1358م) فقد «عد من العلماء المجتهدين في إطار المذهب المالكي، فهو قد قارن بين فروع المذاهب الأربعة وناقش من سبقه في مقاصد الشريعة وقواعدها وأحكامها، وربط الفروع بالقواعد وكان يقدم خـ النقدي لأقوال الفقهاء فكانت له مواقف اجتهادية في حدود المذهب المالكي»<sup>1</sup> معترضا على بعض آراء شهاب الدين القرافي بتكرار ذلك طريقة جديدة في خدمة الإمام مالك.

\* الشريف أبو عبد الله التلمساني (ت 771هـ/1370م) الذي تقلد منصب الإمامة والفتوى لرسوخ قدمه في العلم وامتلاكه أدوات الاجتهاد «إذ كان عالما بعلوم جملة من المنقول والمعقول، بلغ رتبة الاجتهاد»<sup>2</sup> لذلك كانت ترد عليه أسئلة فقهية من أئمة العلم عن طريق المراسلات من مختلف البلدان<sup>3</sup> فكان يجيب عنها ويكشف غموضها، فقد كان كثير البحث والنظر «وممن صرح ببلوغه درجة الاجتهاد، عصره الإمام الخطيب ابن مرزوق الجد في رسالته التي رد فيها على أبي القاسم الغبريني، وأثنى عليه كثيرا»<sup>4</sup> و غرابة في ذلك فقد شهد له شيوخه كلهم بوفرة العلم والعقل وحضور الذهن وكثرة التحصيل.

<sup>1</sup> بن داود نصر الدين، المرجع السابق، ص: 69.

<sup>2</sup> التتبعي، المصدر السابق، ص: 431.

<sup>3</sup> الونشريسي، المصدر السابق، ج: 11، ص: 364.

<sup>4</sup> التتبعي، المصدر ، ص: 431.

\* إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام التلمساني (797 / 1351م):

أبو سالم إبراهيم بن أبي زيد قال فيه ابن مريم: "سيدي إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام التلمساني نزيل فاس، الفقيه الحافظ الحجة المشارك المتفنن ابن شيخ الإسلام الإمام العلامة المجتهد أبي زيد عبد الرحمن بن الإمام له علوم جمة وفتاوى، نقل عنه الونشريسي والمازوني في فتاويهما؛ وتوفي بفاس ودفن بباب الجيزيين سنة 797هـ سبع وتسعين وسبعمائة وهو والد العلامة أبي الفضل بن الإمام"<sup>1</sup>.

\* ومنهم ابن مرزوق الحفيد (ت 814/1167م) الذي أشار الحفناوي إلى بلوغه

درجة الاجتهاد بقوله: «الإمام الحافظ بقية النظر والمجتهدين»<sup>2</sup> اتسع فهمه لإدراك المذاهب الفقهية عامة والمذهب المالكي خاصة، حتى بلغ درجة كبيرة من الاجتهاد في الفقه والعقيدة، وذكره ابن مريم بقوله: «العلامة الحجة الحافظ المحقق الكبير الثقة الثبت النظر...الفقيه المجتهد الأصولي المفسر المحدث الحافظ المسند... سيد العلماء الجلة... الجامع بين المعقول والمنقول»<sup>3</sup>، وقد عرف بكثرة تأليفه خاصة ما تعلق منها

<sup>1</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص 63 64.

<sup>2</sup> أبو القاسم محمد الحفناوي تعريف الخلف برجال السلف. ج:1، الجزائر: مطبعة بيبير فونتانا الشرقية 1906م، ص: 129.

<sup>3</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص، ص: 201 202.

\* ومنهم العلامة قاسم بن سعيد بن محمد العقباني (ت 854هـ/1450م) كان يناديه صاحب: "تحفة الناظر وغنية الذاكر..."<sup>1</sup> حفيده: أبو عبد الله محمد بن قاسم بن سعيد العقباني: "بالجد الأقرب" لقد كان حافظا قدوة مجتهدا، وكانت الفتوى تدور عليه بتلمسان<sup>2</sup>، ترجم له تلميذه القلصادي : « شيخنا وبركتنا الإمام الفقيه المعمر، ملحق الأصاغر بالأكابر، العديم النظراء والأقران، المرتقي درجة الاجتهاد بالدليل والبرهان»<sup>3</sup> حصل العلوم حتى بلغ درجة الاجتهاد وكانت له اجتهادات خارج المذهب المالكي<sup>4</sup> دفعت بمعاصره ابن مرزوق الحفيد إلى منازعته فيها.

<sup>1</sup> محمد العقباني: المصدر السابق، ص: 157.

<sup>2</sup> ابن القاضي، المصدر السابق، ج:3، ص:282.

<sup>3</sup> أبو الحسن علي القلصادي: رحلة القلصادي، محمد أبو الأجفان، تونس: الشركة التونسية للتوزيع 1978م، ص:106.

<sup>4</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص:147.

واعتمادا على ما أوردته لنا المصادر، نستطيع أن نصنف أبرز فقهاء ومجتهدي تلمسان حسب الزمن الذي عاشوا فيه، فنحصل على الجدول التالي الذي يضم مجموعة من الفقهاء ومن الذين بلغوا رتبة الاجتهاد خلال القرون الهجرية الثلاثة: الثامن والتاسع والعاشر:

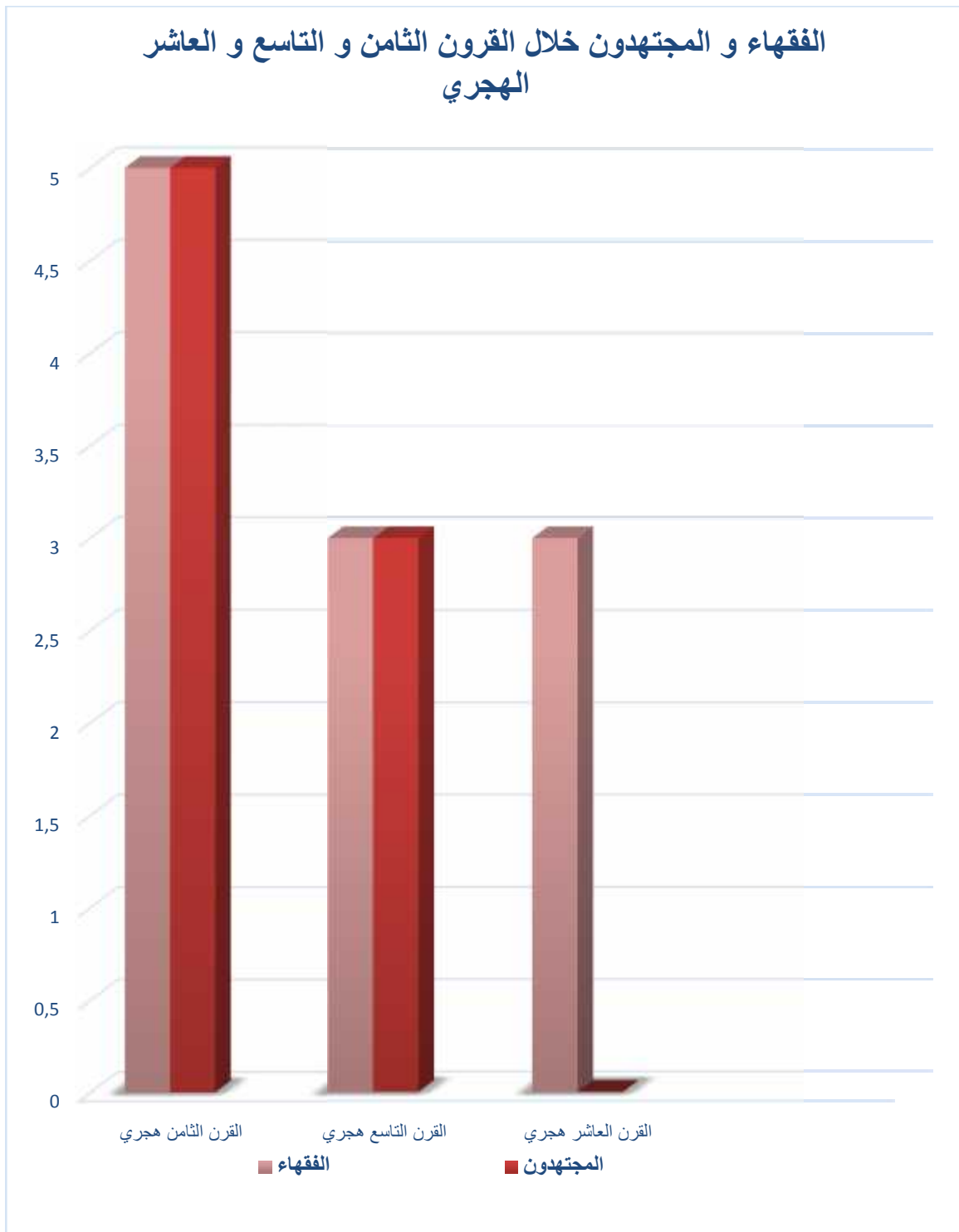
المجتهدون	الفقهاء	القرون (الزمن)
-ابنا الإمام:	-ابنا الإمام:	
1-أبو موسى عيسى(750هـ)..	1-أبو موسى عيسى(750هـ).	
2-أبو زيد عبد الرحمن(743هـ).	2-أبو زيد عبد	
3-محمد بن محمد بن أحمد	الرحمن(743هـ).	القرن الثامن الهجري
المقري(759هـ).	3-أبو عمرو	
4-أبو عبد الله الشريف	المشذالي(745هـ).	
التلمساني(771هـ).	4-أبو عبد الله الشريف	
5-ابراهيم بن عبد الرحمن	التلمساني(771هـ).	
الإمام(797هـ).	5-ابراهيم بن	
	الرحمن بن	
	الإمام(797هـ).	

<p>1- بن مرزوق الحفيد(842هـ).</p>	<p>1- محمد بن أحمد بن</p>	
<p>2- قاسم بن سعيد بن محمد</p>	<p>سعيد العقباني(871هـ).</p>	
<p>العقباني(854هـ).</p>	<p>2- محمد بن أحمد بن</p>	<p>القرن التاسع</p>
<p>3- أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن</p>	<p>مرزوق الحفيد(842هـ).</p>	<p>المجري</p>
<p>الإمام(845هـ).</p>	<p>3- أبو محمد عبد الحق</p>	
	<p>بن أبي</p>	
	<p>(ق9هـ).</p>	
	<p>4- وسى بن يحيى بن عيسى</p>	
	<p>المازوني(ق9هـ)</p>	
	<p>5- يحيى بن</p>	
	<p>عيسى بن يحيى</p>	
	<p>المازوني)</p>	
	<p>الدر</p>	
	<p>المكنونة(883هـ)</p>	
	<p>6- أبو العباس أحمد بن</p>	

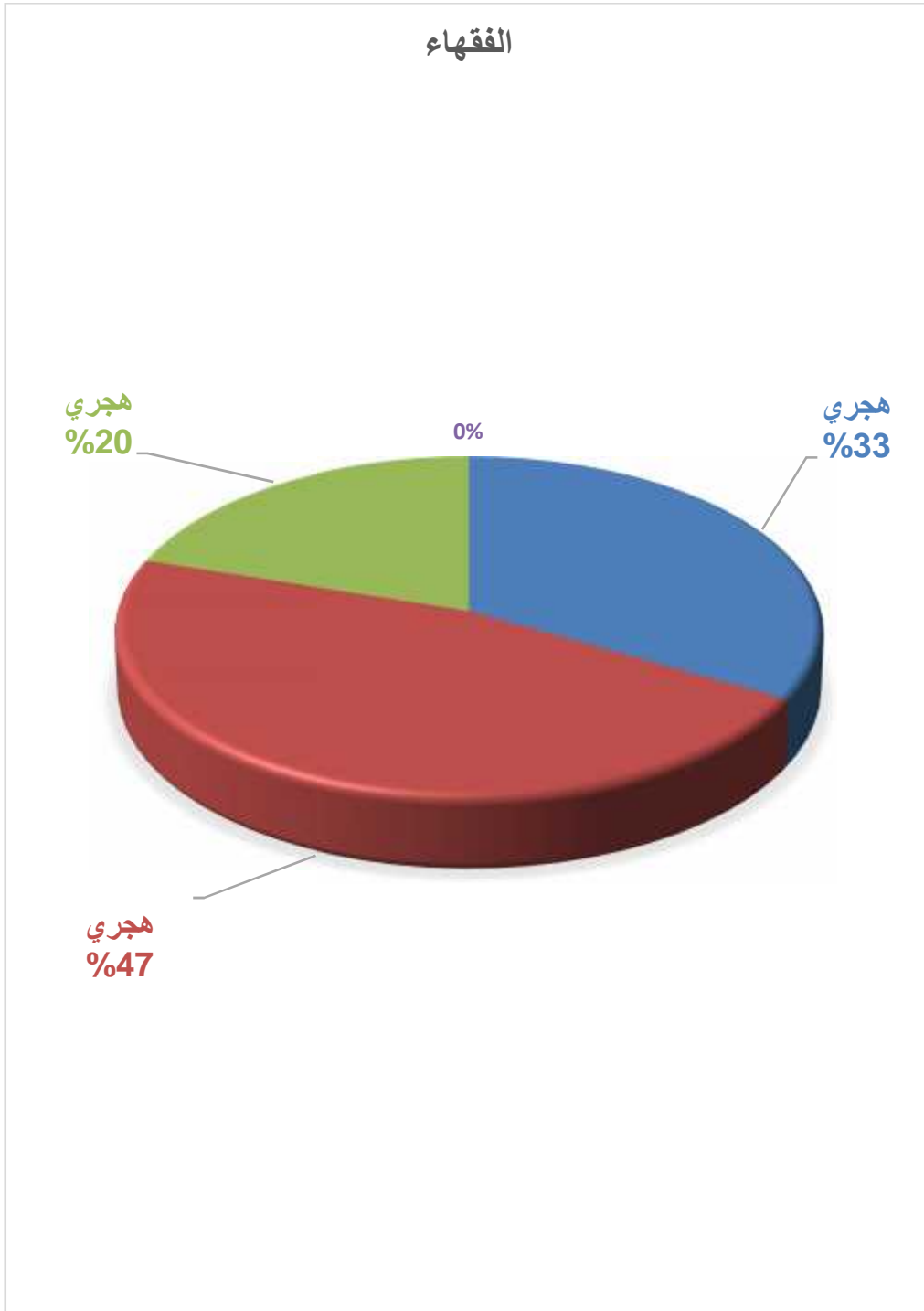


	<p>يحيى</p> <p>الونشريسي (914هـ)</p> <p>(صاحب المعيار)</p> <p>7- أحمد بن زاغور</p> <p>المغربي راوي</p> <p>التلمساني (845هـ)</p>	
	<p>1 أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرئ (928هـ).</p> <p>2- محمد بن مرزوق العجيسي</p> <p>التلمساني (920هـ).</p> <p>3- أبو العباس أحمد بن أبي الفضل بن إبراهيم (ق10هـ)</p>	<p>القرن العاشر</p> <p>الهجري</p>

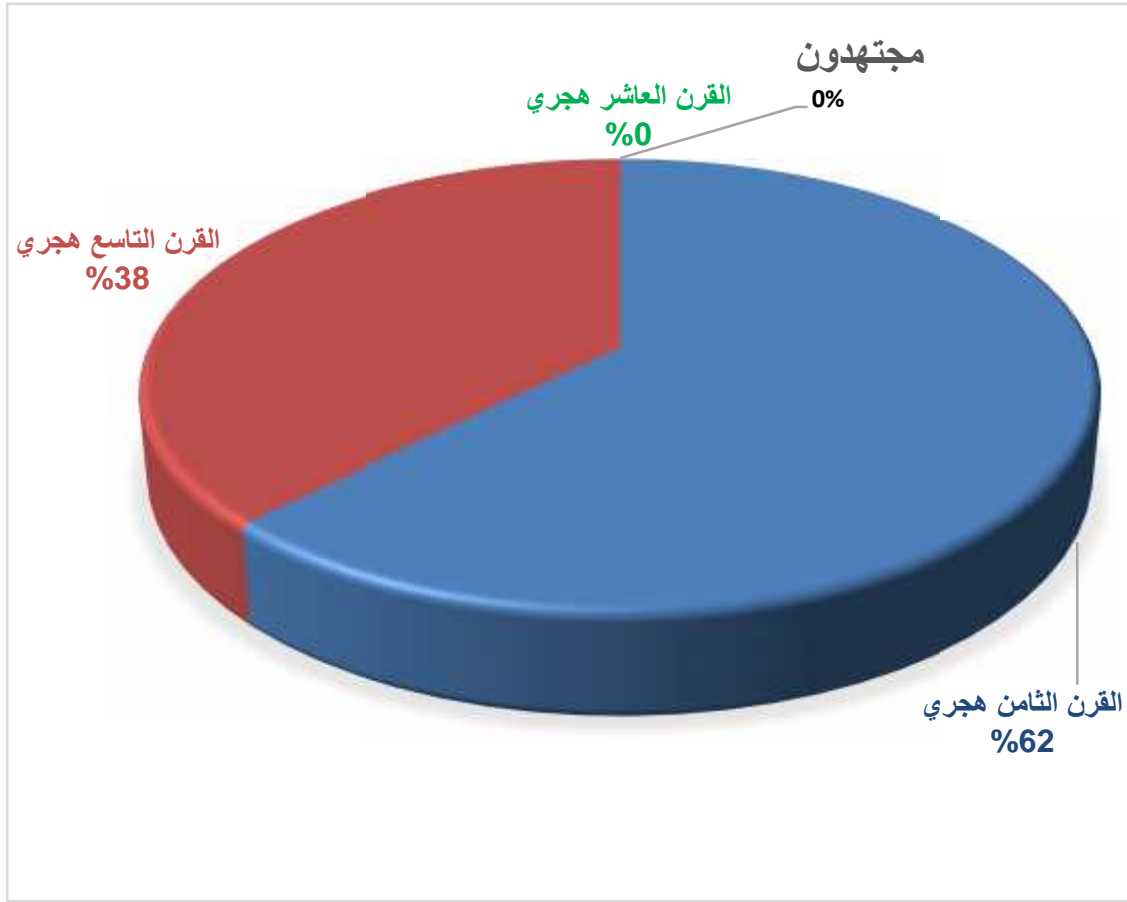
أعمدة بيانية تمثل فقهاء ومجتهدي تلمسان خلال القرون الهجرية الثلاثة: (8-9-10 هـ).



دائرة نسبية تمثل نسبة الفقهاء خلال القرون الهجرية الثلاثة: (8-9-10 )



دائرة نسبية تمثل نسبة المجتهدين خلال القرون الهجرية الثلاثة: (8-9-10)



من خلال المعطيات التالية يمكننا ملاحظة النقاط التالية:

- بالنسبة للفقهاء:

أن نسبة الفقهاء في المغرب الأوسط قد بلغت خلال القرن الثامن الهجري

حوالي 33% رف ارتفاعا واضحا خلال القرن التاسع الهجري حيث بلغت



47%، ثم نلاحظ انخفاض هذه النسبة لتصل إلى 20% في القرن العاشر الهجري.

### مجتهدين:

بلغت نسبة المجتهدين حوالي 62% خلال القرن الثامن الهجري، ثم عادت للانخفاض لتبلغ حوالي 38% خلال القرن التاسع الهجري، بينما تتعدم هذه نسبة خلال القرن العاشر الهجري.

وإذا أردنا عقد مقارنة بين عدد الفقهاء والمجتهدين خلال القرون الهجرية الثلاثة (8-9-10) فإننا نخلص إلى أن نسبة المجتهدين خلال القرن الثامن كان ضعفا مقارنة لفقهاء، وهو أمر طبيعي حيث عرفت هذه الفترة وجود علماء مجتهدين أثروا بنشاطهم العلمي الساحة الثقافية وذلك من خلال تأليفهم ونشر علمهم وكثرة تلاميذهم أما في القرن التاسع فنلاحظ تراجعاً واضحاً في نسبة المجتهدين أمام نسبة الفقهاء، أما في القرن العاشر الهجري فقد تدنت نسبة الفقهاء كثيراً، بينما اختفى المجتهدون من الساحة الثقافية، وذلك بسبب اقتصار الفقهاء الاشتغال بمسائل الفروع وشرح المختصرات واختصار المطولات، وهي أمور لا شك تبقى صاحبها في دائرة التقليد الكلي ومن محاولة الاجتهاد داخل المذهب ناهيك عن بلوغ درجة الاجتهاد المطلق.

وفي الجدول والرسم التاليين نرصد أبرز أعلام التصوف والفقهاء والاجتهاد خلال القرون

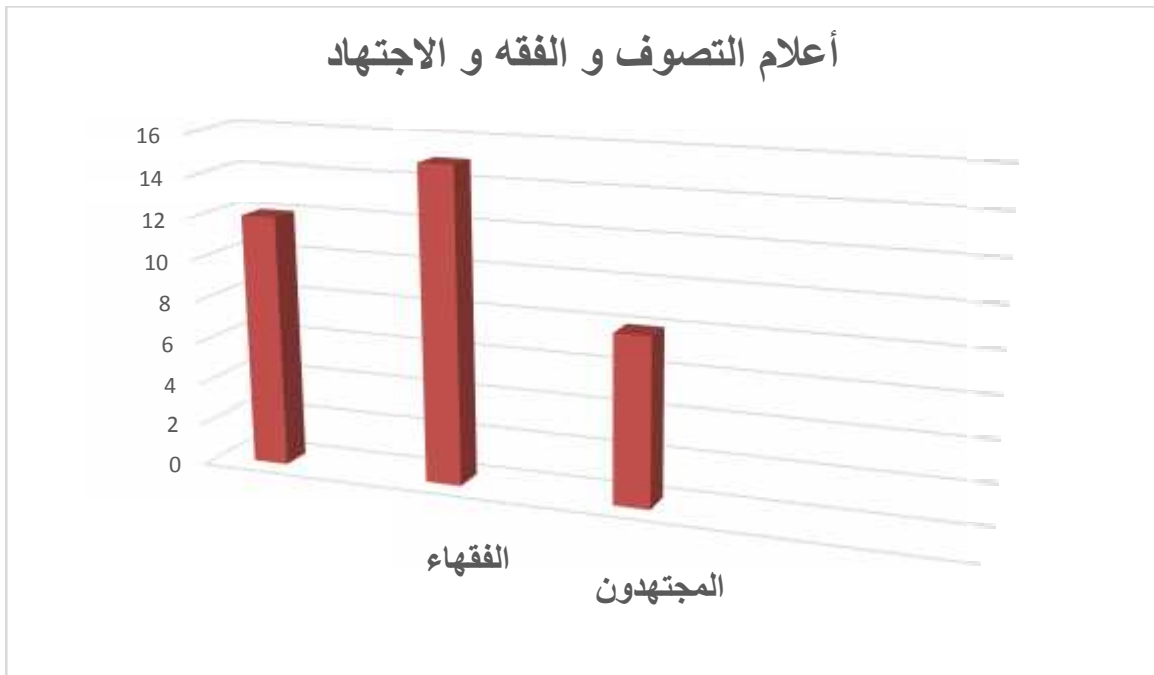
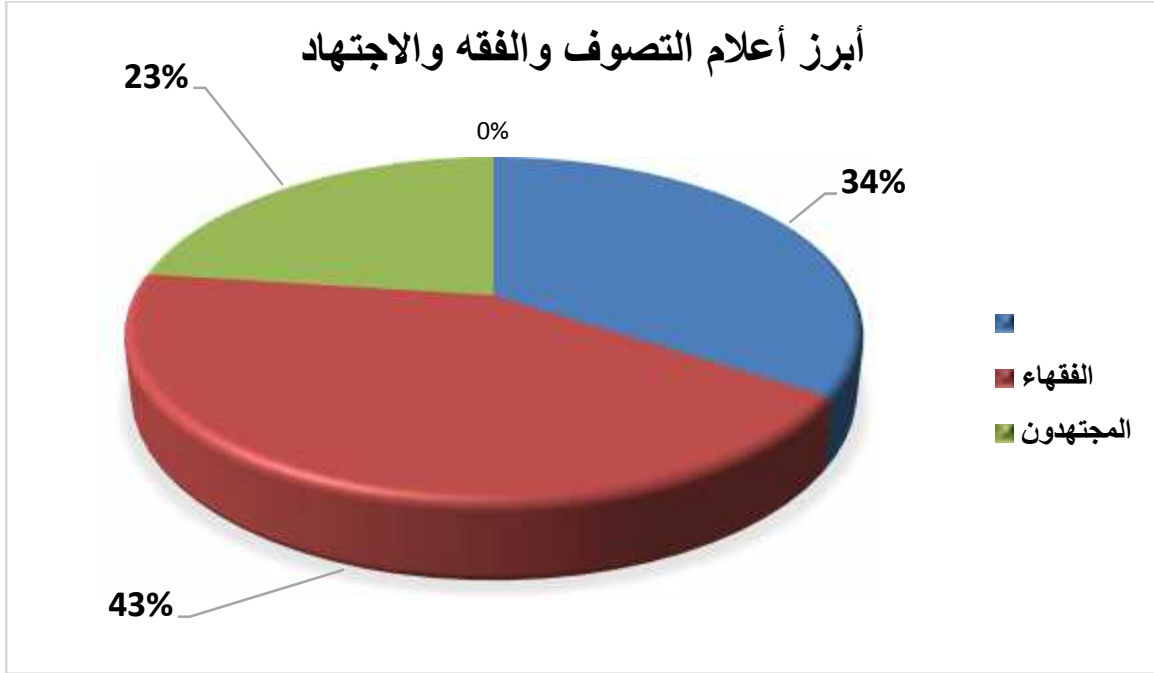
الهجرية 8-9-10 هـ / 14-15-16 م:

المتصوفة	الفقهاء	المجتهدون
1- إبراهيم بن موسى المصمودي (805هـ).	ابنا الإمام:	ابنا الإمام:
2- أبو عبد الله محمد بن عمر الوهراني (843هـ).	1- أبو موسى (750هـ).	1- أبو موسى (750هـ).
3- إبراهيم بن محمد بن علي التازي (866هـ).	2- أبو زيد عبد الرحمن (743هـ).	2- أبو زيد عبد الرحمن (743هـ).
4- أبو عبد الله بن يوسف السنوسي (895هـ).	3- أبو عمران المشذالي (745هـ).	3- محمد بن أحمد المقرئ (759هـ).
5- أحمد زروق البرنسي الفاسي (899هـ).	4- أبو عبد الله الشريف التلمساني (771هـ).	4- أبو عبد الله الشريف التلمساني (771هـ).
6- عبد الرحمن الثعالبي (875هـ).	5- إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام (ق9هـ).	5- إبراهيم بن عبد الله بن الإمام (ق9هـ).
7- عبد الرحمن الأخضر (983هـ).	6- الإمام (797هـ).	6- بن مزروق الحفيد (814هـ).
	7- قاسم بن سعيد	7- قاسم بن سعيد بن

8- أبو العباس أحمد بن مرزوق.	العقباني(871هـ).	محمد العقباني(854هـ).
9- أبو عمران موسى بن عيسى المازوني (صاحب ديبااجة الافتخار)(ق9هـ)	7- محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد(842هـ).	8- أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن الإمام(845هـ).
10- يحيى أبو زكرياء المغيلي المازوني(883هـ)	8- أبو محمد عبد الحق بن أبي موسى(ق9هـ).	
11- أحمد بن زاغو المغربي راوي التلمساني(845هـ).	9- أبو العباس أحمد بن أبي الفضل بن إبراهيم.	
12- محمد بن عبد الكريم المغيلي(909هـ).	10- أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري(928هـ).	
	11- محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني(920هـ).	
	12- أبو عمران موسى بن عيسى المازوني(883هـ).	
	13- أحمد بن زاغو المغربي راوي التلمساني(845هـ).	
	14- يحيى أبو زكرياء	

	<p>المغلي المازوني (ق9هـ)</p> <p>15- أبو العباس أحمد</p> <p>الونشريسي (914هـ).</p>	
--	--	--

دائرة أبرز أعلام التصوف والفقهاء والاجتهاد خلال القرنين (8 - 10 / 14-16 م)





من خلال المعطيات السابقة نلاحظ أن الفقهاء اقارب المتصوفة والمجتهدين مما يدل على كثرة عدد الفقهاء الذين كانوا في تلمسان خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين وبدرجة أقل خلال القرن العاشر. يبدو لنا أيضا أن نسبة المتصوف تفوق المجتهدين مما يدل على أن القرن الثامن والتاسع الهجريين هو عصر التصوف السني بامتياز في المغرب الأوسط، في حين عرفت نسبة المجتهدين انخفاضا واضحا خاصة خلال القرن العاشر الهجري حيث لا نكاد نعثر على أسماء لمجتهدين خلال هذا القرن فقد بدأ تدهور حالة الاجتهاد وبدا من الواضح ضعف المستوى العلمي سواء عند الفقهاء أو المتصوفة، حيث بدأ التصوف يخرج عن حدود الدين ويميل نحو الانحطاط العقلي.

### : التصوف والمتصوفة في العهد الزياني :

وبالإضافة إلى وجود تيار الفقهاء في الساحة الفكرية بالمغرب الأوسط، فقد وجد إلى جانبه تيار آخر هو تيار المتصوفة الذين ظهروا في هذا العهد وتركوا بصمتهم في الحياة الفكرية، وكانوا جزءا ومكونا هاما في مجتمع المغرب الأوسط.

فكيف ظهر هذا التيار خلال العهد الزياني؟ ومن هم أبرز أعلامه؟ وكيف كانت

مكانتهم الاجتماعية؟

1 - مفهوم التصوف:

أ - :

اختلفت كلمة العلماء حول التعريف الحقيقي للصوفية وللتصوف اختلافا كثيرا، حيث وردت له عدة تعريفات، فقد جاء في معاجم اللغة تحت مادة (صوف) عدة معان، منها إطلاق كلمة صوف على الصوف المعروف من شعر الحيوانات، والصوفة وهو كل من ولي شيئا من عمل بيت الله الحرام<sup>1</sup>، وغير ذلك من المعاني الكثيرة.

ويقول القشيري: « وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب<sup>2</sup> » وقيل بل نسبة إلى أحد الرجال من قبيلة أوحى من مضر يسمى صوفة وهو الغوث بن مر الجاهلي، أحد سدنة الكعبة، والذي نذر نفسه لخدمة الكعبة وخدمة زوارها، واشتهر بالزهد والعبادة<sup>3</sup> والتصوف، شتق من لبس الصوف زهدا في الدنيا وزخرفها.

<sup>1</sup> ابن منظور، المصدر السابق، ص: 2528.

<sup>2</sup> أبو القاسم عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف. بيروت: دار الكتاب العربي، ص: 279.

<sup>3</sup> الجابري علي حسين: دروس في الفكر الفلسفي الاسلامي، دار الفرق للطباعة والنشر، د.ب.ن، ط: 2010، ص: 261.

وذكر أبو نعيم في الحلية أن اشتقاق التصوف في اللغة جاء من أربعة أشياء « من الصوفانة وهي بقلة زغباء قصيرة، أو من صوفة وهي قبيلة كانت في الدهر الأول تجيز الحاج وتخدم الكعبة، أو من صوفة القفا وهي الشعرات النابتة في متأخره، أو من الصوف المعروف على ظهور الضأن »<sup>1</sup> وذكر بيان ذلك كله وشرحه في كتابه.

وينسب هذا الاشتقاق أيضا إلى أهل الصفة « لأن صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف »<sup>2</sup> فقد كانوا فقراء في أول أمرهم، وأطلق عليهم اسم أضياف الله ثم كان منهم الغني والأمير، والمتسبب والفقير، لكنهم شكروا عليها حين وجدت، كما صبروا عليها حين فقدت<sup>3</sup>، ولم يتغير حالهم بتغير أحوالهم.

وقيل أن لفظ الصوفي منسوب إلى الصف الأول المقدم في الصلاة؛ ومشتق منه لأن صاحبه واقف بين يدي الله - سبحانه وتعالى - وأمامه بقلبه وأسراره<sup>4</sup>.

ب - اصطلاحا :

<sup>1</sup> أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج:1، بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1 1988م، ص:17.

<sup>2</sup> أبو العباس أحمد زروق الفاسي البرنسي: قواعد التصوف، نق وتحر: عبد المجيد خيالي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط:2 2005م، ص:24.

<sup>3</sup> أحمد زروق، المصدر، ص:24.

<sup>4</sup> Alfred Bel : L'Islam Mystique, Jules Carbonal Imprimeur-Eduteur, Alger,1928 ; P10.

أما اصطلاحاً فللتصوف الكثير من التعريفات منها قول معروف الكرخي: «التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق»<sup>1</sup>.

أما ابن خلدون فيعرفه على أنه «محاسبة النفس على الأفعال والتروك، والكلام في الأدواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات، ثم تستقر للمريد مقاما ويترقى منها إلى غيرها»<sup>2</sup>.

أن محي الدين بن عربي يعرفه على أنه «الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً وهي الخلق الإلهية، وقد يقال بأنها إتيان مكارم الأخلاق وتجنب»<sup>3</sup>.

ومنها قول ابن عجيبة رحمه الله: «التصوف هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل، وتحليلتها بأنواع الفضائل، وأوله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة»<sup>4</sup>.

وعند الطاهر بونابي: " هو فقه القلوب أو الآخرة، أو علم الباطن، وهو يوازي علم الظاهر، أي الفقه"<sup>1</sup>. وحسب لويس رين فهو طريقة للعيش في صفاء كامل، دون

<sup>1</sup> عبد الكريم القشيري، المصدر السابق، ص، 127.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص، 611.

<sup>3</sup> محي الدين بن عربي: رسائل ابن عربي، اصطلاح الصوفية، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ت، ص: 17.

<sup>4</sup> أحمد بن عجيبة الحسني: معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تق وتتح: عبد المجيد خيالي، الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي، د س ط، ص: 26.

إيديولوجية ولا قواعد ولا عقلانية؛ وجوده يكمن في الإحساس والحدس والانطباع<sup>2</sup>، وهو خلاصة تمازج ديانات ومذاهب؛ كما أنه مشترك بين الأجناس والأديان<sup>3</sup>.

## 2 - أقسام التصوف :

يعتبر ابن خلدون أن التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة الإسلامية<sup>4</sup>

وهو ينقسم إلى قسمين هما:

### أ - التصوف السني :

وهو الالتزام بأوامر الله ونواهيه والافتداء بهدي ﷺ وما حثت عليه ،

ويتجلى ذلك في الإقبال على الآخرة والزهد والإعراض عن الدنيا وزخرفها ويرافقه مراقبة العبد لأفعال القلب الذي يعتبر مصدر كل فعل<sup>5</sup>، وذلك للنجاة من عقوبة الله تعالى، وتعد هذه المرحلة أولى مراحل التصوف السني، ثم تطور بعدها هذا الأخير خلال القرون اللاحقة، فصار المشتغلون به يحرصون على ألا يصدر من النفس إلا أفعال الخير المستقاة من القرآن والسنة عن طريق ترويضها وتأديبها، وذلك بنزح

---

<sup>1</sup> الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط، ماجستير تاريخ إسلامي، معهد التاريخ، 1999-2000م، ص7.

<sup>2</sup> Rinn Louis : Marabouts Et Khouans, Etudes Sur L'Islam en Algérie ; Adolphe Jordan Libraire - Editeur, Alger, 1984, P68.

<sup>3</sup> Ibid, P68.

<sup>4</sup> المقدمة، المصدر ، ص: 611.

<sup>5</sup> الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 7 و6 الهجريين و12 و13 الميلاديين. عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م. ص: 38.



المال والشهرة وشهوة البطن والفرج<sup>1</sup>، ومقاومتها بالصيام والتهجد والإكثار من الطاعات وهو ما يسمى بمجاهدة الاستقامة<sup>2</sup> حتى يستوي عند الفعل والترك ويصبح أمراً عادياً لديه.

مع مرور الوقت صار التصوف السني يميل إلى عالم الغيبيات، عن طريق « محو الصفات البشرية وتعطيل القوى البدنية بالرياضة والمجاهدة حتى يحصل للروح ما سيقع بعد الموت... وتحصيله بعد الرياضة بمواجهة شطر الحق باللطيفة الربانية لينكشف الحجاب، وتظهر أسرار العوالم والعلوم واضحة للعيان، وهو العلم الإلهامي<sup>3</sup> » وهو ما عرف بمجاهدة الكشف والاطلاع بقتدي أثنائها المرید بشیخ قد عرف المسالك وخبرها فيتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بقائده<sup>4</sup> وهو ما أشار إليه ابن عاشر قوله:

يَصْحَبُ شَيْخًا عَارَفَ الْمَسَالِكِ \*\*\* يَقِيهِ فِي طَرِيقِهِ الْمَهَالِكِ

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن خلدون: شفاء السائل وتهذيب المسائل، محمد مطيع الحافظ، بيروت: دار الفكر المعاصر، ط: 1 1996م. ص: 80.

<sup>2</sup> ابن خلدون شفاء السائل، المصدر، ص: 76.

<sup>3</sup> ابن خلدون شفاء السائل، ص: 82.

<sup>4</sup> ابن خلدون شفاء السائل، ص، ص: 85 84.

يُذَرُّ إِذَا رَأَتْهُ \*\*\* وَيَصِلُ الْعَبْدُ إِلَى

### مَوَاقِفُ

ويمكن اعتبار القرن الثالث هو بداية بروز علم التصوف بمعناه الدقيق، حيث صار الزهاد يعرفون باسم الصوف<sup>2</sup>، الذين صاروا يتكلمون في أمور لم تكن معروفة من قبل.

#### ب - التصوف الفلسفي :

حرص المتصوفة بعد ذلك على الاهتمام بعلم كشف الغيب، والاطلاع على حقيقة الوجود من نتيجة هذا الاهتمام أن ظهرت بعض الآراء الصوفية الفلسفية التي تسربت إليه صار يعرف بالتصوف الفلسفي، وقد اختلفت هذه الطرق في الوصول إلى الهدف الذي تنشده.

والتصوف الفلسفي هو الذي يمزج أصحابه أذواقهم الصوفية بنظرة عقلية، مستخدمين في التعبير عن ذلك مصطلحات يتداولونها بينهم قد تبدو غامضة لغيرهم ولا يمكن أن نعتبره فلسفة خالصة لأنه يعتمد على الذوق والوجدان.

<sup>1</sup> أبو محمد عبد الواحد بن عاشر: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، القاهرة: دار الطباعة للقاهرة، دت، ص: 24.

<sup>2</sup> أبو الوفا الغنيمي التفتازاني: مدخل إلى التصوف الاسلامي، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع 1979م، ط: 3، ص: 95.

وقد ظهرت نواة هذا النوع من التصوف مع منتصف القرن الثالث الهجري حيث ركز أئمة الصوفية على الاعتناء بعلوم المكاشفة ووضع الأسس المختلفة للوصول إلى قيام الصفاء النفسي عند الإنسان من أمثال الكندي<sup>1</sup> الذي يرى بأن النفس إذا «صارت إلى الفلك الأعلى ونقيت غاية النقاء وزالت أدناس الحس وخيالاته وخبثه منها، ارتفعت إلى عالم العقل وطابقت نور الباري، فوض إليها أشياء من سياسة العالم تلتذ بفعلها والتدبير لها»<sup>2</sup>، كما قال البسطامي<sup>3</sup> (ت261هـ/875م) بنظرية الفناء<sup>4</sup> وهي حالة يفقد فيها الإنسان الشعور بذاته مع بقاء شعوره بالله وحده، فلا يرى إلا الله، ولا يشعر إلا بما ويتحقق هذه الحالة بطريق المجاهد النفسية التي أشرنا إليها سابقاً.

كما قال بعضهم بنظرية الحلول والاتحاد قول الحلاج (ت309هـ/922م) بأن الذات الإنسانية تصعد وتمتزج مع ذات الله تعالى وهو ما يسميه الاتحاد، أما الحلول فإن ذات الله تعالى تنزل وتحل في مخلوقاته<sup>5</sup> أي أن العملية عكسية، لكن الكثير من

<sup>1</sup> الكندي: أبو يوسف يعقوب بن اسحق، فيلسوف عربي، وأحد أبناء ملوكها، اشتهر بإحكام العلوم والتوسع في فنون الحكمة، اشتهر عند الناس بعلوم الفلسفة حتى سموه فيلسوفاً، عاش في الدولة العباسية (ت256هـ). ينظر: أبو القاسم بن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين 1912م، ص: 51.

<sup>2</sup> محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، القاهرة: دار المعرفة الجامعية 200م، ط 1، ص: 322.

<sup>3</sup> البسطامي: أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، الزاهد المشهور له مقالات كثيرة ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج: 2، ص: 531.

<sup>4</sup> التفاتزاني، المرجع السابق ص: 117.

<sup>5</sup> الزركلي، المصدر السابق، ج: 2، ص: 260.

المتصوفة رفضوا هذه النظرية وقابلوها بنظرية أخرى<sup>1</sup> وهي أن نفس الإنسان تتجاوز عالم المحسوسات عن طريق التأمل العقلي والمجاهدات حتى تصل إلى عالم الغيبيات. وقد أوضحت طاعة الله - جل في علاه - والخوف من عذابه في المقام الثاني، وحباً لله والاتحاد معه في المقام الأول وهو هدف الصوفي<sup>2</sup>، لهذا يرى بعض المتصوفة أن العبادات تصبح غير ذي جدوى بعد أن يرتقوا درجات التصوف، ويرى آخرون أنها غير ضرورية لأن المتصوف الذي وصل لدرجات عالية غير ملزم بها<sup>3</sup>. إن التصوف بنظرة فلسفية محضة هو مكان لتجربة أنطولوجية معلنة انطلاقاً من جدلية الظاهر<sup>4</sup>؛ فالتجربة الصوفية لها خصائص تختلف عن التجربة الفلسفية، ولكنها تحمل رهانات فلسفية؛ ما يمكننا من التطلع عليها، ومقاربتها من خلال ما يصدر عن المتصوفة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> من بين أصحاب هذه النظرية نجد أبو نصر الفارابي، ينظر: محمد علي أبو ريان، المرجع، ص: 342.

<sup>2</sup> Alfred Bel, Op Cit, P9.

<sup>3</sup> Ibid, P12-13.

<sup>4</sup> De Courcelles D.(dir.), Les Enjeux Philosophiques de La Mystique, Actes Du Colloque Du Collège Internationale De Philosophie, Edition, Jérôme Million, Paris, P17.

<sup>5</sup> Ibid, P15.

إلا أن ظهور التصوف الفلسفي بصورة واضحة يعود إلى القرنين السادس والسابع الهجريين<sup>1</sup>، حيث ظهر العديد من أقطابه، الذين ركزوا على إظهار حقائق الموجودات عن طريق العقل.

### 3 - ة التصوف بالمغرب الأوسط :

ليس من اليسير تحديد بداية دقيقة لنشأة التصوف في بلاد المغرب ا ويعود ذلك لأسباب منها عدم التمييز بين الزهد والتصوف في البداية صة وأن التسمية كانت تطلق على كليهما دون تفريق بينهما، رغم أنه ليس من الصواب الخلط بينهما، فالزهد يعتبر مقدمة للتصوف وبابا للدخول فيه، ولا يعدُّ أن يكون مقاما من مقامات الطريق<sup>2</sup> الذي لا بد للمتصوف من سلوكه قبل أن يُعدَّ من زمرة المتصوفين أن التصوف في صورته الأولى الزهدية قد يرجع إلى عهد الفتوحات الإسلامية للمغرب. يرجع بعض الباحثين<sup>3</sup> ظهور التصوف في الأندلس إلى حركة محمد بن مسرة(ت318هـ/930م) الذي انتشرت أفكاره في الأندلس ، وكانت له آراء موهلة في التأويل والقدر، وكان يسلك مسلك أهل الزهد والنسك واعتزل الناس في غار يتعبد فيه

<sup>1</sup> التفتازاني، المرجع السابق ص: 187.

<sup>2</sup> محمد بركات النبيلي: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، القاهرة دار النهضة العربية 1993م، ص: 5.

<sup>3</sup> محمد عبد الله عنان: نولة الإسلام في الأندلس العصر الأول، القسم الثاني، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط: 4، 1997م. ص: 699.



قريباً من قرطب وصار له أتباع ينتصرون لأفكاره، لتد بعد ذلك أفكاره إلى المغرب خلال القرن الثالث الهجري.

لكن الفضل الأكبر في انتشار التصوف ببلاد المغرب الإسلامي يعود إلى دخول كتب الإمام أبي حامد الغزالي (505هـ/1112م) خاصة كتاب الإحياء الذي لقي رواجاً لدى العديد من العلماء في العصر المرابطي، لما يحمله من أبعاد صوفية، وتأويلات للآيات القرآنية والأحاديث النبوية كما تعد رحلة المغاربة نحو المشرق عاملاً مهماً في انتقال التصوف إلى الغرب الإسلامي، حيث كانوا يقصدونه إما للحج، أو لطلب العلم، أو التجارة، وخلال تلك الرحلة كانوا يلتقون بكبار المتصوفة المشاركة، فيتأثرون بطريقتهم الداعية إلى الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، والبعد عن الخوض في أمور السياسة، ورفض الوظائف الدنيوية التي يدعون إليها من طرف الحكام، فكان ذلك يبعث في نفوس الناس عامة، والمغاربة خاصة، الهيبة والإجلال والتوقير لهؤلاء المتصوفة، فكانوا يحرصون على الجلوس في حلقتهم لتلقي علومهم والأخذ عنهم، ثم عند عودتهم إلى بلادهم يقومون بنشر طريقتهم وعلومهم.<sup>1</sup>

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المصنفات الصوفية قد وجدت طريقها إلى المغرب الأوسط وانتشرت في بعض مدنه بداية من القرن السادس الهجري، ككتاب إحياء علوم

<sup>1</sup> فاطمة الزهرة جدر: السلطة والمتصوفة في الأندلس عهدي المرابطين والموحدين رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، إشراف إبراهيم بحاز، 2007/2008م. ص: 53.

الدين للغزالي، الذي كان أبو محمد عبد السلام التونسي (ت 512هـ/1119م) يدرسه لطلبته بتلمسان ويحثهم على قراءته<sup>1</sup> واستنساها. نظرا لقيمة أفكاره الصوفية، كما نجد أن أبا الفضل النحوي (ت 513هـ) الذي كان من الذين انتصروا للغزالي<sup>2</sup>، وعارضوا إحراق كتاب الإحياء، قد نزل بقلعة بني حماد واستقر بها، وكان من تلامذته من تأثر بأفكار الغزالي واهتم بكتبه وبالتالي مد التصوف جذوره رغم مقاومة بعض الفقهاء له، ورغم حملة الإحراق التي طالت كتب الإمام أبي حامد الغزالي<sup>3</sup> بغية قطع الطريق أمام تغلغل هذا الفكر الذي كان كثير من فقهاء المرابطين من أشد المعارضين له.

أما عن انتشار التصوف في المغرب الأوسط فقد بقي محل اختلاف بين الباحثين، بناء على استقراءهم للنصوص التاريخية التي تعرضت لموضوع التصوف في بلاد المغرب الإسلامي عموما، والمغرب الأوسط خصوصا، وبناء على الكتابات التاريخية التي تناولت موضوع التصوف في المغرب الأوسط، من خلال الترجمة لرجالته، حيث يذهب بعض الباحثين<sup>4</sup> إلى أن ظهوره يعود إلى القرن السادس الهجري، ونظرا أنه ذهبا أصل له اثني عشر ممن تناولوا الترجمة لرجال الزهد والتصوف في المغرب

<sup>1</sup> التادلي: المصدر السابق، ص: 179.

<sup>2</sup> التادلي، المصدر نفسه، ص: 96.

<sup>3</sup> عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص: 237.

<sup>4</sup> ألفريد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تر: عبد الرحمن بدوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: 3.

1987م، ص: 377.

الأوسط أولهما هو الغبريني (ت704هـ/1305م) عنوان الدراية الذي استهله بالترجمة لأربعة رجال من متصوفة القرن السادس الهجري<sup>1</sup>، مكتفيا بهم — نظرا لشهرتهم — عن بقية المتصوفة الذين عاشوا خلال هذا القرن، وذلك حفاظا على شرط كتابه الذي اشترطه والثاني هو ابن القنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م) أنس الفقير وعز الحقير، الذي ألفه للتعريف بمتصوفة القرن الثامن الهجري حيث بدأه بالترجمة لأبي مدين شعيب (ت594هـ/1198م) وبعض من المتصوفة الذين رآوا القرن السادس الهجري.

وعلى العموم فإن حركة التصوف في المغرب الأوسط تعود جذورها الأولى إلى القرن الثالث الهجري» لأن الظاهرة نتاج إرهاصات دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية... تخمرت عبر قرون وتمخض عنها ميلاد الحركة الصوفية التي بدأت معالمها تتضح في القرن السادس الهجري<sup>2</sup>، فقد وجدت في المغرب الأوسط حركة تعبدية زهدية لدى الإباضيين مثلها أئمة الدولة الرستمية وعمالها<sup>3</sup> منذ القرن الثالث الهجري، حيث كانوا على جانب كبير من الزهد والورع.

<sup>1</sup> أبو العباس أحمد الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ا : عادل نوبهض، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط:2 1979م، ص: 20.

<sup>2</sup> طاهر بونابي: التصوف في الجزائر المرجع السابق، ص: 47.

<sup>3</sup> عن سيرة عبد الرحمن بن رستم وزهده ينظر: ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، ا : إبراهيم بحاز ومحمد ناصر، الجزائر: دار المطبوعات الجميلة 1986م. ص: 28.

كما أن موقف الموحدين من التصوف لم يكن موقفا معاديا، فقد ظهر في عهدهم أبرز رجال التصوف الذين عرفهم المغرب الأوسط، وعلى رأسهم أبو مدين شعيب (ت594هـ/1198م) الذي أثر بطريقته وسلوكه في الكثير من تلامذته، حتى صارت بجاية مقصدا لعديد من مريديه الذين كانوا يرون فيه نموذجا للصلاح والتقوى، وعملوا على نشر طريقته بكامل بلاد المغرب الاسلامي أما في العهد الزياني فإن كتب التراجم قد حفلت بالترجمة للكثير من المتصوفة الذين عاشوا خلال هذا العهد، وذاع صيتهم في الأقطار وطبقت شهرتهم الآفاق.

#### 4 - عوامل انتشار التصوف بالمغرب الأوسط :

اصطبغت الحركة الفكرية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني بالفكر التصوفي، حيث اختلفت مناهله ومشاربه، ما هو راجع إلى سلوكيات المتصوفة المحلية (المجاهدة العملية) حسب خصوصية المنطقة، ومنها الرافدة من المشرق أو الأندلس والتي تركز على نظريات وأفكار فلسفية، وكلاهما وجدت في أوساط سكان المغرب الأوسط وقد أدت بعض العوامل إلى انتشار ظاهرة التصوف بالمغرب الأوسط، نذكر منها:

#### أ - العامل السياسي :

أدت الأحداث السياسية التي مرت بها الدولة الزيانية والمتمثلة في سياسة سلاطين الدولتين الحفصية والمرينية الرامية إلى السيطرة على الدولة الزيانية إلى عدم الاستقرار



السياسي، واضطراب حبل الأمن حيث واجهت هذه الأخيرة. القرن الثامن الهجري حملات عسكرية، تعرضت خلالها مدن المغرب الأوسط إلى الحصار والتضييق، و أثناءها سكان المغرب الأوسط مرارة الانكسار، وذاقوا لباس الخوف والجوع أين رقت السلطة الزيانية في أحيان كثيرة عاجزة عن الدفاع على رعيته حيث لم تتقطع الحملات المرينية ضدها وكان من أهمها حملة أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني (1315/714م) وحملة أبو عنان المريني سنة (1352/753م) الذي أخضع كامل بلاد المغرب الأوسط لسلطته ومنها حملة أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني (1360/761م)<sup>1</sup> وحملة أبي فارس عبد العزيز المريني سنة (1371/772م).

وقد ساهمت القبائل العربية بنصيب في انفلات حبل الأمن داخل الدولة الزيانية في كثير من الأحيان، حيث كانت تقوم بالإغارة على القوافل المارة بأراضيها، فتقتل وتتهب وتثير الرعب بين الناس، من ذلك ما رواه البلوي في رحلته التي كان قد مر خلالها ببونة سنة 736هـ، حيث أغارت عليهم جماعة « من العرب كقطع الليل، حملت علينا حمل السيل، فكان زوال كل ما ملكناه أسرع من لحسة الكلب أنفه، وناهيك عن

<sup>1</sup> السلاوي: الإستقصا، المرجع السابق، ج:4، ص: 33.



صبيحة ذلك اليوم فجاءة حال، وسرعة انتقال<sup>1</sup> مما يدل على وصف الأوضاع الأمنية بالتهور.

وقد دفعت هذه الأحداث السياسية بالكثير من الناس إلى الانعزال عن الحياة الدنيا والزهد فيها، واللجوء إلى دعوات الصلحاء وأصحاب الولاية لتجاوز تلك المحن، والالتفاف حولهم والتبرك بهم، والاعتقاد فيهم والتصديق بكراماتهم، و أصبحوا هم ملجأهم في تجاوز مشاكل حياتهم اليومية.

ورغم أن التصوف قد انتشر في المدن قبل الأرياف، كجاية وتلمسان ووهران وقسنطينة<sup>2</sup> والجزائر، وكان أتباع المتصوفة أغلبهم من سكان المدن، إلا أن هذه الظاهرة لم تدم على ذلك النحو، فمع ضعف الإدارة المركزية وتعفن الأوضاع السياسية، وكثرة الظلم واستئراء الفساد، انتشرت حركة التصوف بصفة أوسع حيث تغلغت في دواخل البلاد والأرياف، وتولت الزوايا التي أنشأها بعض المتصوفة مهام عديدة كانت

<sup>1</sup> خالد ابن عيسى البلوي: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق (الرحلة الحجازية) ج 1 : الحسن بن عمر السائح، المحمدية المغرب: مطبعة فضالة (د، ت)، ص، ص 164 165.

<sup>2</sup> قسنطينة: مدينة قديمة بناها الرومان وهي واقعة على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية. وهي عاصمة الشرق الجزائري وثالث أكبر مدنه بعد العاصمة ووهران. بنظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج: 2 ص: 55.

من قبل من اختصاص السلطة السياسية<sup>1</sup>، كنشر العلم وفض النزاعات والتحريض على الجهاد ضد العدو.

#### ب - العامل الاقتصادي والاجتماعي:

ترتبط حالة الرخاء الاقتصادي باستقرار الوضع السياسي والأمني، لذلك فإن انفلات الحالة السياسية في الدولة الزيانية وسيادة اللأمن، أديا إلى تدهور الحالة الاقتصادية بسبب الحروب الخارجية التي قامت بين الدويلات المغاربية الثلاث، الحفصية، الزيانية والمرينية، ناهيك عن الفتن الداخلية التي كانت تعج بلاد المغرب الأوسط<sup>2</sup>، فكانت هاته الأحداث تأتي على مختلف مظاهر مقومات الاقتصاد، كحرق الزروع، وقطع الأشجار والبساتين، وردم الآبار، وقطع المياه عن المدن أثناء حصارها خاصة الحصار الذي ضربه السلطان المريني أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق (689هـ/1290م) على مدينة تلمسان وأدى إلى « غلاء أسعارها، وهلك الناس بالجوع والسيف والمنجنقات»<sup>3</sup> وساد الخوف في البلاد وأثرت حالة الحرب شبه الدائمة إلى تعطيل الإنتاج الزراعي وعدم الاطمئنان إلى حصاد المحصول بسبب تلك الحالة، وهي ظروف لا تشجع المشتغلين بالزراعة مواصلة نشاطهم الزراعي وقد أشار إليها

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ط:1 1998م، ص: 463.

<sup>2</sup> يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج:1، ص ——— ص: 119 - 122.

<sup>3</sup> بن خلدون المصدر السابق، ج:1، ص: 121.

ابن خلدون بقوله: « قبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر بسبب ما في آخر الدولة من العدوان في الأموال أو الجبايات أو الفتن الواقعة بين انتقاص الرعايا »<sup>1</sup> وهي شك نتيجة متوقعة.

كما أن التجارة وحركة التجار قد تعطلت بسبب كثرة قطاع الطرق وانتشار اللصوصية وهو ما أدى إلى ارتفاع الأسعار بسبب قلة المواد و ممارسة الاحتكار وتزايد الضرائب التي يدل على كثرتها قول ابن مرزوق التلمساني عند حديثه عن الحصار الذي ضربه السلطان المريني أبي الحسن (731-752 / 1331-1351م) مدينة تلمسان، واحتلاله لها بقوله: « ورفع فيها من المغارم ما كان شائعا خسيسا و يجتمع فيه أموال المغرم على الحطب والبيض و الدجاج و التين و سائر المرافق التي يفتقر إليها القوي و الضعيف »<sup>2</sup>، حيث كان الوضع السياسي والأمني يدفع بالسلطة إلى رفع المغارم للاستعانة بها على الحروب والفتن، دون مراعاة مستوى الدخل المعيشي لعامة الناس، بل إن السياسة الضريبية اتت تهدف إلى ضمان أكبر دخل وتعزيز شوكة الدولة حتى تستطيع أن تتقوى على الحروب و الفتن الداخلية التي تواجهها.

وقد انجر عن كثرة الحروب التي لم تنقطع، وطول فترات الحصار، انتشار بعض الأمراض والأوبئة في مختلف مناطق المغرب الأوسط، والتي كان سبب حدوثها

<sup>1</sup> مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 288.

<sup>2</sup> محمد ابن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح، المصدر السابق، ص: 285 286 .

مجاعات شديدة أصابت الناس فأدت إلى هلاك الكثير منهم، خاصة الفقراء والمحتارن الذين كانوا أكثر عرضة للأمراض والأوبئة بسبب انتشار رائحة الجثث داخل المدن وضيق المساكن، في ظل انعدام الوعي الصحي وشروط النظافة<sup>1</sup> وأثرت هذه الأحداث على الناحية الاجتماعية حيث تدنت القيم الأخلاقية وظهرت الكثير من الآفات الاجتماعية كالدعارة وغيرها<sup>2</sup> التي حاربها الصوفية بكل السبل مما أدى إلى انتشار مذهبهم.

وأمام كل هذه الأوضاع الصعبة التي كان الناس يعيشونها، وضعف أو غياب السلطة التي تدفع عنهم ما يعانونه، لم يجد هؤلاء عزاء إلا عند الصوفية في حماية أنفسهم وأموالهم<sup>3</sup> قد ذكر عن الشيخ أبو العباس أحمد بن مرزوق « أنه كانت له مطامير من قمح وفحم، وكان يعد اللحم المدخر المعروف بالمسلي بالخليع والزيت، فإذا كان يوم الثلج فتح مطمورة من قمح وأخرى من فحم، ويتصدق بالزرع والفحم والإدام طوال يومه، فلا يرجع إلى داره حتى يفرغ من المطمورتين »<sup>4</sup> وكان ذلك دأبه مع الفقراء والمحتاجين بروى عن الولي الصالح أبي الحسن

<sup>1</sup> : دور السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط

الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 15 2016م، ص - ص : 22-33.

<sup>2</sup> ابن الزيانات: المصدر السابق، ص: 111.

<sup>3</sup> عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص: 28.

<sup>4</sup> ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، المرجع السابق، ص: 191.



الحرالي (ت638هـ/1241م) أنه حينما أصاب أهل بجاية الجفاف وقل الماء وغلا ثمنه، كان يكلف طلبته بتوفير الماء للفقراء من الوادي الكبير، ومن دور أصحابه<sup>1</sup> ليجنب الناس مشقة العطش.

وبذلك نرى بأن هذه الشريحة من المجتمع ونعني بها طائفة المتصوفة، قد قامت في أحيان كثيرة بدور الدولة ونابت عنها في حماية الناس والأموال<sup>2</sup> والطرق، وقد زادت مكانة المتصوفة بين الناس الذين أصبحوا يحكمونهم في قضاياهم ويستجدون بهم لحماية أنفسهم وأموالهم وأمتعتهم أوقات الفتن.

### ج - العامل الفكري:

إن الحياة السياسية المضطربة التي عاشتها الدولة الزيانية في بعض الفترات، لم تمنع من وجود حركة فكرية نشيطة بها، حيث ظهرت نخبة علمية بلغت منزلة عالية في العديد من العلوم والفنون، وتجدر الإشارة إلى هذا الصدد إلى عناية سلاطين بني زيان بهذا الجانب، خاصة منهم يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1236-1283م) مؤسس الدولة الزيانية « الذي استطاع بعلو همته وبعد نظره أن يجعل من تلمسان قاعدة المغرب الأوسط التجارية والفكرية»<sup>3</sup> بالإضافة إلى كونها عاصمة سياسية واقتصادية، حيث جلب

<sup>1</sup> الغبريني: المصدر السابق، ص: 149.

<sup>2</sup> أحمد بابا التمبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص: 517.

<sup>3</sup> عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ج: 2، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي 200م، ط: 3، ص: 200.



إليها العلماء والفقهاء والصوفية، وقد أشار ابن مريم في كتابه إلى اعتناء سلاطين بني زيان بالكثير من المتصوفة، فعند ترجمته للولي محمد بن عيسى بن عبد الله، ذكر بأن السلطان يغمراسن كان يزوره في محله<sup>1</sup> التماسا لبركته ودعائه.

برز في المغرب الأوسط الكثير من أهل التصوف الذين استطاعوا نشر التصوف بين الناس والتأثير فيهم، وإن نظرة سريعة في كتب التراجم التي تعرضت لسير رجال التصوف الذين عاشوا خلال العصر الزياني، لكفيلة بإعطائنا صورة واضحة عن سلوكهم وطريقة عيشتهم التي كان الناس يرون فيها نموذجا للصلاح والتقوى، فكانوا يحرصون على الاقتداء بهم والتقرب منهم، مما ساعد على انتشار طريقتهم وتغلغلها في المجتمع، من خلال كوينهم العلمي فقد تولى أكثر رجال التصوف مهمة التعليم، الإمام محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ/1490م) الذي « كان إذا صلى الصبح في مسجده وفرغ من ورده أقرأ العلم إلى وقت الفطور المعتاد»<sup>2</sup> حتى أنه كان إذا تكلم في فن ظن سامعه أنه لا يحسن غيره، وقد زاد على الفقهاء بأن اهتم بعلم الباطن<sup>3</sup> مع مشاركته في بقية العلوم.

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 224.

<sup>2</sup> التمكنّي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص: 570.

<sup>3</sup> التمكنّي، المصدر نفسه، ص: 564.

كما كان الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن زاغو (ت845هـ/1442م) قد تولى مهمة التدريس بالمدرسة اليعقوبية، وخصص يومي الخميس والجمعة لتدريس التصوف ومراجعة مؤلفاته وتصحيحها وتنقيحها<sup>1</sup>، لأنه كان أكثر اهتمامه بالتصوف.

وقد ساهم في انتشار التصوف أيضا كثرة المؤلفات الصوفية العديدة التي ألفها أصحابها لأغراض مختلفة، منها في الرد على المعارضين لطريقتهم ككتاب " نصره الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير" للإمام السنوسي، الذي ألفه للدفاع عن التصوف والمتصوفة، حيث عرف شهرة واسعة وكثرت نسخه وتعددت، ومنها كتاب " المنهج السديد في شرح كفاية المرید " وكتاب " عدة المرید الصادق" للشيخ أحمد زروق الذي جرده لبيان عيوب الطرق ومحدثاتها، كما تحدث في مؤلف آخر عن حقيقة التصوف وقواعده سماه " قواعد التصوف" ، ومنها مؤلفات الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، ككتاب " العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة" و " الإرشاد في مصالح العباد" وغيرها من المؤلفات الصوفية التي انتشرت في أوساط النخب العلمية، وتداولها طلبة العلم واعتنوا بدراستها، والتي سنتناولها في العنصر التالي.

5 - أبرز أعلام التصوف العهد الزياني وأهم مؤلفاتهم ما بين

القرنين (8-10هـ/14-16م):

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 43.

\* أبو العباس أحمد بن مرزوق (ت 741هـ/1341م):

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق، وهو حفيد ابن مرزوق الخطيب، الذي أخذ عنه تعليمه الأول قال في حقه بلديه أبو الفرج بن أبي يحيى الشريف التلمساني « ل الصالحين، وخالصة مجد التقى والدين، نتيجة مقدمات المهتدين، حجة الله على العلم والعالم، جامع بين الشريعة والحقيقة على أصح طريقة»<sup>1</sup> اتصف بالزهد والورع، واشتهر بإجابة الدعوة وكان ب كرامات صالحا زاهدا ورعا<sup>2</sup> قرأ عليه الكثير من أهل تلمسان وانتفعوا به منهم الولي الصالح عبد الرحمن الثعالبي، والعلامة أبو عبد الله التنسي و القلصادي الذي ذكره في رحلته بقوله: « الشيخ الفقيه الإمام العلامة الكبير الشهير، شيخنا وبركتنا سيدي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق»<sup>3</sup> وقد أجمع الناس على فضله من المغرب إلى الديار المصرية<sup>4</sup> وروى ابن قنفذ القسنطيني عن جده أن أبا العباس بن مرزوق كانت عنده عكاز ومرقعة الشيخ<sup>5</sup> أبا مدين

<sup>1</sup> المقرئ: المصدر السابق، ج:5، ص:423.

<sup>2</sup> يحيى بن خلدون: ج: 1 المصدر السابق، ص:50.

<sup>3</sup> أبو الحسن علي القلصادي: رحلة القلصادي، محمد أبو الألفان، الشركة التونسية للتوزيع: تونس 1978م، ص:96.

<sup>4</sup> المقرئ: المصدر السابق، ج:5، ص:425.

<sup>5</sup> أحمد بن قنفذ القسنطيني: أسس الفقير وعز الحقيق، نشر وتصحيح: محمد الفاسي وأدولف فور، مطبعة أكسال: الرباط 1965م، ص:94.

شعيب، فقد كان « أبو العباس هذا من تلاميذ الشيخ الصالح الذي اختص خدمة الشيخ أبي مدين وكان سالكا طريقته وبعده تولى أحمد بن مرزوق خدمة الشيخ الصالح وذلك برعاية وصيانة ضريحه وإتباع طريقته وتبليغها لمن بعده وبقاء عكاز الشيخ ومرقعته عنده يدل المنزلة الكبيرة، والدرجة العالية أبي العباس بن مرزوق في خدمة ضريح الشيخ شعيب»<sup>1</sup> فقال بذلك بركة وصار صاحب كرامة واد .

\* إبراهيم بن موسى المصمودي (ت 805هـ/1403م):

ذكره ابن سعد في النجم الثاقب فقال: « أحد من أوتي الولاية صبيبا وحل من رئاسة العلم والزهد مكانا عليا»<sup>2</sup> وهو أحد شيوخ ابن مرزوق الحفيد، فقد ذكر ابن مريم بأن ابن مرزوق أفرد له تأليفا ترجم له فيه ومما جاء في هذه الترجمة قوله: « الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدرس رئيس الصالحين والزاهدين في وقته صاحب الكرامات المأثورة والديانة المشهورة الولي بإجماع مجاب الدعوة إبراهيم المصمودي»<sup>3</sup> أخذ العلم عن جماعة منهم موسى العبدوسي، والإمام الأبلي وأكثر قراءته على شريف

<sup>1</sup> بن داود نصر الدين: المرجع السابق، ص: 269.

<sup>2</sup> لحاج محمد: مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، " الجزء الأول" دراسة وتحقيق. مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: بن معمر محمد، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2007/2008م، ص: 95.

<sup>3</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 64.



العلماء أبي عبد الله الشريف التلمساني كما أخذ العلم عن القاضي سعيد العقباني<sup>1</sup> عندما رحل إلى تلمسان وكان من أهل الزهد والورع، قال التنبكتي « مازال مقبلا على العلم والعبادة والاجتهاد في المجاهدة، آخذاً بالغاية القصوى، ورعا وزهدا وإيثارا، مثابرا على البر، متبعا طريق السلف»<sup>2</sup> فحاز بذلك منزلة عليا بين معاصريه.

• أبو عبد الله محمد بن عمر الوهراني (843هـ/1440م):

كان كثير السياحة شرقا وغربا، سافر إلى فاس وأخذ عن موسى العبدوسي والقباب، ثم انتقل إلى بجاية وأخذ عن عبد الرحمن الوغليسي وغيره وكان يحب أهل بجاية لعطفهم على الغريب والفقير، ويحدث عن أهلها بغرائب كثيرة فيقول: « ما لقيت مثلهم في غيرها من البلاد»<sup>3</sup> وسافر لأداء مناسك الحج ولقي في طريقه بمصر القرافي وغيره، وقد بلغت كراماته التواتر، وذكرت العديد من التراجم التي تعرضت لسيرته<sup>4</sup> أنه كان مقطوعا بولايته، وآية من آيات الله في فنونه ومكاشفاته « وقد أجمع على تعظيمه وتسليم التقديم له في الولاية كل من عاصره في بلاد المغرب من الأولياء، وقد سافر الشيخ سيدي الحسن بن مخلوف لزيارته من تلمسان حافيا راجلا من باب البلد إلى

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر نفسه، ص: 65.

<sup>2</sup> التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص: 55.

<sup>3</sup> ابن سعد: المصدر السابق، ص: 229.

<sup>4</sup> ينظر ترجمته في: البستان، ص: 228. نيل الابتهاج، ص: 516. درة الحجال، ج: 2، ص: 289. تعريف الخلف،

ج: 1، ص: 170. الضوء اللامع ج: 8، ص: 272.



أن بلغه تأدبا معه وإنما يعرف الأولياء أمثالهم ومن ذاق شيئا من فتوحاتهم<sup>1</sup> « وقد اختار الشيخ الهواري وهران مستقرا له، مثابرا على العلم والعمل، ووضع كتابا في علم التصوف، مبسطا للفقراء والأولاد سماه " السهو" لم يراعي فيه أوزان الشعر ولا العربية، فلما أدخل عليه بعض الفقهاء اسمه المقلاش أشياء لإصلاحه، أنكر عليه الشيخ الهواري ذلك ونهاه عن تعديل ما جاء في كتابه وقال له: « هذا السهو يقال له سهم المقلاش، وأما سهوي فهو أن الفقراء إنما ينظرون فيه إلى المعنى، ومن أين العربية والوزن لمحمد الهواري، بل سهوي يبقى على ما هو عليه»<sup>2</sup>، وعند قرب أجله كان أكثر كلامه على التبشير بسعة رحمة الله تعالى، وبقي على حالة الصلاح إلى أن توفي بوهران سنة (843هـ/1440م).

\* أحمد بن زاغو المغراوي التلمساني (742-845 / 1380-1441م):

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهير بن زاغو، الصوفي الزاهد العلامة المحقق المتفنن القدوة الناسك العابد أخذ عن إمام المغرب أبي عثمان سعيد العقباني وعن السيد العارف ابن يحيى الشريف وغيرهما<sup>3</sup>، ومن تلامذته الذين أخذوا عنه ابن زكري، والحافظ التنسي، وأبو الحسن القلصادي وغيرهم، وقد ذكره هذا الأخير في رحلته فقال:

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر ص: 229.

<sup>2</sup> التمكني: المصدر السابق، ص: 517.

<sup>3</sup> التمكني: المصدر نفسه، ص: 118.

» الفقيه الامام المصنف المدرس، أعلم الناس في وقته بالتفسير وأفصحهم، فاق نظراءه وأقرانه دلائل السبل والمسالك، ذي سبق في الحديث والأصول والنطق وقدم راسخة في التصوف، مع الذوق السليم والفهم المستقيم وبه يضرب المثل في الزهد والعبادة<sup>1</sup>. ترك ابن زاغو عدة مؤلفات منها: "تفسير الفاتحة"، وشرح التلمسانية، و"منتهى التوضيح في عمل الفرائض، وحكم بن عطاء الله، ولطائف المنن، وأقضية مختصر خليل، وابن الحاجب الفرعي وغيرها من التأليف الدالة على إحاطته بكثير من الفنون.

• محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام أب الفضل التلمساني (845هـ/1441م):

عرفه صاحب البستان بقوله: "الإمام العلامة الحجة النظار المحقق العارف اللوذعي الرحلة أحد أقران الإمام ابن مرزوق الحفيد... وأخذ عنه الشيخ ابن مرزوق الكفيف؛ الذي " هو شيخنا الإمام العالم النظار الحجة أبو الفضل ابن الإمام" والشيخ الحافظ التنسي وقال عنه: " هو شيخنا صدر البلغاء وتاج العارفين وأعجوبة الزمان... من بيت علم وشهرة" والشيخ تقي الدين الشمني شارح المغني وذكره السخاوي فقال: "...فزار بيت المقدس وتزاحم الناس عليه حين علموا فضله

<sup>1</sup> نويهض، المرجع السابق، ص، ص: 156 157.

وأجلوه... وذكر أنه صاحب فنون عقلية ونقلية...<sup>1</sup>، وكان أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن الإمام أول من أدخل إلى المغرب الأوسط شامل بهرام وشرحه على مختصر خليل<sup>2</sup>، وكان ممن حضر مجالسهم القلصادي من شيوخ تلمسان فقال: "ومنهم الشيخ الفقيه الإمام الصدر العلم سيدي أبو الفضل بن الإمام كان عالماً بالمنقول"<sup>3</sup>.

وذكره أبو العباس الونشريسي بقوله: "ولأبي الفضل بن الإمام قدم راسخ في البيان والتصوف والأدبيات والشعر والطب وهو أول من أدخل إلى المغرب شامل بهرام وشرح المختصر له وحواشي التفتازاني على العضد وابن هلال على ابن الحاجب الفرعي وغيرها من الكتب الغربية... وله أبحاث وكلام في التفسير تكلم فيها مع الإمام المقري في مسأله التفسيرية... وتوفي عام 845هـ..."<sup>4</sup>.

• إبراهيم بن محمد بن علي التازي (866/1462م):

<sup>1</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص 221-220.

<sup>2</sup> إسماعيل بركات، الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكرياء يحيى بن موسى بن عيسى بن يحيى المغلي المازوني (ت 886/1478م) الجزء الأول دراسة وتحقيق من مسائل الطهارة إلى مسائل النزاع بين طلبة غرناطة، ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، تخصص المخطوط العربي، قسم التاريخ والآثار، جامعة قسنطينة 1430-2009/2010م، ص 108.

<sup>3</sup> أبو الحسن القلصادي المصدر السابق، ص 108.

<sup>4</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص 221.

الولي الورع الزاهد صاحب الكرامات، كان عالما صالحا له قصائد بديعة<sup>1</sup> ترجم له صاحب الكفاية فقال: « هو ممن أظهره الله تعالى لهداية الخلق وجله برداء المحبة والمهابة والقبول عند الخاصة والعامة، فدعاهم إليه ببصيرة وأرشدتهم للتوحيد والعبودية»<sup>2</sup>، أخذ خلال رحلته المشرقية الحديث والرقائق عن قاضي قضاة المالكية الشريف تقي الدين الحسني وأجازه وفي تونس أخذ عن الشيخ العلامة العبدوسي أما تلمسان فقد أخذ عن الحفيد بن مرزوق، وذلك قبل أن يغادرها إلى وهران لزيارة شيخها ووليها الصالح محمد بن عمر الهواري للتلمذ على يديه ونيل بركته، وقد وصف صاحب البستان الشيخ ابراهيم التازي: «كان كلامه في طريق التصوف ومقام العرفان لا يقوم بمعناه إلا من تمكنت فيه معرفته وقويت عارضته»<sup>3</sup> وهو ممن اشتهر حاله بين أهل المغرب عامة، وله قصائد عديدة تنم عن عظيم قدره وتقيدا مفيدا على فرائض الحوفي، أوضح فيه العمل غاية الإيضاح وقد وصفه به ابن سعد في النجم الثاقب قوله: « كان من أهل الحفظ العظيم، معروفا بجودة النظر والفهم الثاقب جامعاً لمحاسن العلماء، متمتعاً بأداب الأولياء، لا نظير له في كمال العقل ومتانة الحلم والتمكن في المعارف، وبلوغ الدرجة العليا في محاسن الأخلاق وجميل العشرة والمعرفة، أقدار

<sup>1</sup> السخاوي: المصدر السابق، ج:1، ص: 187.

<sup>2</sup> أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، 1: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: المغرب 2000م، ص: 168.

<sup>3</sup> ابن مريم: المصدر السابق ص: 58.



الناس، مع القيام بحقوقهم في صحبتهم وملاقاتهم»<sup>1</sup> وكان عالما زاهدا متصوفا له كرامات كثيرة، وأخذ عنه جلة من العلماء أمثال الحافظ التنسي، والإمام محمد بن يوسف السنوسي، وأحمد زروق<sup>2</sup> البرنسي وغيرهم، وانتفع به خلق كثير، وتناقلوا قصيدته التي اشتهر بها المعروفة ( المرادية ) وهي قصيدة في التصوف، سميت بهذا الاسم لافتتاحها بقوله ( مرادي):

مَرَادِي مِنَ الْمَوْلَى وَغَايَةَ مَا نَوَامِ الرُّضَى وَالْعَقْوُ عَنْ سُوءِ

عَمَالِي

• أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م):

من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنه من جهة أمه، الجامع بين الشريعة والحقيقة، وصفته المصادر التي ترجمت له بالصالح الزاهد العابد، كبير علماء تلمسان ويظهر ذلك من خلال تكوينه العلمي حيث أخذ العلم عن جلة من العلماء، كالعلامة نصر الزواوي وعن الوالي الصالح الحسن أبركان الذي كان يحبه ويؤثره على غيره وأخذ القراءات عن احمد الشريف الحسني، وأخذ الصحيحين وغيرها من كتب الحديث عن الولي الصالح أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي وأجازه فيها، كما أخذ الحديث عن الولي

<sup>1</sup> بلحاج محمد: المرجع السابق، ص: 99.

<sup>2</sup> التتبعي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص: 61.



الزاهد ابراهيم التازي وروى عنه أشياء كثيرة من المسلسلات، وعلى العموم فقد جمع له تلميذه الملالي مناقبه في تأليف كبير سماه " المواهب القدسية في المناقب السنوسية"<sup>1</sup> وشهرته بلغت الأفاق بسبب ما تركه من التأليف الكثيرة في عدة فنون، علم التوحيد، مثل عقيدته الكبرى والوسطى والصغرى وقد شرحها كلها، وله شرح كبير على الحوفية سماه " المقرب المستوفى" ألفه وسنه تسع عشرة سنة<sup>2</sup>، ولما رآه شيخه الحسن أبركان نهاه عن إظهاره حتى يبلغ الأربعين من عمره خوفاً عليه من العين، وله شرح على الجزيرية، ومختصر الأبى على مسلم، وشرح قصيدة الحباك الإسطرلاب، كما شرح الأبيات المنسوبة لألبيري في التصوف، وشرح على صحيح البخاري<sup>3</sup>، وغيرها من التأليف الأخرى.

• أحمد زروق البرنسي الفاسي (ت899ه/1494م):

الولي الصالح القطب الرباني، أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق، المعروف شرقاً وغرباً بولايته وعلمه، أخذ العلم على الكثير من الأعلام أمثال عبد الرحمن الثعالبي، وناصر الدين المشدالي وإبراهيم التازي والرصاع، وأحمد بن سعيد الحباك، والإمام السنوسي والتنسي وذكر ابن مريم من شيوخه أيضاً الرصاع

<sup>1</sup> التبتكي: نيل الابتهاج المصدر السابق، ص: 564.

<sup>2</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 245.

<sup>3</sup> ابن مريم المصدر نفسه، ص: 246.

وابن زكري، كما أنه رحل إلى المشرق وأخذ عن شيوخه منهم السنهوري، والحافظ السخاوي، والولي أحمد بن عقبة الحضرمي، والشهاب الأبيشيبي وغيرهم<sup>1</sup>...

كان الشيخ أحمد زروق قد صحب أهل التصوف وتوغل فيه، وسلك طريق المجاهدة وتزهد في الدنيا<sup>2</sup> « وكان رضي الله تعالى عنه عالما محققا ورعا زاهدا شديد النكير على البدع آية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقافا عند حدود العلم وأحكام الشرع وآدابه حتى قيل فيه: إنه محتسب الصوفية<sup>3</sup> » وألف في باب التصوف تأليف عديدة منها في النكير على مبتدعة عصره كتبها كثيرة "تاب" النصح الأنفع والجنة للمعتصم من البدعة بالسنة" وكتاب " عدة المرید الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت" قسمه إلى مائة فصل تعرض فيه للبدع التي كان فقراء الصوفية يفعلونها، وكتاب " مزيل اللبس عن آداب أسرار القواعد الخمس" وله شرح نظم ابن البناء الفاسي في التصوف، وله رسائل عديدة إلى أصحابه تشتمل كلها على مواظ وحكم ولطائف التصوف<sup>4</sup> وله أيضا شرح "المراصد" في التصوف لشيخه ابن عقبة و" إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين" وكتاب " القواعد في

<sup>1</sup> التبتكتي: كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج:1، ص: 127.

<sup>2</sup> عبد الله بن عبد القادر التليدي: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان: الرباط، 2003م، ط:4، ص: 148.

<sup>3</sup> التليدي: المصدر نفسه، ص: 148.

<sup>4</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 47.

التصوف" وقد وصفه التنبكتي آخر أئمة الصوفية المحققين الجامعين بين

الحقيقة والشريعة<sup>1</sup> نظرا لغزارة تآليفه وتمكنه ومعرفته بعلم الظاهر والباطن.

• عبد الرحمن الثعالبي (787 - 875/1385-1471 م):

هو عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، ولد بواد يسر قرب مدينة الجزائر الحالية ودرس بها ومنها رحل إلى مدينة بجاية لقربها وشهرة العلماء بها خاصة في التصوف وسافر بعدها إلى تونس حيث جامع الزيتونة الذي يضم مشاهير العلماء، وفي طريقه إليها توقف بقسنطينة للأخذ عن علمائها، كما أخذ العلم عن علماء تلمسان، وقد التصق اسم الثعالبي بالزهد والتصوف<sup>2</sup> رغم اشتغاله بعلوم الحديث والتفسير والفقه وغيره.

حلاه التنبكتي بقوله: « الزاهد الورع ولي الله الناصح الصالح العارف بالله أبو زيد شهر بالثعالبي، صاحب التصانيف المفيدة كان من أولياء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد الله الصالحين»<sup>3</sup> كان من كبار متصوفة وعلماء المغرب الأوسط وأعيانه، له أكثر من تسعين مؤلفا ذكر صاحب معجم أعلام الجزائر العديد منها في عدة فنون، منها في التفسير " الجواهر الحسان في تفسير القرآن" وفي القراءات " الدرر اللوامع في قراءة نافع" وفي الفقه " روضة الأنوار ونزهة الأخيار" وهو قدر المدونة، و " جامع الأمهات في أحكام العبادات" وفي اللغة " نبلا على الجواهر الحسان في شرح

<sup>1</sup> التنبكتي: نيل الابتهاج المصدر السابق، ص: 132.

<sup>2</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 1، ص: 91.

<sup>3</sup> التنبكتي: نيل الابتهاج المصدر نفسه ص: 257.

غريبه" و" تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن" و في التاريخ " جامع الهمم في أخبار الأمم" أما في التصوف فله عدة مؤلفات منها " العلوم الفاخرة في النظر في علوم الآخرة" و كتاب " إرشاد السالك" وكتاب " الأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة".

وكتاب " رياض الأس" في الرقائق، و" نور الأنوار ومصباح الظلام" و" قطب العارفين"<sup>1</sup> وغيرها من المؤلفات التي ذكرها من ترجم له.

كان تأثير الثعالبي في ميدان التصوف عن طريق تأثيره في تلامذته إذ كان قوي الشخصية ومتمكنا من العلوم التي يلقها عليهم ، عدة فنون، كما أنه ساهم في نشر التصوف بمؤلفاته التي تداولها الناس وكثرت نسخها لديهم، وقد ساهمت زاويته التي بنيت على ضريحه<sup>2</sup> بجانة الطلبة بمدينة الجزائر في انتشار التصوف، حيث صارت مقصدا للزوار الطالبين للبركة والشفاء.

\* وسي بن يحيى بن عيسى المازوني المغيلي (ت 9 / 15م):

قاضي مازونة الفقيه الأجل المدرس المحقق القاضي الأكمل، وهو والد صاحب النوازل<sup>3</sup>، نشأ بمازونة وبها تعلم، ترك عدة مؤلفات منها: " ديباجة الافتخار في مناقب

<sup>1</sup> عادل نويهض: المرجع السابق، ص، ص: 90 91.

<sup>2</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 1، ص: 92.

<sup>3</sup> التتبيكتي، المصدر السابق، ص: 605.



أولياء الله الأخيار" وتأليف في الوثائق سماه: "الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق" وتأليف آخر سماه: "حلية المسافر وآدابه وشروط المسافر في ذهابه وإيابه"<sup>1</sup>.

وقد تعرض الونشريسي صاحب المعيار إلى ذكر المازوني بقوله: «الفقيه الإمام علم الأعلام وحامل راية الإسلام، القاضي الحسيب الأصل المعلم الحافظ المشاور الهمام، والمسند الراوية، المرشد صاحب اليد الطولى الراسخة في كل مقام، صاحب التصانيف»<sup>2</sup>.

وفي مخطوط "الديباجة" تراجم لعلماء وصلحاء من أمثال: سيدي واضح الشلفي؛ وهو ما يبرز الأثر الصوفي في حياة أبي عمران موسى، وهذا ما يبرر احتفائه بالأولياء والصالحين على حد قول فريد قموح<sup>3</sup>. وذكر صاحب الابتهاج أنه تولى القضاء بـمازونة<sup>4</sup>

• عبد الرحمن الأخضرى (ت 920-983هـ/1514-1576م):

<sup>1</sup> نويهض: المرجع نفسه، ص: 281.

<sup>2</sup> ماحي قندوز: الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكرياء يحيى بن موسى المغيلي التلمساني (ت 883هـ/1478م) دراسة وتحقيق لمسائل الطهارة حتى مسائل الضحايا والعقيقة. أطروحة دكتوراه علوم، إشراف: لخضاري لخضر، قسم العلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2010-2011م. ص: 63-64.

<sup>3</sup> فريد قموح: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، أبو زكرياء يحيى بن موسى المغيلي التلمساني (ت 883هـ/1478م) دراسة وتحقيق لمسائل الجهاد والأيمان والنذور، ماجستير في علم المخطوط العربي، جامعة قسنطينة، 1431-1432هـ/2010-2011م. ص 58.

<sup>4</sup> التتبكتي: المصدر السابق، ص 605-606.



هو عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضرى من أهل بنطيس بيسكرة<sup>1</sup> التي تعلم بها عن والده الذي كان من علماء العصر، وله مؤلفات في التصوف، ونشأ نشأة علمية تميزت بالعلم والصلاح وبعدها رحل إلى قسنطينة حيث درس على علمائها أمثال عمر الوزان وهو من أبرز علماء قسنطينة في القرن العاشر<sup>2</sup> كما درس بالزيتونة في تونس، وتميز منذ حداثة سنه بحرصه على طلب العلم والاجتهاد في كثير من العلوم، وقد أخذ ورد الطريقة الشاذلية الزروقية عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي ليعود بعدها إلى بلده بنطيس ويتفرغ في زاويته للتدريس وتلقين العلم للطلبة، وتخرج العلماء، ومن منجزاته العلمية التي تقارب الثلاثين من المتون وشروحها، منظوم "السراج" و"أزهار المطالب في الإسطرلاب" وهي في علم الفلك، وفي علم المنطق والحكمة "السلم المرونق"، وله شرح على السنوسية، ومنظومة في قواعد الإعراب و"الدرة البهية في نظم الأجرومية"، وله مختصر في فقه العبادات، ورسالة في التحذير من البدع، وقصيدة لامية في مدح النبي ﷺ وقصيدته المشهورة المسماة بـ "القدسية" وتم شرحه من طرف الورتيلاني صاحب الرحلة المعروفة وسمى شرحه هذا بـ "الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح

<sup>1</sup> بيسكرة: مدينة عريقة في القدم، أسست أيام كان الرومان يحكمون بلاد البربر، وخربت بعد ذلك ثم أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الإسلامية الفاتحة تقع في الجهة الشمالية الشرقية تبعد عن العاصمة الجزائرية ب 400 كلم. بنظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج: 2، ص: 138.

<sup>2</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 1، ص: 379.

ألفاظ القدسية" وقد انتقد فيها الأخضرى من سماهم علماء السوء، ودعا فيها إلى العودة إلى العمل بالكتاب والسنة لم يكن يميل إلى الغموض والروحانية<sup>1</sup> منددا بالمشعوذين والدجالين ممن انتحلوا صفة المتصوفة ودعوا الناس إلى طريقتهم، مشتكيا من الحال الذي وصل إليه العلم في عصره معبرا عن ذلك في قصيدته فيقول في بعض أبياتها:

بَدَّ دَعَا مَرَاتِبًا جَلِيلَةً      رَ اشْرَعُ بَدَّ جَنِبُوا سَبِيلَهُ

بَدَّ بَدَّوا شَرِيعَةً لِرَسُولٍ      فَالْقَوْمُ بَدَّ حَادُوا عَنِ السَّبِيلِ

مُ يَبْقَى مِنْ بَيْنِ الْهُدَى إِلَّا سَمَةٌ      وَلَا مِنْ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسَمَةٌ

هَيْهَاتَ بَدَّ غَاضَتْ يَنَابِيعُ الْهُدَى      وَفَاضَ بَحْرُ الْجَهْلِ وَالزَّرْبُغِ بَدَا

رَكَثَرَتْ هَذَا لِدَعَاوَى الْكَاذِبَةِ      رَصَّارَتِ الْبِدْعَةِ بَيْنَهُمْ غَالِبًا

ويبدو أنه في هذا العصر توقف تدفق المعرفة وانطفأت أنوار الاجتهاد<sup>2</sup>، وقلت العناية بالعلوم، واختلط على العوام معرفة الصوفي الحقيقي من مدعي الولاية، مما دفع بالشيخ الأخضرى إلى بيان حقيقة التصوف وتأليف هذه القصيدة التي أكد فيها على تمسكه بطريق شيخه زروق التي تمثل حقيقة التصوف.

<sup>1</sup> : عبد الرحمن الأخضرى، راند التصوف السلفى في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ع: 7، نوفمبر 2006م، ص: 87.

<sup>2</sup> بوزياني الدراجي: عبد الرحمن الأخضرى، العالم الذي تفوق في عصره، دار الأمل للدراسات ط: 2، 2009م، ص: 35.

وفي الجدول التالي نرصد نماذج لأهم مصنفات ومؤلفات أبرز الفقهاء والمتصوفة

بالمغرب الأوسط ما بين القرنين الثامن والعاشر للهجرة:

مؤلفاتهم	الفقهاء	مؤلفاتهم	المتصوفة
تأليف: ...	1- أبو عمران المشذالي (745هـ). (	تأليف...	1- أبو العباس أحمد بن مرزوق (741)
مفتاح الوصول إلى... شرح الخونجي.	2- أبو عبد الله الشريف التلمساني (771هـ). (		2- إبراهيم بن موسى المصمودي (805هـ)
تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر...	3- محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني ((871هـ) (	كتاب في علم التصوف: "السهو".	3- أبو عبد الله محمد بن الوهران (843هـ)
المفاتيح المرزوقية...	4- محمد بن أحمد بن	تقييد على فرائض الحوفي + نصيدة "المرادية".	4- إبراهيم بن محمد بن علي

<p>تفسير سورة الإخلاص+ أرجوزة الروضة في الحديث+ الشروح على البردة. والمتمجر الربيع في شرح الجامع الصحيح، وبعض الأراجيز منها أرجوزة الروضة في الحديث، وأرجوزة في المهمات</p>	<p>مرزوق الحفيد (842هـ).</p>		<p>التازي (866هـ)</p>
---	----------------------------------	--	-----------------------

<p>سماها المقنع الششافي، وشر. البردة سماه " إظهار صدق المودة" وكتاب " إسماع الصم في إثبات الشرف من جهة الأم " والمفاتيح القرطاسية في شرح الشقرطاسية</p>			
<p>تأليف....</p>	<p>5-ابن مرزوق</p>	<p>النصح الأنفع...+عدة المرید الصنادق...+مزيل</p>	<p>5-أحمد زروق البرنسي</p>



	الحفيد (814هـ)	اللبس+شرح على نظم ابن البنناء...+شرح المراصد...+القواعد في التصوف+إعانة المتوجه...	الفاشي (899هـ)
البيدر المنير في علوم التفسير، ومصباح الأرواح في أصول الفلاح، ومغني النبيل شرح مختصر خليل، وشرح	6-محمد بن عبد الكريم المغلي (909هـ)	المواهب القدسية...+العقيدة الكبرى+الوسطى+الصغرى+ المقرب المستوفى+شرح على الجزرية+شرح قصيدة الحباك...+شرح صحيح البخاري...	6-أبو عبد الله بن يوسف السنوسي (895هـ)

<p>بيوع الأجال من ابن الحاجب، ومفتاح النظر في علم الحديث، وتنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بـدعوى مقامات العارفين، وأسئلة الأسكيا وأجوبة المغلي</p>			
	<p>7- يحيى أبو</p>	<p>الجواهر الحسان...+الدرر</p>	<p>7-أبو زيد</p>

<p>كتاب: الدرر المكنونة في نوازل مازونة</p>	<p>زكرياء المغيلي المازوني (883 هـ). هـ.</p>	<p>اللوامع...+روضنة النوار...+ المهمات...+ الإخوان...+ الهمم...+العلوم الفاخرة...+إرشاد السالك...+الأنوار المضيئة...+رياض النفوس+قطب العارفين+ نور الأنوار.</p>	<p>عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي (875 هـ)</p>
<p>-المعيار المعرب... -المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى بأدب الموثق وأحكام الوثائق. -عدة</p>	<p>8- أبو العباس أحمد الونشريسسي (914 هـ)</p>	<p>منظومة السراج+ أزهار المطالعب في الإسطرلاب+الدرة البهية في نظم الأجرومية+ السلم المرونيق+نصيدة القدسية+الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية.</p>	<p>8- عبيد الرحمن الأخضري (983 هـ)</p>

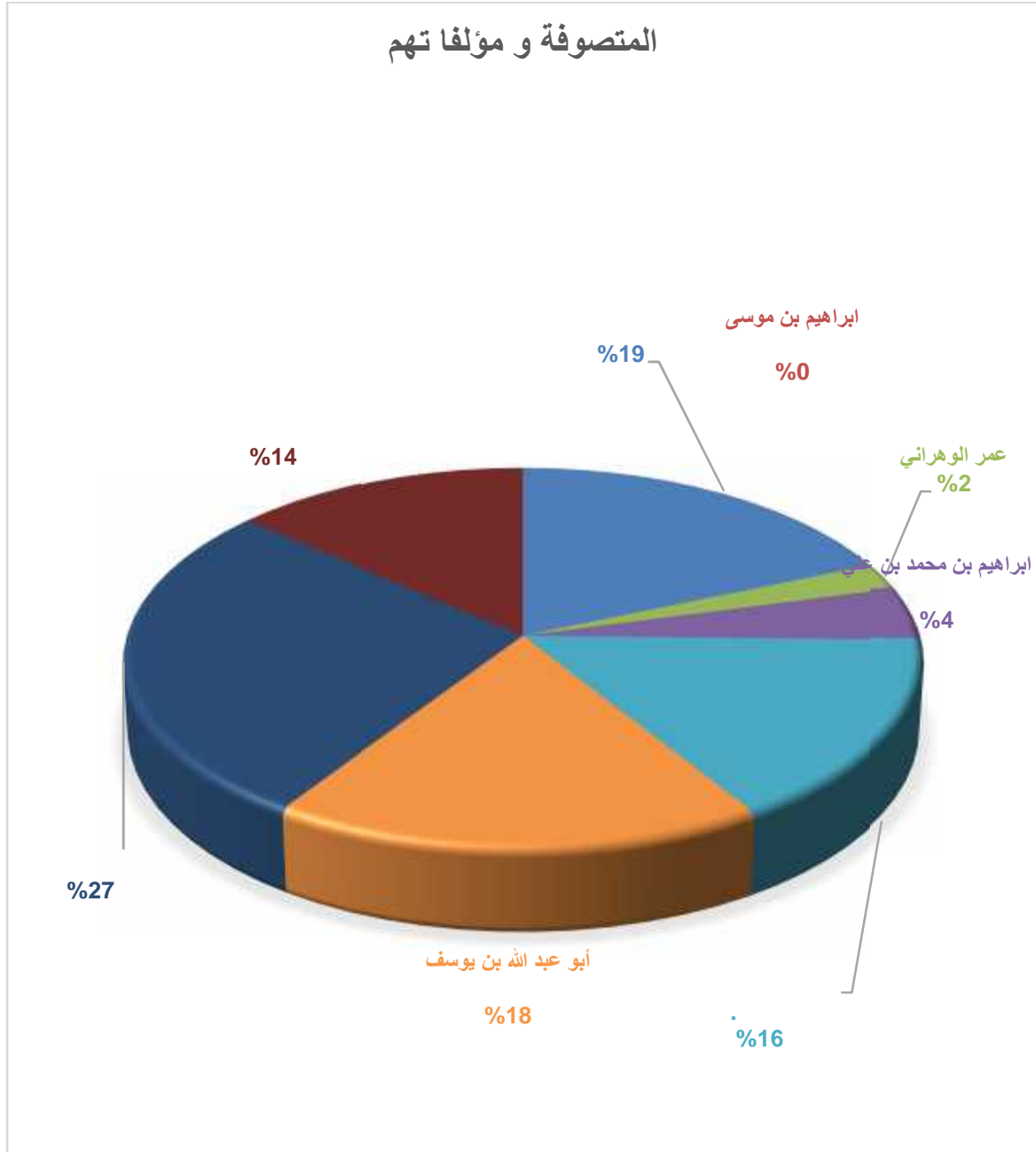
<p>البروق في تلخيص ما في المذهب من الجموع والفروق. - رفيات الونشريسي وهو ذيل كتاب: "شرف الطالب في أسنى المطالب</p>			
		<p>"تفسير الفاتحة" - وشرح التلمساني، و" التوضيح في عمل الفرائض، وحكم بن عطاء الله، ولطائف المنن، وأقضية مختصر خليل، وابن الحاجب</p>	<p>9- أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن زاغو المغراوي التلمساني (845 هـ). (هـ).</p>

		الفرعي	
		<p>تبيحة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار".</p> <p>- "حلية المسافر وآدابه وشروط المسافر في ذهابه وإيابه".</p> <p>- "الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق".</p>	<p>10-أبو عمران موسى بن المزازوني(ت9هـ ).</p>



دائرة نسبية تمثل مؤلفات أبرز المتصوفة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 8-10

14-16م.



دائرة نسبية تمثل مؤلفات أبرز الفقهاء بالمغرب الأوسط بين القرنين 8-10

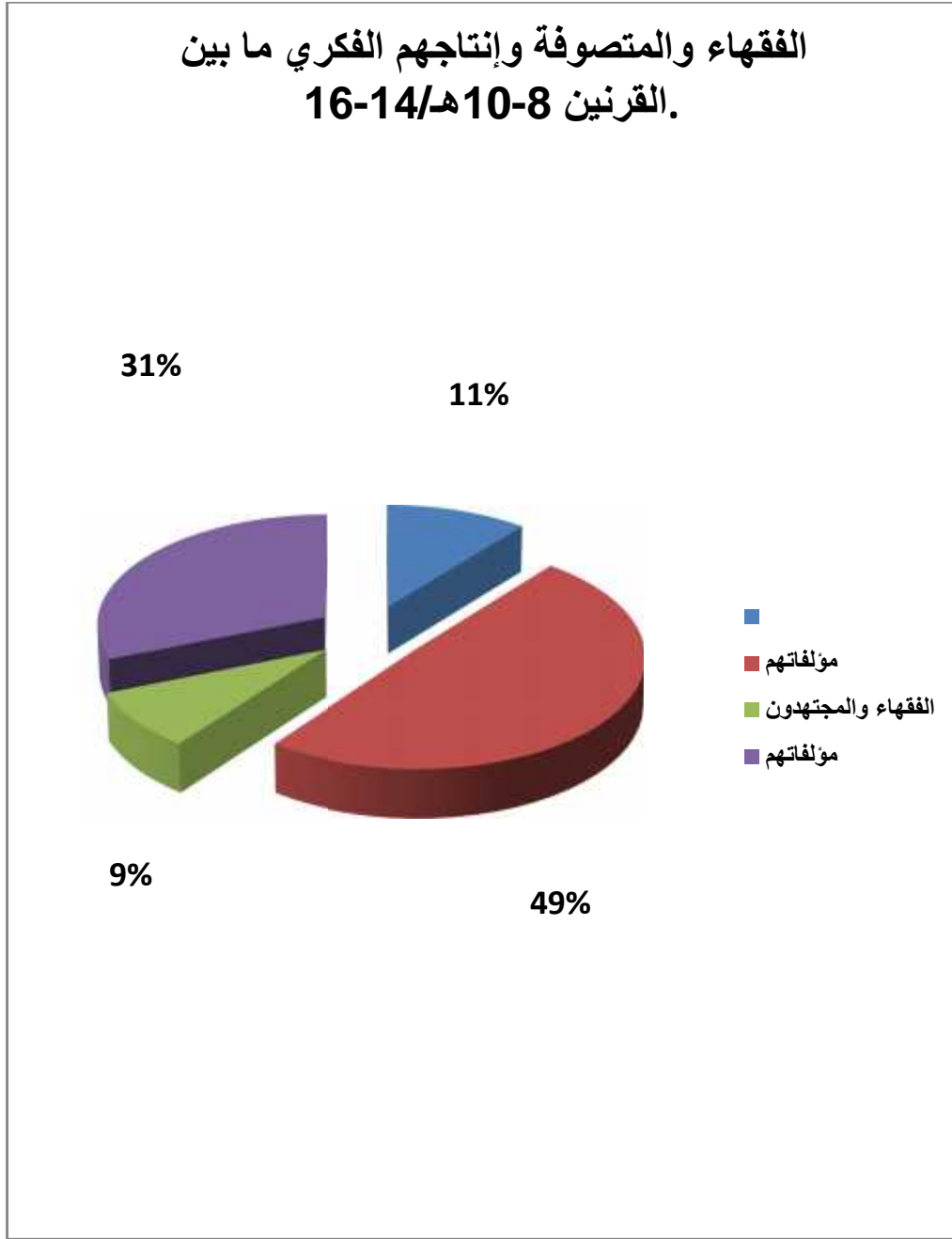
14-16م.



دائرة نسبية تمثل الإنتاج الفكري لأبرز الفقهاء والمتصوفة في المغرب الأوسط ما بين

القرنين 8-10 / 14-16م

الفقهاء والمتصوفة وإنتاجهم الفكري ما بين  
القرنين 8-10 هـ/ 14-16 هـ.



من خلال البيانات والمعطيات السابقة ملاحظة أن نسبة عدد المتصوفة بلغت خلال القرون الثلاثة الهجرية (8-9-10 هـ) 11% بينما بلغت نسبة عدد الفقهاء والمجتهدين 9% وهي نسبة متقاربة جداً، ورغم ذلك فإن هناك تباين واضح في

الإنتاج الفكري بين الفئتين؛ حيث بلغت نسبة مؤلفات رجال التصوف 49% في حين بلغت نسبة مؤلفات الفقهاء 31%، وهو ما يعطينا انطباعا واضحا بأن فئة المتصوفة كانت على جانب كبير من العلم، وكان لهم مساهمة فعالة في ميدان التأليف حيث لم تقتصر مؤلفاتهم على حقل التصوف وحده بل تعدته إلى فنون أخرى كالفقه والحديث والعقيدة والتفسير والقراءات، والفرائض واللغة والأدب والمنطق والحساب والفلك ومسائل الأفضية والوثائق وغيرها...، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تبحر رجال التصوف وموسوعيتهم وتمكنهم من باقي العلوم الأخرى.

كما يدل أيضا على أن تصوفهم كان تصوفا سنيا حيث لم يدفعهم تصوفهم إلى الانقطاع عن الحياة العملية والانعزال عنها ولم يعمهم انشغالهم بالجانب التعبدية وتركية نفوسهم من طلب العلم وتعليمه والتأليف فيه، بل كان ذلك محفزا ودافعا لهم على المشاركة في الحياة الثقافية وإثراء المناخ العلمي.

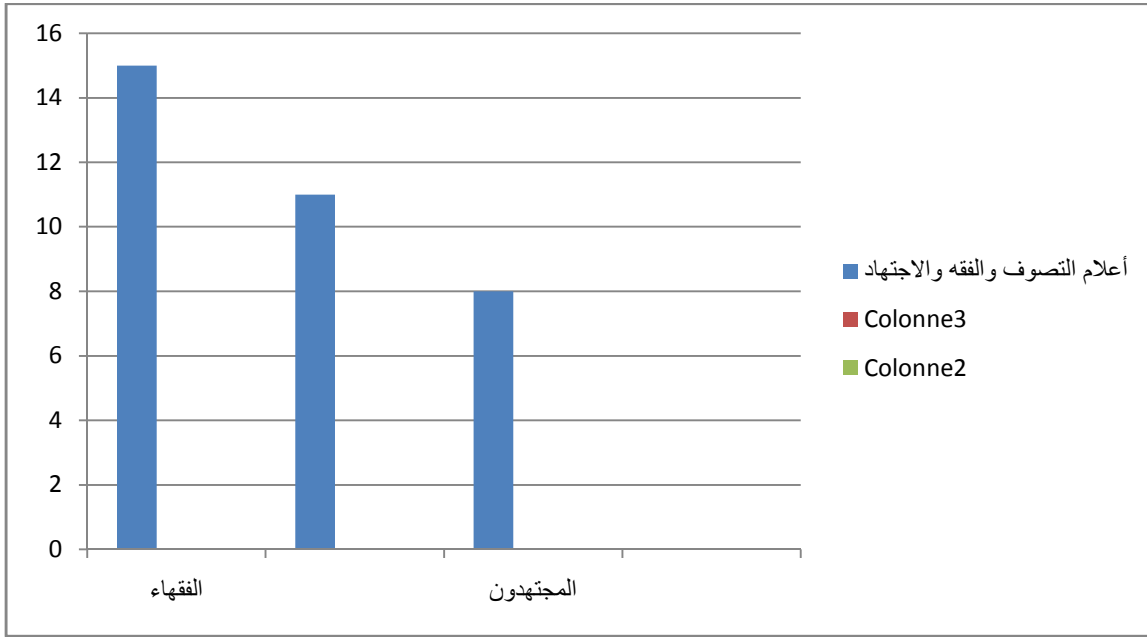
كما نستنتج من خلال كثرة التأليف وغازرتها مجال التصوف ازدهار هذا العلم في المغرب الأوسط خاصة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين حيث تبنته مجموعة من العلماء سلوكا وتأليفا، ويرجع السبب في ذلك إلى عناية سلاطين الدولة الزيانية بالجانب العلمي عموما وبالجانب التصوفي خصوصا، في فترات استقرارها السياسي حيث كانوا يولون هذه الفئة برعاية ويخصونهم بالتقدير والاحترام، وهي بيئة تساعد على نشاط وانتشار هذا التيار.





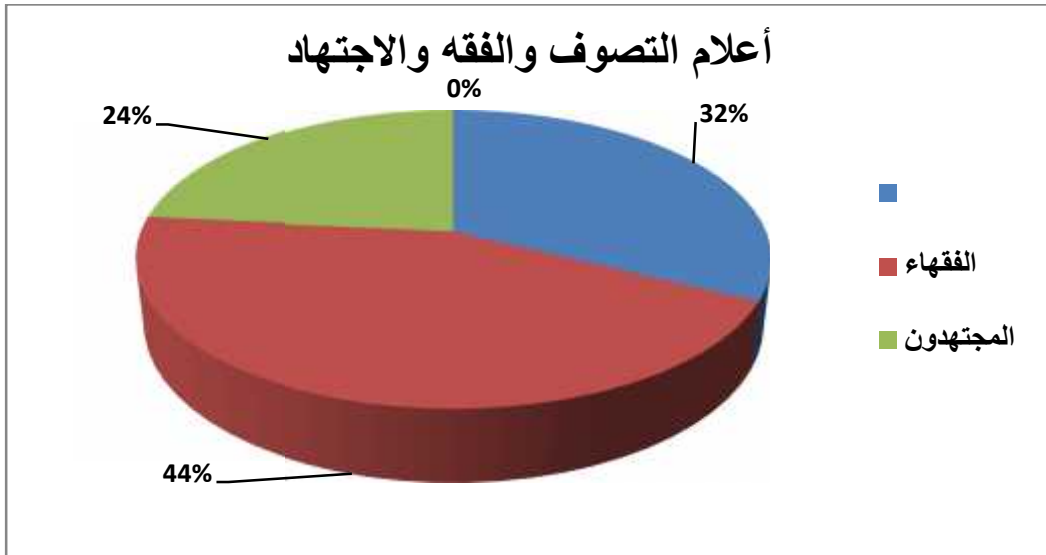
أعمدة تمثل أبرز الفقهاء والمجتهدين والمتصوفة في المغرب الأوسط ما

بين القرنين 8-10 / 14-16م



دائرة نسبية تمثل أبرز الفقهاء والمجتهدين والمتصوفة في المغرب الأوسط ما بين

القرنين 8-10 / 14-16م



من خلال هذا التمثيل النسبي لكل من المتصوفة والفقهاء والمجتهدين، فإننا نلاحظ تصدر فئة الفقهاء للمساحة الـ خلال القرون الهجرية الثلاث 44% وذلك راجع إلى حرص السلطة الزيانية على العناية بالمذهب المالكي من خلال استقدامهم لعدد من فقهاءه وتعيينهم على رأس المؤسسات التعليمية وفتح أبواب قصورهم للمناظرات العلمية لتحريير المسائل الفقهية، وهو ما جعل طلبة العلم ينشغلون بالجانب الفقهي أكثر من غيره، هذا بالإضافة إلى بروز مجموعة من أعلام الفقه الذين كان لهم دور فعال في تكوين طبقة مثقفة ثقافة دينية متأثرة بدروسهم ومؤلفاتهم.

ثم تأتي بعدها فئة المتصوفة في المرتبة الثانية 32% حيث شهد القرن الثامن الهجري ازديادا في عدد المنتمين إلى تيار التصوف السني؛ الذي اصطبغت به الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، فقد استطاع أعلام التصوف التأثير

في العديد من العلماء من خلال سلوكياتهم ومؤلفاتهم ودروسهم الوعظية التي كان لها أثر كبير في نفوس الخاصة والعامة بل وحتى لدى سلاطين بني زيان.

وتبقى فئة المجتهدين في الرتبة الثالثة بنسبة 24% وهي الفئة الأقل انتشاراً

الساحة العلمية، وهو أمر طبيعي لأن رتبة الاجتهاد لا يمكن بلوغها بسهولة إذ تتطلب عقولاً واسعة الإدراك، وهمماً عالية يصاحبها مناخ سياسي مستقر، يساعد على البذل والعطاء، ولذلك نجدها تختفي مع حلول القرن العاشر الهجري عندما يضطرب الأمن وتسوء الأمور وينحدر المستوى العقلي للطبقة المثقفة.

وكخاتمة لهذا الفصل يمكننا أن نخلص إلى أن المذهب المالكي وفقهائه، واجه قبيل العهد الزياني معارضة شديدة من طرف خلفاء الدولة الموحدية، فقد كانت نيتهم محو المذهب المالكي وإحلال المذهب الظاهري مكانه، لأن فكرة إنكار الرأي في الفروع الفقهية متأصلة منذ عهد ابن تومرت، وقد عانى فقهاء المالكية في عهد الخليفة الموحي يعقوب المنصور معاناة شديدة، وتعرضت كتبهم للإحراق وتم إبطال العمل بالمذهب المالكي حتى كاد أن يختفي، وطغى المذهب الظاهري بالمغرب.

أما في العهد الزياني فقد عاد العمل بالمذهب المالكي وكثر المشتغلون به، ويرجع ذلك إلى عناية سلاطين بني عبد الواد بفقهاء المالكية، حيث كانوا يستقدمونهم إلى عاصمتهم ويحيطونهم برعايتهم، ويوفرون لهم كل ما يحتاجونه، كما ساعدوا على انتشار المذهب المالكي عن طريق بقاء المؤسسات الدينية والمدارس التعليمية التي تقوم على تخريج العلماء والإطارات لتعيينهم في مناصب الدولة.

وقد حظي فقهاء المذهب المالكي بمكانة اجتماعية عالية، حيث نالوا إعجاب وتقدير الخاصة والعامة، بسبب مكانتهم العلمية التي رفعتهم عند السلاطين، كما أنهم حظوا باحترام المجتمع لهم فقد كانوا يسعون في حوائج الناس ويتوسطون لهم عند الحكام.

وبالإضافة إلى تيار الفقه فقد وجد تيار آخر وهو تيار التصوف الذي عرفه المغرب الأوسط، وذلك راجع إلى دخول بعض المصنفات المتعلقة بهذا العلم، مثل كتاب



الإحياء للغزالي، والرعاية لحقوق الله الحارث المحاسبي وقوت القلوب لأبي طالب المكي وغيرها من الكتب التي وجدت عناية من طرف العديد من العلماء والطلبة الذين تأثروا بأفكارها وأدت إلى ظهور العديد من الشخصيات التي اشتهرت في المغرب الأوسط بالتصوف وساهمت في تنشيط الحركة الفكرية من خلال المصنفات التي كتبوها في هذا الموضوع، وهناك عوامل أخرى أدت إلى انتشار التصوف منها ما هو سياسي، ومنها الاجتماعي والاقتصادي، ومنها الفكري، وغيرها من العوامل التي كان لها دور في بروز هذا التيار الصوفي.

# الفصل الثاني

أصحاب الفقه رجال التصوف بين القرنين 8 - 10هـ/14-

16م

أولاً:

:

1 - العلاقة الـ

2 - العلاقة الاجتماعية.

:

:

1 - مظاهر التواصل:

1-1 العلاقة الـ :

أ - الإجازات والتلمذة.

ب - التأليف والتدريس في كلا المجالين.

ج - المراسلات.

1-2 العلاقة الاجتماعية:

2- مظاهر الاختلاف والنفور:

- 1-2 الفتاوى والردود المعارضة .
- 2-2 إنكار الفقهاء لبعض الممارسات الصوفية
- 3-2 الاختلاف في المنهج والسلوك
- 4-2 المناظرات و التشغيب في حضرة السلاطن

### أولاً: الفقهاء ببعضهم :

شهد العهد الزياني عناية فائقة ، لثقافة ورجالها، واشتهر سلاطينهم برعايتهم للأدب والفنون، ومن بينها علم الفقه حيث حرصوا على تشجيع الفقهاء على النهوض بهذا العلم من خلال توفير المناخ المناسب وذلك ببناء المدارس وترتيب الجرايات والمنح والعطايا، بالإضافة إلى الرفع من مكانتهم بتقريبهم من مجالسهم وإدماج العديد منهم في بلاطهم، مما أدى إلى ازدياد عدد المشتغلين بالفقه والتأليف فيه واشتهار العديد من الفقهاء في مجتمع المغرب الأوسط منهم من تجاوزت شهرته حدود قطره، ولا شك في أن هذه الكثرة من الفقهاء كانت تجمع بينهم علاقات ، ففي ماذا تمثلت هذه العلاقة؟

### 1 - العلاقة الـ بين الفقهاء:

وجدت علاقات عديدة جمعت بين الفقهاء يمكن الإشارة إليها من خلال العناصر التالية:

1-1 علاقة الود بين الفقهاء:

أشارت المصادر التي ترجمت لعلماء المغرب الأوسط إلى العديد من المواقف التي سجلت الود التي جمعت الفقهاء ببعضهم ومن بين تلك المواقف موقف أبي عثمان العقباني من نص الجواب الذي بعث به الفقيه عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني (ت 792هـ/1390م) ابن العلامة الشريف التلمساني إلى الطلبة البجائيين في أصول الدين، فلما اطلع عليه أبو عثمان العقباني وأعجبه جواب الشريف التلمساني، كتب تحته ما نصه: « شرح الله صدرك ورفع بين أهل العلم قدرك، والسلام. »<sup>1</sup> وهي إشارة واضحة من العقباني واعترافه بتفوق الشريف التلمساني في ميدان الفتوى.

ومنها أيضا تلك المناظرات التي كانت تجمع بينهم في المجالس العلمية التي يلقون فيها دروسهم كتلك التي جرت بين الشيخ الإمام الراوية أبي علي ناصر الدين المشدالي البجائي (ت 745هـ)، والشيخ العلامة النظار أبي موسى بن محمد بن عبد الله بن الإمام التلمساني (ت 743هـ/1343م) في مسألة من مسائل البيوع<sup>2</sup> وكان الغرض منها هو اختبار المشدالي للفقيه الإمام التلمساني.

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 120.

<sup>2</sup> الوئشريسبي: المصدر السابق، ج: 5، ص - ص: 332 331.



ومنها ما كان تحت رعاية سلاطين بني زيان حيث شهدت هذه الأخيرة أقوى وأشهر المناظرات كثير من العلوم، وكانت تتم على مستوى رفيع وبمقاييس علمية محددة، وكانت تتناول مواضيع الفقه بدرجة أولى<sup>1</sup> يبرز من خلالها عمق نظرة الفقهاء وتفوقهم في هذا الميدان، فقد كان سلاطين بنو زيان يولون أهمية بالغة لهذه المناظرات العلمية، ويحرصون على عقدها في مجالسهم خاصة ما تعلق منها بالفقه، نذكر منها على سبيل المثال ذلك المجلس الذي عقد بين يدي السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو، وكان أحد أطرافه العالم الفقيه عبد الرحمن بن الامام، ونازعه في الموضوع المطروح الفقيه أبو موسى عمران المشدالي، وشاركهما فيه كل من أبو موسى عيس بن الامام، وأحمد بن محمد المقرئ التلمساني<sup>2</sup> ومنها المجلس الذي عقد بحضرة السلطان أبو تاشفين أيضا وحضره أبو زيد بن الإمام، وشارك فيه أبو إسحاق بن حكم السلوي (ت 737هـ/1337م) وتدخل فيه المقرئ، وكان موضوعه فقهي ولغوي<sup>3</sup> أدلى فيه كل منهم بحججه وأدلته ولم يفسد لهم الخلاف في القضية ودا.

## 2-1 الاختلاف بين الفقهاء:

<sup>1</sup> هادي جلول: الحركة العلمية في حضرة تلمسان وعناية السلطة الزبانية بها (8-10هـ) مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع: 19 2018م، ص: 82.

<sup>2</sup> المقرئ: المصدر السابق، ج: 5 ص: 218.

<sup>3</sup> المقرئ، المصدر السابق، ج: 5 ص: 219.

إضافة إلى العلاقة الودية التي ربطت الفقهاء ببعضهم، وجدت حالات من التوتر بينهم نذكر منها على سبيل المثال، ما حصل للإمام محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) الذي كثيرا من عصره، فقد كانوا يذمونهم ويسبون إليه، خاصة بعد أن قام بتأليف كتابه في العقيدة حيث « أنكر عليه كثير من علماء أهل وقته وتكلموا بما لا يليق فتغير لذلك كثيرا وحزن أياما»<sup>1</sup> ورغم ذلك كان طبعه العفو والمسامحة. وفي نفس السياق أشار التتبكتي إلى ما وقع للإمام السنوسي مع الفقيه ابن زكري التلمساني (ت899هـ/1494م) من منازعة ومشاحة في كثير من المسائل، فكان كل منهما يرد على<sup>2</sup> لكن التتبكتي للأسف الشديد لم يذكر لنا تلك المسائل التي وقع فيها النزاع بين هذين العالمين، فقد منعه من ذلك الخوف من الإطالة، ومهما يكن من أمر ن الذي يبدو أن ابن زكري لم يكن يقلد الناس في اعترافهم للإمام السنوسي بالتقدم في العلم، ويظهر ذلك من خلا الردود التي كان يرد بها عليه كما ذكر ذلك ابن مريم في البستان، فقد كان ابن زكري يرى بأن السنوسي من جملة تلاميذه وكان السنوسي

<sup>1</sup> الحفناوي: المصدر السابق، ج1، ص: 181.

<sup>2</sup> التتبكتي: المصدر السابق، ص: 130.

ينكر ذلك ويقول والله ما أخذت عنه سوى مسألة واحدة،<sup>1</sup> ولعل هذه العلاقة بين الرجلين هي التي منعت محمد بن يوسف السنوسي من وضع شرح على منظومة " المراصد" التي ألفها ابن زكري بالشرح الذي وضعه على منظومة الحوضي ومنظومة الجزائري وغيرهما<sup>2</sup> ورغم ذلك فإنه لما توفي السنوسي رثاه ابن زكري بقصائد على ما كان بينهما<sup>3</sup> من توتر في العلاقة، وعلى أية حال فإن العلاقة بين الفقيهين بقيت في إطارها الثقافي ولم تجاوزه.

وقد أدت بعض الأحداث التي عرفت بها بلاد المغرب الأوسط إلى نشوب احتدام فكري بين فقهاء، خاصة في القضية التي عرفت بقضية يهود توات ورغم أن الونشريسي نقل إلينا إشارات هامة حول أوضاع أهل الذمة وأحوالهم في المغرب الأوسط، وأنهم كانوا يتمتعون بتسامح كبير ويعاملون من طرف المسلمين بمودة كبيرة<sup>4</sup> إلا أن يهود توات قد قاموا بأعمال أثارت غضب الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ/1504م)<sup>5</sup> عليهم فاستشار علماء بلاد المغرب كلهم منهم علماء تلمسان

<sup>1</sup> الشفشاوني، المصدر السابق، ص: 120.

<sup>2</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 1، ص: 94.

<sup>3</sup> الشفشاوني: المصدر ، ص: 120.

<sup>4</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج: 11، ص: 300.

<sup>5</sup> محمد بن عبد الكريم المغيلي: كان من أكابر العلماء وأفاضل الأتقياء عاش فترة بتلمسان ثم رحل عنها إلى إقليم توات بالصحراء. ينظر: نوحه الناشر، المصدر السابق، ص: 130.

كالإمام أبي عبد الله التنسي والإمام السنوسي وأحمد الونشريسي وابن زكري وغيرهم<sup>1</sup> وكان السبب في ذلك أن الفقيه أبو عبد الله بن أبي بكر العصنوني قاضي توات عارض المغيلي فيما ذهب إليه من هدم كنائس اليهود بالمنطقة، لأنه كان يرى أن اليهود انتقضت ذمتهم بسبب ارتفاع شأنهم عند الحكام وهو أمر مخالف للذل والصغار المشروط في أداء الجزية، وأباح دمائهم وأموالهم<sup>2</sup> وعلى إثر هذا الاختلاف الذي وقع بين الفقيهين تمت مراسلة العلماء في تلمسان و فاس وتونس فكتب الفقيه العصنوني : « سيدي جوابكم في قضية وقع فيها النزاع بين طلبة الصحراء وهي كنائس اليهود الكائنين بتوات وغيرها من قصور الصحراء، فقد شغب فيها علينا المغيلي وولده سيدي عبد الجبار تشغيبا كاد أن يوقع في فتنة وذلك أنني أفقيت بتقريرها<sup>3</sup> لكن الإمام المغيلي كان يرى أن هدمها واجب وقال: « لا يفتي بتقريرها إلا دجال»<sup>4</sup> وكان يرى رأي الفقيه الفجيجي من أهل توات مما أدى إلى انقسام الفقهاء إلى قسمين، قسم يؤيد ما ذهب إليه المغيلي، وهم الفقيه أبي عبد الله التنسي، والإمام محمد بن يوسف السنوسي، والحافظ التنسي، والفقيه عيسى بن أحمد الماواسي الفاسي، وأبو العباس أحمد الونشريسي، وقسم آخر أيد

<sup>1</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص: 254.

<sup>2</sup> الشفشاوني، المصدر السابق، ص: 130.

<sup>3</sup> الونشريسي، المصدر السابق، ج: 2، ص: 214.

<sup>4</sup> الونشريسي المصدر، ج: 2، ص: 217.



القاضي أبي عبد الله العصنوني وهم ابن زكري وأبي زكريا أبي البركات التلمساني وغيرهم.

## 2- العلاقة الاجتماعية بين الفقهاء:

ولم تكن العلاقات الثقافية وحدها هي التي تفتت الفقهاء ببعضهم، بل كانت بينهم علاقات اجتماعية مميزة يمكن التقاطها من بعض كتب التراجم الود والمحبة والصحة كذلك التي نقلها لنا التتبعتي عند ترجمته للفقير أحمد بن عمران البجائي من أعيان القرن الثامن الذي كانت تجمعها بعلامة تلمسان أبو زيد عبد الرحمن بن الإمام (ت1343/هـ743م) حيث كان هذا الأخير يعقد مجلس درسه بها، فدخل عليه أحمد بن عمران البجائي وجعل يشارك الطلبة في بحثهم ويناقش الفقيه ابن الإمام، ولما كان هذا الزائر البجائي يتزري التجار لم يستطع التعرف عليه ابن الإمام وا : عرفنا « من أنت؟ فقال صاحبكم أحمد ابن عمران»<sup>1</sup> فعندئذ قام بضيافته وسأله عن سبب قدومه إلى تلمسان وحاجته فيها، فلما عرف أن ذلك بسبب التجارة توسط له عند السلطان أبي تاشفين الأول، وعظمه عنده وطلب منه أن يرفع عنه مغارم

<sup>1</sup> التتبعتي: المصدر السابق، ص: 94.



السلع التي كان يدفعها التجار عند دخولهم إلى المدينة، فأجابه السلطان إلى مطلبه وأعطاه فوق ذلك مائتي دينار ذهباً<sup>1</sup> إكراماً له لأجل صحبته للفقير أبي زيد بن الإمام.

ومن العلاقات التي جمعت بين الفقهاء والسلاطين ويمكن إدراجها ضمن المجال الاجتماعي، نذكر منها علاقة الفقيه الشريف التلمساني (ت 771هـ/1370م) بالسلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني (ت 760هـ/1359م) على اعتبار أن هذا الأخير معدود في جملة العلماء، فقد كان هذا الأمير من أهل العلم والمعرفة والآداب وكانت علاقة مودة وإعجاب بالفقهاء وخاصة بالفقيه أبي عبد الله الشريف التلمساني الذي حظي عنده بمكانة رفيعة حيث استدعاه من فاس « وأصهر له في بنته فزوجها له وبنى له مدرسته»<sup>2</sup> فكانت هذه المصاهرة رابطة اجتماعية زادت في توثيق الصلة الثقافية التي كانت تربطهما من قبل.

ومن العلاقات الدالة على عطف الفقهاء على طلبتهم لقلة ذات يدهم، نذكر تلك التي نقلتها إلينا كتب التراجم والتي تعرضت لسيرة الفقيه ابن زكري الذي عاش يتيماً وبدأ حياته بتعلم حرفة النسيج لكن الشيخ ابن زاغو توسم فيه النجابة، فنصحته بالتخلي

<sup>1</sup> التتبعتي: المصدر نفسه، ص: 94.

<sup>2</sup> التتبعتي: المصدر، ص: 432.

عن الحرّة والتفرغ للدراسة، وصار يدفع لأم اليتيم أجرته التي كان يقبضها في كل شهر<sup>1</sup> ليتفرغ لطلب العلم ومتابعة الدروس حتى صار من العلماء.

ولما مات شيخه ابن زاغو، انتقل إلى العباد للقراءة على الشيخ محمد بن العباس(ت871هـ/1467م) « الذي بعث إلى السلطان وطلب منه أن يكتب لابن زكري بيتا في المدرسة، فكتب له البيت برتبته وفرشه وسمنه وزينته ولحمه وفحمه وجميع ما يمونه»<sup>2</sup> وهي أمور تدل في ظاهرها عناية الفقهاء ببعضهم ومراعاتهم لأحوالهم الاجتماعية.

لكن هذه العلاقات الاجتماعية لم تكن في عمومها دوما طيبة، فقد كان يتعكر صفوها من حين لآخر، حيث وجد هناك نوع من الحسد والتباغض بين هؤلاء العلماء، فقد ذكر الفراءوسي محمد بن عبد الله الزواوي البجائي (ت882هـ/1478م)

المرائي المسمى " تحفة الناظر ونزهة المناظر" عن الحسد الذي كان بين العلماء أو كما سماهم هو بـ " الطلبة " فقد كان بينه وبين بعض الطلبة محاسبة<sup>3</sup> بسبب نشاطه العلمي، سواء في بجاية أو قسنطينة أو تلمسان التي عاش بها فترة من حياته، وقد نقل عن الشيخ زروق أن الفراءوسي قام بشرح الحكم « فما قام ولا قعد، ولا وصل ولا

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 38.

<sup>2</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 40.

<sup>3</sup> سعد الله: المصدر السابق، ج: 1، ص: 102.

وكان يدعي مرآتي خارجة عن الإضمار في جنب النبي ﷺ فامتحن لذلك ومات مرفوضا والعياذ بالله<sup>1</sup> وربما كان الفراوسني يقصد الشيخ زروق وغيره بقوله السابق.

بل كان الأمر يصل ببعض العلماء إلى السب والشتم والمشاجرة بسبب بعض المسائل العلمية لأن اختلافهم هذا يؤدي إلى « التعرض للأخذ في أعراض بعضهم بعضا والغيبة والتكذيب حسبما يقتضيه الاختلاف والجدال»<sup>2</sup> لأحمد بن محمد بن عبد الله الشهاب المغراوي (ت 820هـ/1417م) فقد ذكر من ترجم له أنه « وقع بين البساطي مشاجرة ومشاتمة بسبب مسألة علمية تجادلا فيها»<sup>3</sup> ولعلها المسألة التي أشار إليها الحافظ السخاوي بقوله: « أن المغراوي بحث مع البساطي في مسألة فقال له أعرفها وأنت في مغراوة خلف البقر، فقال له يا جاهل يا ولد (كذا) مغراوة ما فيها بقر قط، أولئك عرب أصحاب إيل ترحل وتنزل، وأما أنا فوالله العظيم هو ذاك الذي أعرفها وأنت في بساط ترعى البقر»<sup>4</sup> ويبدو أن الشهاب المغراوي كان لا يستتف من المجاهرة برأيه في المسائل الفقهية، ومخالفة خصومه أثناء الجدل، ولا يحجم عن ذلك

<sup>1</sup> التنبكتي: المصدر السابق، ص: 557.

<sup>2</sup> الوشرسي: المصدر السابق، ج: 2، ص: 230.

<sup>3</sup> التنبكتي: المصدر نفسه، ص: 113.

<sup>4</sup> السخاوي: المصدر السابق، ج: 2، ص: 139.

إذا بدا له رأي مغاير في المسائل وأ ، فقد ذكر السخاوي أن المغراوي كثيرا ما كان يعارض ابن خلدون أحكامه<sup>1</sup> وينظره في الكثير من المسائل.

### : علاقة الفقهاء برجال التصوف :

لا يمكن لمنتبع الوضع الفكري بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني الخروج بتصور ثابت عن العلاقة التي كانت تجمع المتصوفة بالفقهاء في تلك الفترة، فهناك العديد من المتصوفة من كان عالما بالفقه والحديث وأصول الدين والقراءات واللغة، ومنهم من كان قاهرا لأحواله مجتهدا في العبادة، لكنه لم يكن يقرأ وإنما كان أميا<sup>2</sup> ومنهم من كان من أهل الخمول<sup>3</sup> ولم تذكر له كتب المناقب سوى أنه كان مستجاب الدعوة وصاحب كرامة طي الأرض،<sup>4</sup> ومنهم من اطلع على علوم الدين صحبة شيخ من مشايخ التصوف، ومنهم من ابتعد عن هذه الطريق كليا واعتبر أن علوم الباطن أجدى وأنفع واقتصر على بعض المصنفات الصوفية<sup>5</sup> « وعلى العموم فإن أغلب هؤلاء المتصوفة

<sup>1</sup> السخاوي: المصدر نفسه، ج:2، ص: 138.

<sup>2</sup> موسى بن عيسى المازوني: مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، : عبيد بوداود، الجزائر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 1، 2015م، ص:605.

<sup>3</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص: 94.

<sup>4</sup> ابن مريم، المصدر ، ص: 93.

<sup>5</sup> محمد فتحة، المرجع السابق، ص: 214.



التزموا التصوف العملي الذي يولي عناية بالجانب التربوي والزهد في الدنيا، دون الانقطاع عن الحياة الواقعية، والالتزام التام بالكتاب والسنة، لذلك ظلت العلاقة بين الفقيه والمتصوف علاقة تعايش<sup>1</sup> نجد الكثير من الفقهاء الذين اشتهروا بالصلاح أكثر من شهرتهم بالفقه أمثال السنوسي، والثعالبي، وابن مرزوق وغيرهم.... لذلك نجد العلاقة بين هاتين الفئتين تتسم أحيانا بالتداخل وأحيانا أخرى بالتباين، وهو ما سنحاول رصده من خلال العناصر التالية:

#### 1- مظاهر التواصل :

لاشك في وجود علاقات ودية ربطت بين الفقهاء وأهل التصوف، لأن كلا الطائفتين كانتا تلتقيان في أمور تجمعهما، سواء كانت ثقافية أو اجتماعية وذلك ما نلمسه من خلال مطالعتنا للمصادر التي تعرضت للحديث عن .

#### 1-1 :

ربطت بين الفقهاء وأهل التصوف خلال العهد الزياني علاقات ودية، سواء كانت ثقافية أو اجتماعية وذلك ما نلمسه من خلال مطالعتنا للمصادر التي تعرضت لترجمة وسير أبرز أعلام الفقه والتصوف في تلك الفترة، حيث نجد ذلك في الجانب الثقافي ممثلا في النقاط التالية:

<sup>1</sup> بكاي هوارية: العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة في المغرب الأوسط الزياني بين التعايش والتصادم. مجلة قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، العدد الثالث، جانفي 2017. ص: 90.



أ - الإجازات والتلمذة :

أ - أ - الإجازة لغة واصطلاحاً:

• \_\_\_\_\_ :

هي مصدر أجاز ووزنها فعالة وأصلها إجازة، وهي مشتقة من التجوز وهو التعدي فكأنه عدى روايته حتى أوصلها للراوي عنه، وعلى هذا يجوز أن يقال أجزت فلانا مسموعاتي أو مروياتي . ويقال أجازته وأجاز غيره وأجازته أي سار فيه وسلكه، وأجازته بمعنى خلفه وقطعه، وتعني أيضا أنفذه<sup>1</sup>.

• إصطلاحاً :

أما اصطلاحاً فهي إذن في الرواية لفظاً أو خطأ يفيد الإخبار عرفاً، وهي إذن الشيخ لتلميذه ومن يستجيزه أن يروي عنه حديثاً أو كتاباً من تأليفه أو سائر مؤلفاته أو سائر مروياته<sup>2</sup>.

\* الإجازة العلمية:

<sup>1</sup> ابن منظور: المصدر السابق، ص: 724.

<sup>2</sup> خالد بن مرغوب بن محمد أمين، مكانة الإجازة عند المحدثين بين الإفراط والتفريط الحاصلين فيها من بعض المعاصرين، دار الأمة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط: 1 2009م، ص: 29.

تعد الإجازة العلمية من بين مظاهر العلاقة الثقافية التي ربطت بين رجال الفقه ورجال التصوف في العهد الزياني، وفيها ذكر المواد والكتب التي سمع شرحها من الشيخ<sup>1</sup>، وقد كانت تمنح للطالب من طرف أحد الشيوخ بعد أن يبلغ مبلغا يؤهله ليثبت ذلك العام<sup>2</sup> الذي أجزى فيه، وهي تعد بمثابة " شهادة كفاءة" يستحق بها المجاز لقب الشيخ أو الأستاذ.

وكانت عادة أهل العلم ألا تمنح الإجازة إلا بعد ملازمة الشيخ أياما وشهورا بل وأعواما في بعض الأحيان<sup>3</sup> يقرأ عليه خلالها بعض مؤلفاته وكتبا أخرى في الفن الذي يريد أن يجيزه فيه، وهي تعتبر بمثابة شهادة يسلمها الأستاذ إلى من يجد فيه إماما بذلك العلم فيأذن له عن طريقها بممارسة التدريس فيه، لذلك حرص العديد من الفقهاء على الحصول عليها ممن يرونه متفوقا في علم من العلوم، ومشهودا له بالرياسة فيه.

#### \* الإجازة الصوفية :

من الملاحظ أن الإجازة التي كانت خاصة بالعلم نجدها أيضا في ميدان التصوف « فقد وجدنا شيوخا أجازوا تلاميذهم بالسبحة والضيافة والخرقة الصوفية، ونحو ذلك من مظاهر الدخول في حضرة الشيخ والتتلمذ عليه»<sup>4</sup> إذن فاللباس الشيخ الخرقه لمريديه أو

<sup>1</sup> ألفريد بل: المرجع السابق، ص: 414.

<sup>2</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج: 11، ص: 15.

<sup>3</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 2، ص: 40.

<sup>4</sup> سعد الله، المرجع ، ج: 2، ص: 41.

البصق في فمه وتعيين بعض الأوراد والأذكار أو مصافحته يعد نوعاً من الإجازة في الصوف.

#### أ - ب - إجازة الفقهاء للمتصوفة :

بعض العلماء إجازاتهم التي حصلوا عليها في مصنفات عرفت بالفهارس أو البرنامج، وتعرضوا فيها إلى ذكر أسماء الشيوخ الذين قرأوا عليهم وكذا العلوم التي أخذوها عنهم وتمت إجازتهم فيها فمن بين المتصوفة الذين تتلمذوا على أيدي الفقهاء ونالوا الإجازة منهم نذكر:

- الخطيب محمد بن مرزوق التلمساني (711-781هـ/1311-1379م) وهو من رجال التصوف و كان يلقي العديد من الدروس في هذا الفن<sup>1</sup>، وقد ترك ابن مرزوق مؤلفاً سماه " عَجالة المستوفز المجاز في ذكر من إستجازني من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز " جمع فيه أسماء من أخذ عندهم مختلف العلوم وأجازوه فيها<sup>2</sup>، فذكر من بينهم الفقيه أبا علي ناصر الدين المشدالي (731هـ/1331م) حيث قرأ عليه ببجاية الفقه والحديث والتفسير والمنطق والعربية، كما أجازوه الفقيه أبو عبد الله بن بختي الزواوي وفقهه ببجاية

<sup>1</sup> ابن مرزوق التلمساني: المسند المصدر السابق، ص: 47.

<sup>2</sup> ابن مرزوق: المسند المصدر، ص: 39.

وعالمها أبا عبد الله المسفر (ت 743هـ/1342م)<sup>1</sup> وفي تلمسان العالمان الراسخان  
ابني الإمام أبو زيد عبد الرحمن (743هـ/1342م) وشقيقه أبو موسى عيسى  
(749هـ/1348م)<sup>2</sup> وقد ذكرهم في برنامجه "عُجالة المستوفز".

– الشيخ أحمد بن الحاج الورنيدي<sup>3</sup> (ت 930هـ/1524م) وهو ممن اشتهر بالصلاح  
والزهد حيث أرسل إلى شيخه ابن زكري<sup>4</sup> رسالة يطلب منه الإجازة فيها  
معتذرا إليه عن تعجله في طلبها قبل الأوان، معترفا فيها أنه لم يبلغ درجة  
الإجازة، مبررا ذلك بخوفه من انقضاء الأجل، وكان طلبه للإجازة في علم الفقه  
واللغة وغيرها، مبينا ذلك في أرجوزته:

مُطَلَّعَةٌ فِي الْفِقْهِ وَالنَّحْوِ وَمَا سِوَاهُمَا وَالْقَيْدَ لَنْ يَلْتَزِمَ<sup>5</sup>

1 ابن مرزوق: المناقب المرزوقية المصدر السابق، ص: 302.

2 التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص: 248.

3 ابن الحاج الورنيدي: أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب البيدري الورنيدي عرف بابن الحاج أخذ عن  
ابن زكري الأصول والمنطق والبيان والمعاني، كان شاعرا ماهرا عاصر ومعاصرا للإمام محمد بن غازي، توفي  
930هـ ودفن في جبل بن ورنيد. ينظر: أبو القاسم الحفناوي المرجع السابق، ص: 39.

4 ابن زكري: أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني، علامة تلمسان ومفتيها في زمنه أصولي بياني من أكابر  
فقهاء المالكية، أخذ عن ابن مرزوق والعلامة قاسم العقباني وأحمد بن زاغو، توفي سنة 899هـ. ينظر: نويهض،  
المرجع السابق، ص: 159.

5 ابن مريم: المصدر السابق، ص: 21.

وقد أسعفه ابن زكري لما طلب بقوله في نص الإجازة ما يلي: « .... وما طلب من الإجازة فقد سوغته إنجازه، فليرو عني ما يجوز في الرواية على الشروط المعروفة، والسنن المألوفة فهو أهل لأن يروي ويروي عنه من شاء على وجه الصواب، لجميع ما استفاد مني بخطاب أو وجدته في كتاب، أو بلغه له الأصحاب..... قال ذلك وكتبه بخط يده عبيد الله سبحانه أحمد بن محمد بن زكري عام 897 هـ<sup>1</sup> وبعد الحصول على هذه الشهادة يصبح طالبها في عداد الشيوخ، ويتمكن بعدها من التدريس في الفن الذي أجزى

- الشيخ سيدي أحمد بن جيدة المديوني الوهراني<sup>2</sup> (951/1544م) وهو من رجال التصوف أيضا قد أخذ عن الامام السنوسي علم التوحيد<sup>3</sup> وقرأ عليه عقيدته الصغرى وهو (ابن جيدة) ممن أجازوا المنجور (995/1587م) صاحب الفهرست وقد ذكره فيها.<sup>4</sup> فابن جيدة المديوني أخذ التصوف عن

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر نفسه، ص: 23.

<sup>2</sup> ابن جيدة المديوني: أحمد بن محمد بن محمد بن يحيى، صوفي عارف بالفقه مشارك في عدة علوم من أهل وهران تعلم بها وبتلمسان، كان ملازما للكفيف بن مرزوق يطالع له، وهو من شيوخ المنجور وقد ذكره في فهرسته. ينظر: نويهيض، المرجع السابق، ص: 348.

<sup>3</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص: 52.

<sup>4</sup> أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور: فهرس أحمد المنجور، : محمد حجي، الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر 1976م. ص: 17.



ابن تاغزوت وهو أخذ عن الولي ابراهيم التازي<sup>1</sup> الذي أخذ عن القطب محمد بن عمر الهواري<sup>2</sup>.

— ومن المتصوفة الذين كانوا من أولياء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها الشيخ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي (ت 875هـ/1471م) أقام ببجاية وتلمذ على فقائها، فقد ذكر أنه دخل بجاية ولقي بها الأئمة المقتدى بهم في العلم والدين والورع، أصحاب الفقيه الزاهد عبد الرحمن الوغليسي<sup>3</sup> (ت 786هـ/1384م) فأخذ عنهم<sup>4</sup> وتأثر بهم منهم أبو علي الحسن بن عثمان المنجلاتي، والإمام العلامة أو العباس النقاوسي وكان الثعالبي يحرص على أخذ الإجازة من شيوخه الذين أخذ عنهم.

<sup>1</sup> ابراهيم التازي: ابراهيم بن محمد بن علي التازي أبو إسحاق، نزيل مدينة وهران، كان منى أولياء الله الزاهدين وعباده الناصحين المخلصين، توفي سنة 866هـ، ينظر: ابن سعد، روضة النسر في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين : يحي بو عزيز الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع 2009. ص: 183.

<sup>2</sup> محمد بن عمر الهواري: أبو عبد الله فقيه متصوف زاهد متقشف، ذائع الصيت في أقطار المغرب ولد في مغراوة وانتقل إلى بجاية فأخذ عن الوغليسي وابن إدريس، وجاور مكة ثم عاد إلى وهران وبها توفي سنة 843هـ. ينظر: نويهض، المرجع السابق، ص: 337.

<sup>3</sup> عبد الرحمن الوغليسي: أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي عالمها ومفتيها له تأليف كثيرة منها الجامعة في الأحكام الفقهية على مذهب الامام مالك وتسمى الوغليسية، توفي سنة 786هـ ببجاية. ينظر: الحفناوي، المرجع السابق، ج: 1، ص: 68.

<sup>4</sup> عمار الطالبي، الحياة العقلية في بجاية، الفلسفة والكلام والتصوف مجلة الأصالة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م، ع: 19 مارس أبريل، 1974 : 7، ص: 169.

أ- ج- إجازة المتصوفة للفقهاء :

ويمكن أن نذكر الإجازات التي منحها المتصوفة للفقهاء من خلال النماذج التالية :

- جاء في نص الإجازة التي حصل عليها الشيخ أبو الفرج بن أبي يحيى

الشريف التلمساني رحمه الله<sup>1</sup>، أن الإمام أبو عبد الله محمد بن مرزوق

المعروف بالحفيد أجازة في العديد من العلوم التي تلقاها عنه، وأنه ألبسه

خرقة التصوف كما ألبسه أبوه وعمه، وهما ألبسهما أوهما جده<sup>2</sup> وكتب

تحتها ابن مرزوق : « صدق السيد بن السيد أبو الفرج المذكور،

فيما ذكره من القراءة والسماع والتفقه وبر، وقد أجزته في ذلك كله فهو

حقيق بها مع الإنصاف وصدق النظر، جعلني الله وإياه ممن علم وعمل

لآخرته واعتبر، قاله محمد بن مرزوق<sup>3</sup> » إذن فالإجازة التي منحها لمریده

كان يعد نوعاً من الإجازة في علم التصوف، أو على الأقل يعتبر عربون

قبول في الدخول إلى الطريقة.

<sup>1</sup> أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: المفاتيح المرزوقية لحل أقفال واستخراج خبايا الخزرجية، : صباح

مجاهدي ببلومانيا للنشر والتوزيع، د. م. ت. ن، ص: 37.

<sup>2</sup> المقري: المصدر السابق، ج:5، ص: 424.

<sup>3</sup> المقري: المصدر السابق، ج:5، ص: 425.

- ومن أمثلة الإجازات الصوفية ما ذكره ابن عسكر الشفشاوني في دود

الناشر أن شيخه أبو العباس أحمد بن أحمد العبادي التلمساني<sup>1</sup> (ت

1577/985هـ) كان يجيز تلاميذه ومن قرأ عليه علم التصوف،

مشايخ الصوفية<sup>2</sup> وهي طريقة يتم بها الحفاظ على تواتر هذا العلم من

السلف إلى الخلف.

وإضافة إلى ما ذكرناه فقد وجد بعض المتصوفة يأخذون الإجازة عن بعضهم لكن

ليس في علم التصوف بل في علوم أخرى، فنجد الثعالبي يأخذ عن شيخه أبي عبد الله بن

مرزوق الحفيد وكلاهما . بين الفقه والتصوف، يقول الثعالبي: « وقد علمنا بتونس

شيخنا أبو عبد الله بن مرزوق فأقام بها وأخذت عنه كثيرا وسمعت عليه جميع

الموطأ..... وختمت عليه أربعينيات النووي قراءة عليه في منزله»<sup>3</sup> وأجازه وأذن له في

الإقراء، وقد كانت إقامته حينها في تونس عندما كان متوجها للحج.

ب - التأليف والتدريس في كلا المجالين :

كان كثير من المتصوفة، الوقت فقهاء وأهل علم يجمعهم المذهب المالكي،

الشيء الذي حال كثيرا دون فهم فلم ينشأ بينهم وبين الفقهاء نزاعات، وذلك راجع

<sup>1</sup> أحمد العبادي: أحمد بن أحمد بن يعقوب العبادي التلمساني أبو العباس، عالم كبير من فقهاء المالكية من أهل تلمسان وبها نشأ وتعلم ثم انتقل إلى فاس. ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 65.

<sup>2</sup> الشفشاوني: المصدر السابق، ص: 118.

<sup>3</sup> التتبعاتي: المصدر السابق، ص: 259.

عتراف المالكية بصحة منهج الصوفية، فقد كان لكثير من أهل التصوف مؤلفات ،  
الفقه وأصوله والتفسير وعلم التوحيد وغيره، فألف السنوسي في التوحيد عقائده<sup>1</sup> التي  
كانت مرجع العلماء في هذا العلم، وألف الشيخ ابراهيم التازي(866هـ/1462م) وهو من  
الأولياء الزاهدين والعباد الصالحين، في الفقه والأصول وعلم الحديث<sup>2</sup> « وألف أبو عبد  
الله المقرئ كتاب "المحاضرات" الذي ضمنه آداب المحاضرة ومجالس المناظرة، وتناول  
فيه عقيدة التوحيد ورد فيه على المتصوفة الذين يرون أنفسهم العارفون بالله القريبون  
«<sup>3</sup> كما أن المرازقة إلى جانب كونهم متصوفة فقد كتبوا في الفقه والأصول  
والفروع فنجد أن محمد بن مرزوق الحفيد(ت842هـ/1439م) ان ملما بالمذهب المالكي  
واسع الاطلاع على بقية المذاهب الأخرى، وكان نحويا وعروضا وفقهيا وصوفيا<sup>4</sup> وقد  
أدى إمام المرازقة بمختلف العلوم إلى وضع تصوفهم« في إطار الشريعة فنالوا بذلك  
احترام شريحة الفقهاء، يدل على ذلك أن خواص أتباعهم كانوا من النخبة الفقهية فمثلا  
كان لأبي عبد الله محمد الجد في القرن 7/13م خواصا من الأصحاب كلهم من الفقهاء  
صار أيضا لأبي العباس أحمد في القرن 8/14م خواصا من أهل التصوف»<sup>1</sup>

<sup>1</sup> التنبكتي، المصدر السابق، ص: 571.

<sup>2</sup> التنبكتي المصدر نفسه، ص: 60.

<sup>3</sup> بن داود نصر الدين: المرجع السابق، ص: 219.

<sup>4</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 201.

<sup>1</sup> بونابي: الحركة الصوفية، المرجع السابق، ص: 387.



و نجد العديد من الفقهاء الذين تلقوا علومهم عن شيوخ التصوف الذين كانت لهم  
لس نروس يحضرها الفقهاء ويأخذون منها علوم التصوف، مثلما كان الحال مع  
الشيخ ابراهيم المصمودي<sup>1</sup> (ت805هـ/1403م) الذي كان من شيوخ ابن مرزوق الحفيد<sup>2</sup>  
و جاء في ترجمة الشيخ الولي الصالح الحسن أبركان أنه «كان من الفقهاء  
المبرزين وصدور المدرسين، انتفع الناس به بتدريسه في قراءة كتب الفقه وخصوصا  
رسالة ابن أبي زيد، وجامع الأمهات لابن الحاجب، وكان مشيخة الوقت من الفقهاء  
الأعيان وصدور ذلك الزمان يحضرون مجالسه ويعترفون له بالإمامة في العلوم، والتقدم  
في مدارك الفهوم»<sup>3</sup> فكان الجمع بين التصوف والفقه خاصة الفقه المالكي ميزة لذلك  
العصر.

### ج - المراسلات :

ومن مظاهر هذا التواصل نجد تلك المراسلات التي كانت تتم بين الفقهاء ورجال  
التصوف حول بعض القضايا الدينية، حيث اختلفت أغراضها فقد كان بعض العلماء إذا

---

<sup>1</sup> ابراهيم المصمودي: أبو إسحاق بن موسى المصمودي أصله من صنهاجة المغرب، نشأ وقرأ على جماعة في فاس  
كالعبدوسي والأبلي أبو عبد الله الشريف التلمساني، ثم انتقل لسكنى المدرسة التاشفينية، كان مقبلا على العلم والعبادة  
والاجتهاد في سلوك طريق أرباب المجاهدات، وأخذ بالعناية القصوى في باب الورع والزهد والإيثار. ينظر: ابن  
صعد التلمساني: مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، " الجزء الأول". دراسة وتحقيق. بلحاج  
محمد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: بن معمر محمد، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران  
2008/2007م، ص: 95.

<sup>2</sup> ابن مريم: المصدر ، ص: 64.

<sup>3</sup> ابن صعد: روضة النسرين، المصدر السابق، ص: 116.



ألف كتابا يرسله لأحد العلماء في ذلك الفن ليطلع عليه، الرسالة التي بعث بها أبو الحسن الصغير مع شرحه لرسالة الشيخ ابن أبي زيد القيرواني<sup>1</sup> إلى بعض شيوخ تلمسان كالشيخ محمد بن يوسف السنوسي، والشيخ الحلوي نزيل تلمسان الذي قال بعدما طالعها أنها « تشبه الطرر، ففرحت بها»<sup>2</sup> واحتفظ بها إلى أن بلغه بعد ذلك أمورا أنكرها عليه.

ومنها تلك المراسلات التي وقعت بسبب قضية يهود توات وملا خبرها بلاد المغرب، فكان فقهاء توات يرسلون لأجلها فقهاء تلمسان وفاس وتونس وهؤلاء يردون عليهم، وقد ذكرنا خبرها في مبحث علاقة الفقهاء ببعضهم.

وكانت المراسلات من أهم وسائل الاتصال بينهم « تبادل للمعلومات وحفظ للعلائق الودية، ووضوح للمسائل العلمية الغامضة، وكان العلماء يتبادلون الألغاز ونحوها»<sup>1</sup> مثلما وقع بين الشيخ الزاهد الصالح ابن الحاج الورنيدي(930هـ/1524م) وعصريه الفقيه الإمام محمد بن غازي مراسلات يكتب كل واحد منهما لصاحبه

<sup>1</sup> ابن أبي زيد القيرواني: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي المنقب بمالك الصغير، حاز رئاسة الدنيا والدين ورُحل إليه من الأقطار، سأله الشيخ محرز التونسي كتابة تأليف في الفروع المالكية فكتب " الرسالة" وهي أول تأليفه ووقع التنافس في اقتنائها حتى كتبت بماء الذهب. بنظر: شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء. ج: 17 المصدر السابق، ص، ص: 10 11.

<sup>2</sup> جمال الدين بوقل حسن: الإمام بن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، تلمسان: كنوز للنشر والتوزيع، ط: 1، 2011م. ص: 404.

<sup>1</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 1، ص: 401.

بالمسائل، منها تلك الرسالة التي نقلها ابن مريم في البستان وكان موضوعها الإلغاز  
مسألة القلم والدواة، حيث كتب ابن غازي ما نصه:

رَمَيْتُ نَيْرَ طَعْمِهِ عِنْدَ رَأَى      إِذَا ذَاقَ مِنْ ذَاكَ الطَّعَامِ تَكَلَّمَ  
يَقُومُ نَيْمِشِي صَا مَا مُتَكَلِّمًا      رَيَّأَرِي إِلَى الْقَبْرِ الَّذِي مِنْهُ قُومًا  
بَلَا هُوَ حَ يَسْتَحَقُّ رِيَارَةَ      وَلَا هُوَ مَيَّتٌ يَسْتَحَقُّ مَرَحَمًا

فأجابه الشيخ أحمد بن الحاج الورنيدي:

حَمْدُ الْإِلَهِ أَبْتَدِي ثُمَّ بَعْدَهُ      صَلَّى عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ مُسَلِّمًا  
هُوَ الْقَلَمُ الدَّوَاةُ رَطْعُهُ      مَدَادُهُ نَارُ الْكَلْبِ بَيْتُهُ فِ هَيْئَةٍ  
رَكَاتِبُ هَذَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ      عَفَا اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا كَانَ جَرَمًا<sup>1</sup>

كما أن الفقيه أبو العباس أحمد البجائي راسل الشيخ ابن الحاج الورنيدي المذكور  
في قضية أشكل عليه الفصل فيها، ويتعلق موضوعها بجواز الإقامة من عدمه في بلد  
كثر فيه الظلم وانتشر فيه الباطل وذل فيه المسلمون وعز فيه الكفار، وقد رد عليه  
الشيخ ابن الحاج بجواب شاف في المسألة<sup>1</sup> نقله ابن مريم في البستان كاملاً.

## 2-1 العلاقة الا بين الفقهاء والمتصوفة :

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 8.

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر ، ص: 15.

وجدت علاقات اجتماعية كانت تربط الفقهاء بالمتصوفة ويمكن في هذا المقام أن نذكر قصة الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن مرزوق (741هـ/1341م) عندما تم سجنه من طرف السلطان أب يعقوب المريني، استدعى الفقيه أبا الحسن التنسي ليستشيره في أمر هذا السجين، فلما سأله السلطان عن رأيه شفع له الفقيه التنسي عند السلطان وبين له ومكانته عند الله وعند الناس وأشار عليه بإطلاق سراحه<sup>1</sup>، ثم إن السلطان المريني

دعا بفقيه

آخر وكان من خواصه ليستطلع له من عند ابن مرزوق خبر من كان يتردد عليه بالمؤمن أثناء الحصار، فأشار هذا الفقيه على ابن مرزوق بكتف خبر الرجل، وعدم إفشاء سره لا يهلك بسببه<sup>2</sup> ووعدته بالنجاة من السجن، فلما عرف السلطان المريني صدق ابن مرزوق خلى سبيله، وأشار على الفقيه أبي الحسن التنسي بأن يزوج بنت أخيه الشيخ أبي إسحاق التنسي لأحمد بن مرزوق<sup>1</sup> ووعدته بإتمام العقد وتولي النفقة الخاصة بزواجه فكان كما قال.

ومن ذلك شفاعة بعض الفقهاء لرجال التصوف عند السلاطين، حيث حاولوا منع الحكام من إلحاق الأذى بهم، مثلما حدث مع أحد المتصوفة عندما دخل على السلطان أبي حمو في أول أمره فلم يقبل يده ولم يبايعه، واكتفى بالتسليم عليه ثم انصرف، مما

<sup>1</sup> ابن مرزوق: المصدر السابق، ص: 194..

<sup>2</sup> ابن مريم المصدر نفسه، ص: 28.

<sup>1</sup> ابن مريم المصدر نفسه، ص: 29.

أدى إلى غضب السلطان وقال لمن حضر معه في مجلسه كيف لا يبايعني هذا، وأراد أن يؤدب لولا تدخل الفقيه أبي عبد الله الشريف التلمساني (ت 771هـ/1370م) الذي هدى من ب السلطان وقال له: « هذه عادته مع من تقدم من الملوك، وهو من أهل الله »<sup>1</sup> يقصد بذلك أن الرجل ممن عرف عنه الصلاح والورع.

وذكر ابن سعد في روضة النسرين أن جماعة من أصحاب الحسن أبركان جاءوا إلى الفقيه العالم محمد بن العباس (ت 871هـ/1467م) الذي كان يعد من أكابر علماء تلمسان وأحد أوعية العلم بها وكان حينها بجامع سيدي الطيار في تلمسان يسألونه عن مسألة من المسائل فقال لهم: «كيف تسألون عن مثل هذا وسيدي الحسن في الوجود، ونحن منه نتعلم وبه ننتفع»<sup>2</sup> وهذا مما يدل على متانة العلاقة الطيبة التي كانت تجمع بين فقهاء المغرب الأوسط ومتصوفيه، فقد وجد كثير من الفقهاء الذين أخذوا العلم عن رجال التصوف وانتفعوا بهم.

## 2 - مظاهر الاختلاف والنفور:

على الرغم من هذا التداخل المؤدي إلى التوافق بين رجال علم الباطن ورجال علم الظاهر، فقد تخوف الفقهاء من الانحرافات التي كانت تصدر من بعض فقهاء المتصوفة،

<sup>1</sup> التتبعي: المصدر السابق، ص: 438.

<sup>2</sup> ابن سعد: روضة النسرين، المصدر السابق، ص: 306.



وكانت في نظر الفقهاء تخالف مبادئ الدين نتيجة انتشار التصوف وانتقاله من النخبة إلى الأوساط الشعبية، فكانت مواقف الفقهاء تتحدد في النقاط التالية:

## 2- 1 الفتاوى والردود المعارضة لها :

طفت على الساحة الثقافية في المغرب الأوسط بعض المسائل التي حددت مواقف متباينة لكل من الفقهاء والمتصوفة، وأحدثت نوعا من الاستقطاب حولها حيث حدث جاذب بين مدرسة الفقهاء و مدرسة الصوفية، وأفتى كل طرف بما يمليه عليه تكوينه النفسي وتأهيله العلمي، قد شهد المغرب الأوسط مع بداية القرن الثامن " فقراء الصوفية" وما كانوا يفعلونه من أمور كان المتصوفة يرون ، وهو الأمر الذي أثار حفيظة الفقهاء وعبروا عن رفضهم لهذه الممارسات من خلال بعض الفتاوى والمؤلفات، منها الرسالة التي ألفها عبد الحق الزرويلي المعروف بـ "أبو الحسن الصغير" (ت719هـ/1319م) حيث جمع فيه فتاوى بعض علماء المغرب والأندلس وحتى المشاركة التي أنكروا فيها ما يصنعه المتصوفة من أفعال، ووجه فيه انتقادا لاذعا لفقراء الصوفية وجمع فيه مثالبهم<sup>1</sup> فقد عرف بمعارضته للصوافة ومهاجمته لهم، وأرسلها إلى تلمسان معربا فيها عن اعتراضه على ممارسات فقراء الصوفية.

<sup>1</sup> المهدي البوعبدلي: ظهور السلفية في الجزائر نة الدراسات المغاربية، ع 1، ديوان المطبوعات الجامعية رهران أكتوبر 1988 ، ص: 103.



وقد تصدى للدفاع عن المتصوفة " قاسم بن سعيد العقباني " (ت 837هـ/1434م) لنصرتهم وصوب صنيعهم فيها<sup>1</sup> استنكر الكثير من الفقهاء ذلك وكان على رأسهم عصره وبلديه أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد - وأيده كثير من علماء الأندلس والقيروان وفاس - حيث انتصر لأبي الحسن الصغير وألف رسالة رد فيها على قاسم بن سعيد العقباني<sup>2</sup> " النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل للناقص " سبعة كراريس بين فيها مخالفتهم للسنة وإتيانهم بأمر محدثة.

ولم يقتصر الجدل حول هذه المسألة على عصر هؤلاء العلماء، بل تعداه إلى عصر الإمام محمد بن يوسف السنوسي<sup>3</sup> (895هـ/1490م) الذي وضع مؤلفا سماه " نصره الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير " انتصر فيه لقاسم العقباني وشيعته، ومن الذين أيدوا فتوى السنوسي، شيخاه عبد الرحمن الثعالبي<sup>1</sup> دفين الجزائر، والحسن أبركان<sup>2</sup>

<sup>1</sup> التتبكتي: المصدر السابق، ص: 507.

<sup>2</sup> محمد إدريس طيب: الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء والأولياء الجامع بين الشريعة والحقيقة، بيروت: كتاب ناشرون، ط: 2، 2008، ص: 421.

<sup>3</sup> السنوسي: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني من جهة الأم، كبير علماء تلمسان وزهادها في عصره، نشأ بتلمسان وبها توفي سنة 895هـ، صاحب العقائد المشهورة في التوحيد. ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 180.

<sup>1</sup> الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي صوفي من كبار المفسرين وعلماء الجزائر وأعيانها، ولد ونشأ بناحية واد يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر، تعلم ببجاية وتونس ومصر ودخل تركيا، له أكثر من تسعين مؤلفا، تو: 875هـ. ينظر: نويهض، المرجع السابق، ص: 90.

<sup>2</sup> الحسن أبركان: محمد بن الحسن بن مخلوف المزيلي الراشدي، متصوف وفقه مالكي ومحدث من أهل تلمسان وبها نشأ وتعلم. ينظر: عادل نويهض، ص: 14.

الراشدي دفين تلمسان<sup>1</sup> ووقفوا موقف المناصر له، ويبدو أن الذي دعا السنوسي إلى هذه الانتفاضة الفكرية إن صح القول، هو ما جاء من إطلاق للحكم على المتصوفة عامة بأنهم من أهل البدعة والضلالة ولم يقيد أفعالهم بشروط، وهو ما أغضب السنوسي وعبر في رسالته بقوله: « فلما وقعت بيدي هذه الأوراق التي اعترض فيها على أهل الطريقة، وسماهم مبتدعة ولم يقيد قوله بشيء، وأطلق لسانه إطلاقاً كلياً، نبذت الله من وراء ظهري، ونفضت سره بفعله»<sup>2</sup> بل وصل الأمر بالإمام السنوسي إلى حد الاتفاق مع بعض رجال التصوف على حرق كل النسخ<sup>3</sup> التي بعث بها أبو الحسن الصغير، ولم يبق إلا على نسخة واحدة للرد عليها.

ويبدو أن أبا الحسن الصغير لم يكن على شيء من علم التصوف

الإمام السنوسي يسأل العلماء عن حال ومدى اطلاعه على هذا العلم فمن بين الذين سألهم عنه الشيخ أحمد زروق البرنسي فكان جوابه: « ليس لأبي الحسن إلا حفظ الظاهر خاصة وليس معه من الباطن شيء، ..... وهو فقيه قح محجوب من الدقائق والرقائق»<sup>1</sup> وكان السنوسي خلالها يقوي موقفه المعارض لرسالة أبي الحسن الصغير

<sup>1</sup> المهدي البوعدي: أهم الأحداث الفكرية بتلمسان، مجلة الأصالة، ع: 26 جويلية، أوت 1975 م. ص - ص: 126 128.

<sup>2</sup> جمال الدين بوقلي: المرجع السابق، ص: 405.

<sup>3</sup> عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني، حياته وأثاره. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط: 2، 1982 م، ص: 87.

<sup>1</sup> جمال الدين بوقلي: المرجع ، ص: 406.

بآراء ومواقف متصوفة تلمسان، فبعد رأي الشيخ أحمد زروق، عرض السنوسي الرسالة على الشيخ الحسن الحلوي<sup>1</sup> نزيل تلمسان وأفضلها علما وأدبا ليقراها، فهاله ما وجدته مكتوبا فيها ودعا على كاتبها بقوله: « اللهم ابل ناشرها في البلاد بذل العباد»<sup>2</sup> لأنه أنكر الانتساب إلى التصوف وسمى ذلك بدعة، وقد حاول بعض الباحثين<sup>3</sup> تحليل ما جاء في تلك الرسالة مستعرضا أهم ما تناولته بشيء من التفصيل.

استمر الصراع بين أنصار الفريقين إلى أن جاء الإمام أحمد زروق البرنسي (ت899هـ/1494م) - وهو من أعلام التصوف في ذلك العصر - واستطاع التقريب بينهما وتا سلوكيات المتصوفة ووا، في إطارها الشرعي باعتباره « من شيوخ التصوف القائم على السنة والشريعة حين يذكر أهل التصوف، وفقهه عالم آراءه فتاوى يرجع إليها حين يذكر العلماء »<sup>1</sup> فكان يحكم بصحة ما هو صحيح من أفعال المتصوفة ويبطل ما كان باطلا ، وألف في ذلك مؤلفات منها كتاب " عدة المرید الصادق" جرده لبيان عيوب الطرق ومحدثاتها، وتتبع فيه الكثير من عيوب الطرق التي

<sup>1</sup> الشيخ الحلوي: أبو عبد الله الشوذي الأشبيلي إمام العارفين وتاج الأولياء المحققين وسيد الصالحين، نزيل تلمسان وهو من أكابر العلماء العباد العارفين بالله، كان قاضيا بأشبيلية آخر دولة بني عبد المومن ثم فر بنفسه إلى تلمسان في زي المجانين وتوفي بها. ينظر: ابن مريم المصدر السابق، ص:70.

<sup>2</sup> جمال الدين بوقلي: المرجع السابق، ص: 404.

<sup>3</sup> مصطفى باحو: علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم، المغرب: منشورات السبيل، ط:2 2007م، ص:91.

<sup>1</sup> أحمد زروق: عدة المرید، المرجع السابق، ص:5.

وقف عليها كموضوع السماع الذي عده من الضلال والبطالة، وتفضيلهم الذكر على قراءة القرآن، وتفويت الصلاة وترك قضاء الفوائت، وغيرها من الأمور التي كانت شائعة في عصره منسوبة إلى التصوف ومخالفة للدين، وكانت تؤدي إلى سوء العلاقة بين أهل الفقه ورجال التصوف، فأراد أن يصححها ويبين زيغها.

غير أن الشيخ أحمد زروق لم ينكر كل أحوال متصوفة أهل زمانه، بل بين مذهبه فيهم واستشهد بأقوال نقلها عن كبار المتصوفة كالجنيد وابن عطاء الله مثل قوله "إعتقد ولا تنتقد ولا تطمئن لأحد" أي الرضا عن حالة الشيخ والتسليم وعدم الانتقاد، غير أنه لا بد من الإنكار على من بدر منه ما يخالف الدين، ومن ثم يرى صحة إنكار الفقيه على الصوفي ولا يصح إنكار الصوفي على الفقيه<sup>1</sup> لأن دائرة فهم الصوفي أوسع من دائرة فهم الفقيه.

ولما بالغ أحد الفقهاء في ذم مبتدعة المتصوفة، وأفتى بهدم ديارهم وتفريق جموعهم وأن يساموا سوء العذاب حتى يقلعوا عن ذلك<sup>1</sup>، لم يوافق الشيخ أحمد زروق فيما ذهب إليه وأفتى بأن أمورهم ينظر فيها فيصح ما يكون صحيحا، ويبطل ما كان رعا، لكنه حذر في رسالة إلى بعض إخوانه بعد أن أمرهم بخمس ونهاهم عن

<sup>1</sup> أحمد زروق: المصدر السابق، ص: 166.

<sup>1</sup> عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية : أبو القاسم سعد الله، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: 1 1987 م. ص: 144.



خمس، حذرهم من : « مخالطة الفقراء والطلبة، ومن الاشتغال بالكنوز والكيمياء وغيرهما فإن ذلك كله مبعث عن الله جالب للفقر بعيد عن الحق.... وإياكم وخلطة فقراء هذا الزمان فإنهم جذام إلا من قل.....وعظموا الفقهاء لأنهم حملة الشريعة، ولا تخالطوهم لأن نفوسهم غالبية عليهم»<sup>1</sup> فكان يضبط الأمور بميزان الشريعة، ولا يلتفت إلى كون المخالف لها صوفيا أو فقيها.

ومن بين القضايا التي ألفت بظلالها على المنطقة، وشغلت كل من الفقهاء والمتصوفة وكان لكل مذ رأي فيها هي قضية النسب الشريف، ذلك أن الوضع الثقافي والتوجه الاجتماعي في تلك الفترة كان يصب في اتجاه تعظيم آل البيت ومنحهم مكانة خاصة لدى كل من الحكام والرعية على حد سواء حيث حظي الشرفاء في المغرب الأوسط بمكانة هامة لدى المجتمع، و أفتي فقهاء المغرب « بوجوب احترام الأشراف والقيام بحق ذرية النبي الطيبة الطاهرة ومن انتسب إلى بيته الشريف، وكان كل من يتعرض لهتكها يستحق العقوبة على قدر اجترائه وجرمه»<sup>1</sup>، ونظرا لهذه الاعتبارات فإن سلاطين بني عبد الواد قد ادعوا لأنفسهم هذا النسب الشريف<sup>2</sup>، رغم أصولهم البربرية الثابتة والمشهورة وقد يكون ذلك بسبب إضفاء الشرعية على حكمهم وقطع الطريق

<sup>1</sup> عبد الكريم الفكون: المصدر ، ص: 196.

<sup>1</sup> كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب 1996م. ص: 35.

<sup>2</sup> يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج: 1، ص: 111.



على أي منافسة سياسية لحكمهم، كما أن احتواء ومحبة الشرفاء كان من أولويات سياستهم ويظهر ذلك من خلال العناية بهم وتقريبهم، فقد كانت تتمتع هذه الفئة بمزايا مادية كثيرة<sup>1</sup>، كتعيين الجرايات الشهرية والإعفاء من الضرائب وتولي المناصب الهامة وغيرها من المزايا، لذلك نجد السلطان أبا حمو الثاني يوصد ابنه بالعناية بهته الطائفة في كتابه واسطة السلوك بقوله: « ويكون الشرفاء عندك أرفع الناس في الرتب، لشرفهم في الحسب، وأعلاهم في النسب»<sup>2</sup> فكانوا يزينون بهم مجالسهم ويتخذونهم كمستشارين.

ونظرا لأهمية هذه الفئة داخل المجتمع فقد انتحل الكثير من الناس هذا النسب الشريف للحصول على مزاياهم وبالمقابل ضاعت حقوق بعض الأشراف الذين اتهموا ذلك أصبحت مسألة ادعاء النسب الشريف محل تثبت وتحقيق من طرف الحكام حتى لا يختلط بهم غيرهم<sup>1</sup>، فتم ضبطهم وتنظيمهم في إطار نقابة يرأسها واحد منهم يدعى نقيب الشرفاء<sup>2</sup> ونظرا لهذه المكانة التي كان يتمتع بها الأشراف، ظهرت مسألة إدعاء الشرف من جهة الأم، وأصبح الكثير من الناس ينتسب للأشراف من أمه وليس من قبل أبيه

<sup>1</sup> ابن مرزوق: المسند الصحيح، المصدر السابق، ص: 154.

<sup>2</sup> أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق، ص: 86.

<sup>1</sup> ابن مرزوق: المسند، المصدر السابق، ص: 147.

<sup>2</sup> محمد فتحة: المرجع السابق، ص: 250.

شغلت هذه المسألة الناس واستفتوا فيها الفقهاء وشكلت مسألة للنقاش بين جمهور من الفقهاء فقد نقلت إلينا كتب النوازل العديد من القضايا التي تعرضت لمسألة الشرف من جهة الأم، منها ما نقله الونشريسي في فتوى علماء تلمسان من كانت أمه شريفة يثبت بذلك الشرف عن طريقها أم لا؟ وإذا ت هل يدعى به ويستجيب هو إذا دعي أم لا؟ من الذين أفتى بثبوته وصحته من أهل القرن الثامن الهجري أبو عبد الله الشريف التلمساني<sup>1</sup> (ت 771هـ/1370م) وسعيد العقباني (ت 811هـ/1409م) ومعه جماعة من فقهاء تلمسان، ومن علماء بجاية منهم أبو علي حسن بن عبد الرحمن البجائي (ت 754هـ/1353م) إمام المعقولات والمنقولات ومن كبار فقهاء المالكية ألف في ذلك رسالة<sup>1</sup> أبطل فيها القول بادعاء الشرف من قبل الأم، وصوب رأيه ناصر الدين المشدالي (ت 731هـ/1331م)<sup>2</sup>.

ومن أهل القرن التاسع الفقيه أبو يحيى بن السيد أبي عبد الله الشريف ومحمد بن مرزوق الحفيد (ت 842هـ/1439م) وقاسم بن سعيد العقباني (ت 854هـ/1450م) وأحمد بن زاغو (ت 845هـ/1442م) كلهم قالوا بأن الشرفاء من قبل الأب لا بد أن ينتهي شرفهم إلى

<sup>1</sup> أبو عبد الله الشريف التلمساني: ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد سنة 710هـ، وتوفي 771هـ، من أشهر علماء تلمسان في وقته. ينظر ترجمته في: نيل الإبتهاج، ص: 430، والبستان، ص: 164، وتعريف الخلف، ص: 106.

<sup>1</sup> نويبيض: المرجع السابق، ص: 34.

<sup>2</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج: 12، ص: 207.

الشرف من قبل الأم<sup>1</sup> وألف في ذلك ابن مرزوق الحفيد كتابا سماه "إسماع الصم في

إثبات الشرف من قبل الأم" معتمداً النصوص القرآنية والأحاديث النبوية

أن الموضوع قد الكثر من العلماء<sup>2</sup> ذلك أن ثبوت النبوة للأمم أقوى من

ثبوتها للأب، ولا يعارض هذه القوة إلا المتمسكون بالظواهر، والحاكم بها يحتاج إلى قوة

من العلم والفهم، يدرك بها مقتضيات الأحوال ويعتمد عليها في استخراج أدلة الأقوال.<sup>3</sup>

كما وجد مؤلف آخر بنفس الاسم "إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم" لمحمد

المراكشي أصلاً القسنطيني داراً المعروف بالأكمه (ت 807هـ/1405م)<sup>4</sup> وهو في نفس

الموضوع، دعا فيه الناس إلى عدم الإساءة إلى الشرفاء والانتقاص من حقهم.

كن هناك من فقهاء المغرب الأوسط من أنكروا هذا الادعاء وعارضوا ليقطع

الطريق على منتحلي النسب الشريف ابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1407م) الذي ألف

سماه<sup>1</sup> "تحفة الوارد في اختصاص الشرف من الوالد" وهو كما فهم من عنوانه أن

الشرف يثبت من طرف الأب وليس من طرف الأم بل نجد أن هناك من الفقهاء من

أنكروا الاعتراف بالشرف الذي مضت عليه قرون عديدة فقد روي أن المقرئ الجد أبي

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج:2، ص: 546.

<sup>2</sup> بن داود نصر الدين: المرجع السابق، ص: 236.

<sup>3</sup> الحفناوي: المرجع السابق، ص: 19.

<sup>4</sup> بن داود نصر الدين: المرجع السابق، ص: 236.

<sup>1</sup> بونابي: الحركة الصوفية، المرجع السابق، ص: 378.

القيام لمزوار الشرفاء عندما دخل إلى مجلس السلطان المرينى المزوار: «أيها الفقيه مالك لا تقوم كما يفعل السلطان نصره الله وأهل مجلسه إكراما لجدي ولشرفي؟»<sup>1</sup> المقري بأن شرفك مضمون ، ولا يمكن التحقق منه بعد أن مضى عليه أكثر من سبعمئة عام<sup>2</sup> و أن شرف العلم محقق وثابت لأن صاحبه معروف به بين الناس.

وقد كان رجال التصوف رأيهم هم أيضا مسألة الشرف فقد كانت مكانة الشرفاء عندهم في منزلة عالية، فهذا ابراهيم التازي زاويته جعل في مدرستها المعدة لطلب العلم غرفة مرتفعة، وعينها لولدين من أبناء الشرفاء، وزودها بما يلزم لأمر الضيافة، و توارثها الطلبة من الشرفاء من بعدهم حتى صارت تعرف ببيت الشرفاء، وقد «كان سيدي ابراهيم التازي على حالة عظيمة ورتبة كريمة من إجلال الشرفاء المنتسبين إلى البيت والتنويه بقدرهم، والتنبيه على رفعة مكانهم، ويقول : تعظيم أهل بيت النب □ من تعظيمه لأن حرمة ميتا كحرمة حيا»<sup>1</sup>، لكن يبدو أن أبناء الشرفاء لم يكونوا كلهم يحترمون تلك المكانة التي كان يخصصها للناس بها، فقد نقل إلينا ابن سعد التلمساني حكاية عن أحد الأشراف الذي قدم إلى وهران بغرض التجارة، فأراد القائم على زاوية الشيخ ابراهيم التازي إنزاله بإحدى الغرف التي

<sup>1</sup> المقري: المصدر السابق، ج: 5، ص: 281.

<sup>2</sup> المقري المصدر السابق، ج: 5 ص: 281.

<sup>1</sup> ابن سعد: النجم الثاقب، المصدر السابق، ص: 117.



خصت للشرفاء، فاستتكتف هذا الشريف عن النزول بها وقال: « أومتلي ينزل في المدرسة مختلطا مع الناس؟ فرد عليه الشيخ: هذا المنزل هو أفضل منزل في الزاوية وفيه كان ينزل سيدي ابراهيم»<sup>1</sup> لكن الشريف رد على القائم بالزاوية بكلام فاحش وأغظ له في القول وسب الزاوية، ورغم ذلك لم يبدر من الشيخ فعل أو قول ينم عن غضبه بل قال له قولنا وذهب وتركه.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن العديد من رجال التصوف في المغرب الأوسط ينتسبون لفئة الشرفاء، ولأجل ذلك كان يحضون بمكانة رفيعة في المجتمع، ورغم ذلك كان «الاعتقاد السائد عند الصوفية أن لا قيمة للنسب الشريف ما لم يكن صاحبه قد زهد في الدنيا وابتعد عن مخالطة أهلها وبالتالي الإحالة إلى نسب ديني يكتب بأنواع المجاهدات، والتدرج في المراتب الصوفية نحو القطبانية، وهي الدرجة التي يكون فيها الولي قد ورث عن النبي ﷺ أقواله وأحواله الظاهرة والباطنة»<sup>1</sup>، فمن الذين نسبوا إلى الشرف من جهة أمهاتهم الشيخ أبو العباس أحمد البجائي الذي ذكره ابن مريم عند ترجمته للشيخ أحمد المعروف بابن الحاج الورنيدي بقوله: « وكتب له الفقيه الزاهد العابد الناسك، أبو العباس أحمد البجائي الشريف لأمه سؤالاً..... »<sup>2</sup> وفيه دلالة واضحة

<sup>1</sup> ابن سعد: المصدر نفسه، ص: 118

<sup>1</sup> بونابي: الحركة الصوفية، المرجع السابق، ص: 380.

<sup>2</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 14.



أنهم كانوا يدعون بالشرفاء، وأنهم كانوا يقبلون بهذا النعت، ومنهم أيضا محمد بن يوسف السنوسي، وحمد بن عمر الهواري الذين لم يكن من الممكن — حسب أحد الباحثين<sup>1</sup> — جعلهما ينحدران من نسل النبي ﷺ لأنهما بربريان، ولهذا جعل حسنيا من جهة أمه .

## 2-2 إنكار الفقهاء لبعض الممارسات الصوفية :

ومن الأمور التي كان الفقهاء ينكرونها على رجال التصوف لبسهم للثياب المتسخة، وعدم اهتمامهم بنظافة أجسامهم، فقد وصفهم الورتيلاني بأنهم أنتن من الجيفة وطبائعهم طبائع بهائم في المزابل والأسواق والأزقة، لأنهم يعتقدون أن الصبر على وسخ الثياب يؤدي إلى إزالة وسخ الباطن، وانتقدوا مظاهر التقشف والزهد التي كانت بادية عليهم، إلا أن هذه النظرة لا يمكن تعميمها على جميع المتصوفة، حيث نجد بعض المتصوفة المشهورين قد عرف عنهم لبسهم لفاخر الثياب وأكلهم لذيق الطعام، فنرى الشيخ ابراهيم التازي لم يعرف عنه زهده في لباسه ومطعمه، لأنه كان يرى « أن الزهد في الدنيا هو اعتقاد حقارتها، وملازمة هوانها وعدم ركون النفس إلى لذتها، أما فراغ اليد منها وتركها في الظاهر مع تعلق القلب بها في الباطن، فليس ذلك من الزهد في شيء»<sup>1</sup> وذلك بعد أن انتقده جماعة بمدينة وهران نعتهم ابن سعد بالجهلة الطعام،

<sup>1</sup> ألفريد بل: المرجع السابق، ص: 423.

<sup>1</sup> ابن سعد: النجم الثاقب، المصدر السابق، ص: 147.

وعابوا عليه أحواله في اللباس ومخالفته لصفات شيخه<sup>1</sup> محمد بن عمر الهواري الذي عرف عنه الزهد والتقشف في الملبس والمطعم، فإنه لم يكن يلبس أثناء تجوله سوى سترة وكساء بال من صوف، ومن قوله في ذلك:

ننت بالحفي نمشي ولياسي أيضا سترا وخير الرزق ما يلقي أن الصبر لفقرا<sup>2</sup>

ومن المسائل التي استتكرها الفقهاء مسألة التبرك بالأضرحة والدعاء عندها، فقد كان الكثير من المتصوفة يفعلون ذلك ويحفزون الناس عليه، وقد نقلت إلينا كتب المناقب العديد من الإشارات التي تدل على ذلك منها ما نقله صاحب البستان عن الشيخ الشوزي المعروف بالحلوي المدفون بتلمسان : « وقبره هناك مزار مجاب الدعوة »<sup>1</sup> وكذلك عند ترجمته للشيخ أبي العلا المديوني (ت735هـ/1335م) نكر بأنه معروف بإجابة الدعوة عند ضريحه. وهناك من الأضرحة من كان يقصده المرضى وذوو العاهات للاستشفاء عنده، مثلما هو الحال عند ضريح سيدي بوسعيد الشريف الملقب بأبي زيتونة<sup>2</sup> لزيتونة نبتت فوق قبره.

<sup>1</sup> ابن سعد: روضة النسرين، المصدر السابق، ص: 180.

<sup>2</sup> ابن سعد: روضة النسرين المصدر السابق، ص: 46.

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 70.

<sup>2</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 72.

وقد صارت العديد من أضرحة الصالحين ملجأ للمجرمين يأوون إليها عند ارتكابهم للجريمة، فكان القائمون على تلك الأضرحة يوفرون لهم الحماية من العقاب ويرون ذلك من الإجارة، ويحذرون الناس من التهاون بها، وهو ما أشار إليه ابن سعد " النجم الثاقب" عند حديثه عن ضريح وزاوية الشيخ الصالح محمد بن عمر الهواري « أنه جرت عادت الله فيمن يتعرض لهم بزاويته، وإضافة الجناة اللاندين بحرمة..... وإخراج من استجار بحرمتها فينتقم الله من فاعل ذلك في الوقت، ويأخذه من الجانب الذي يطمئن إليه، ويظهر عليه أثر غضب الله في نفسه وماله وولده»<sup>1</sup> ومثله ما ذكره المازوني في ديباجة الافتخار عند ترجمته للولي سيدي واضح بقوله: « وظهرت بركته في كشف الملمات لمن استجار به وتعلق بزاويته، ودخل في حرمة»<sup>1</sup> وقد كان رأي الفقهاء أن طردهم من الزاوية أولى ليحاسبوا على جناياهم، لأن حمايتهم من العقوبة والذود عنهم يجرأ غيرهم على ارتكاب الجنایات والهروب من العقاب.

ومنها مسألة السماع والاجتماع له وهو ما يعرف عند أهل التصوف "بالحضرة" وما بصاحب ذلك من رقص وطبول وشطح وتمایل ولبس المرقعات، حيث يزعم المتصوفة أن ذلك يؤدي إلى حالة الجذب التي تعترى المرید، وقد أنكر عليهم الفقهاء ذلك، منهم فقيه بجاية عبد الرحمن الوغليسي (786هـ/1384م) الذي سئل عن اجتماع

<sup>1</sup> ابن سعد: روضة النسرین، المصدر ، ص: 113.

<sup>1</sup> موسى بن عيسى المازوني: المصدر السابق، ص: 633.

الفقهاء للرقص والسماع فأجاب منكرًا لذلك « ما سمعنا أحدا من أهل الإسلام يفعل ذلك»<sup>1</sup> بل إن الشيخ أحمد زروق وهو من أعلام المتصوفة أفتى بفساده خاصة « إذا اقترنت به أمور فاسدة بحضور النساء وسماعهن أصوات الرجال وحضور الآلات..... نه يحرك ما في القلوب، والغالب على النفوس الشر»<sup>2</sup> وممن أنكر ذلك أيضا الشيخ عبد الرحمن الأخضرى في قصيدته المسماة " القدسية" بقوله:

وَالرَّقْصُ وَالصُّرَاخُ وَالتَّصْفِيَّاتُ      ق      عَمَدًا بِذِكْرِ اللَّهِ لَا

يَلِيَّاتُ

وَإِنَّمَا الْمَطْلُوبُ فِي الْأَذْكَارِ

الذِّكْرُ      رُ بِالْخُشُوعِ وَالْوَقَارِ

فَقَدْ رَأَيْتَا فَرْقَةً إِنَّ ذِكْرًا      رَوَا

تَبَدُّعًا      وَأَوْ رَبِّمَاقِدًا كَفَرُوا

وقد أفتى الفقهاء ببدعية ذلك وضلالته، ووصفوا فاعليه بأنهم أشد ضررا على المسلمين من مردة الشياطين<sup>1</sup> وظل الفقهاء يعتبرون أحوال الصوفية لا سيما ما تعلق منها بأعمال

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج:11، ص: 34.

<sup>2</sup> أحمد زروق: عدة المرید الصادق : الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، بيروت: دار ابن حزم، ط:1 2006 م. ص: 264 .

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر ، ج 11 ص: 30.



الحضرة انحرافا عن الدين وشكلت أهم مواطن انتقادهم<sup>1</sup>، فكانوا يرون أن من اعتقد ذلك أنه قربة لله تعالى فهو ضال مضل.

وامتد انتقاد الفقهاء إلى طريقة الذكر الجماعي لفقراء الصوفية : كانوا إذا اجتمعوا في المواسم رفعوا أصواتهم بالأذكار والأدعية وجعلها بينهم متداولة<sup>2</sup> وكانوا يمارسونها في أماكن معينة كالمساجد القديمة وعند أضرحة الأولياء التي كانوا يشدون الرحال إليها، حيث يرى الفقهاء أن ذلك من البدع المحدثه في الدين، وأفتوا بتحريم الصلاة خلف من يمارسون الرقص والغناء والأكل داخل تلك المساجد لأن ذلك لم يفعله أحد من أهل الإسلام<sup>1</sup> وأنه لا يجوز شد الرحال لغير المساجد الثلاثة المذكورة في الحديث الشريف، وقد اعتمد المتصوفة على قول الإمام الغزالي رحمه الله في ردهم هذا الاستنكار بأن حديث الرسول ﷺ إنما ورد في المساجد لأجل الصلاة فيها وليس في معنى المشاهد، لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة، ولا بلد إلا وفيه مسجد معنى للرحلة إلى مسجد آخر<sup>2</sup> فهو أم يمنع زيارة المساجد الأخرى وأما الذكر

<sup>1</sup> بوداود عبید: قراءة في العلاقة بين صوفية وفقهاء المغرب الأوسط ما بين القرنين 7 و8 الهجريين/13-15م. عصور الجديدة، عدد: 1، 2011م. ص: 61.

<sup>2</sup> موسى بن عيسى المازوني: المصدر السابق، ص: 767.

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج: 7، ص: 117.

<sup>2</sup> علي محفوظ: الإبداع في مضار الابتداع، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط: 1، 2001م، ص: 186.



الجماعي له شروط لا بد من مراعاتها، وهو من باب الوعظ والتعاون<sup>1</sup>، وليس في ذلك ما يخالف قواعد الشرع.

ومن القضايا التي أثار استنكارا لدى الفقهاء، قضية المبالغة في الإيمان بالكرامات واغترار فقراء المتصوفة بكل من ظهرت عليه خارقة<sup>2</sup> والكرامة هي شيء معجز يصعب على البشر الإتيان بمثلها لأنها من خوارق العادات، ورغم أن الفقهاء ك أحمد القباب وابن عبد السلام، ومحمد بن قاسم العقباني لم ينكروا ثبوتها جملة وهو المقرر عند المالكية<sup>1</sup> إلا أنهم رأوا ضرورة إخضاعها لضوابط الشرع لأن هناك بعض من دعاوى الكرامة ما هو باطل كتلك التي أوردها الونشريسي في المعيار بأن رجلا ادعى رؤية الملائكة والتكلم معهم، ومعرفة جنس الجنين في بطن الحوامل<sup>2</sup> ومثل ذلك ما روي أن سيدي واضح (ت856هـ/1452م)<sup>3</sup> جاءه بعض البدلاء من أصحابه وطلب منه

<sup>1</sup> أحمد زروق: عدة المرید المصدر السابق، ص: 95.

<sup>2</sup> أحمد زروق: عدة المرید ، ص: 223.

<sup>1</sup> محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الاسلامي من القرن 6 9/12-15م. الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية 1999م. ص: 198.

<sup>2</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج: 2، ص: 388.

<sup>3</sup> أبو البيان واضح: واضح بن عثمان بن محمد بن عيسى بن فركون المغراوي، الفقيه القاضي الأعدل، ترجم له الونشريسي في وفياته وقال : بلدينا وقريننا توفي سنة 856 هـ . ينظر: التمبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص:

مرافقته لبعض إخوانهم في جبل لبنان فذهب معه من مازونة إلى لبنان وعاد من ليلته تلك !!!<sup>1</sup> وهناك من المنكرين للكرامة من قالوا « إذا جاز ظهور الكرامة على بعض الأولياء، جاز ظهورها على الباقين، فإذا كثرت الكرامة حتى خرقت العادة جرت وفقا للعادة، وذلك يقـدح في المعجزة و الكرامة»<sup>2</sup> وحصر الأستاذ أبو إسحاق الاسفرائيني<sup>1</sup> الكرامة في « مثل إجابة الدعوة وموافاة ماء في بادية في ر موضع توقع المياه ومظانها ونحو هذا، وأما جنس ما هو من معجزات الأنبياء فلا»<sup>2</sup> فالكرامة عنده لا تتعدى حدود المقبول والمعقول، لذلك كان الفقهاء ينكرون على المتصوفة ادعائهم لأمر تخرج عن دائرة ما تفهمه العقول، وهو ما دفع بالمتصوفة تحاشي ذكرها حتى إنهم قالوا: « إن لله عبادا لو تكلموا بما استفادوه من

<sup>1</sup> موسى بن عيسى المازوني: المصدر السابق، ص: 611.

<sup>2</sup> يوسف بن إسماعيل النبهاني: كرامات الأولياء، ج: 1 : إبراهيم عطوة عوض، الهند: مركز أهل سنة بركات رضا فوريندر، ط: 2، 2001م. ص: 22.

<sup>1</sup> الاسفرائيني: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الاسفرائيني، الواعظ من حفاظ الحديث والجالين في طلبه، المعروف بصحبة الصالحين من أئمة الصوفية في أقطار الأرض، توفي سنة 372 هـ. ينظر: باقوت الحموي، المصدر السابق، ج: 1، ص: 178.

<sup>2</sup> الوثنريسي: المصدر السابق، ج: 2، ص: 388.

مواهب الله هؤلاء الفقهاء برجمهم<sup>1</sup> « وذلك خشية أن يكذبوا فيما ادعوه من مواهب وأحوال.

بينما يرى الصوفية أن الكرامات هي من اختصاص أهل الصلاح واحتجوا على ذلك بقولهم أن « الذي يدل على جواز كرامات الأولياء: القرآن، والأخبار، والآثار، والمعقول<sup>2</sup> » وساقوا أدلة وشواهد<sup>1</sup> وقد أطنبت كتب المناقب والكرامات في ذكر هذه الخوارق عند تعرضها لكل ترجم تقريباً حتى صارت كأنها ملازمة للفظه ولي نذكر منها على سبيل المثال قول ابن مريم في البستان عند ترجمته لأبي عبد الله الشامي أصلاً التلمساني داراً ومسكناً: « الولي الصالح ذو الكرامات الباهرة والأحوال المرضية<sup>1</sup>، ومثلها ما نقله التتبيكتي في ترجمته للشيخ الحسن أبركان : « وله مكاشفات كثيرة وكرامات<sup>2</sup> » والمتتبع لكتب المناقب والكرامات يصادف الكثير من العبارات والقصص المثبتة للكرامات.

ومن المظاهر التي تثار الفقهاء ضد المتصوفة وأثارت جدلاً بينهما بين منكر لها وبين من اعتبرها من البدع المستحسنة، مسألة الاحتفال بمولد النبي ﷺ، فقد شاع

<sup>1</sup> موسى بن عيسى المازوني: المصدر ، ص: 826.

<sup>2</sup> النبهاني: المصدر نفسه، ج1، ص: 15.

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 70.

<sup>2</sup> التتبيكتي: المصدر السابق، ص: 161.

العهد الزياني الاحتفال بهذه المناسبة على المستوى الرسمي<sup>1</sup> خاصة في عهد السلطان الزياد أبو حمو موسى الثاني الذي كان يول أهمية كبيرة لهذه المناسبة الشريفة<sup>2</sup> التي جعلها عيداً رسمياً من أعياد الدولة، وكان كما ذكر التنسي يدعو لها الأشراف والسوقة<sup>3</sup> ويغلب طابع الالتزام الديني من قراءة للقرآن وتلاوة قصائد في مدح النبي<sup>4</sup> وتفريق الصدقات على الفقراء وغير ذلك من أ البر، لكن هذه الاحتفالات عند أتباع الطرق الصوفية اتخذت بعداً آخر امتزج فيها المقدس بالمدنس وغلب عليها طابع الشعوذة والخروج عن المألوف والمعروف من ضوابط الدين، وتمظهرت في تلك الممارسات الاحتفالية التي كانت غالباً ما تقام في الزوايا أو عند أضرحة الصالحين وهنا نشب الاختلاف بين الفقهاء والمتصوفة حول جواز الاحتفال بهذه المناسبة هل هو مستحسن أم بدعة محدثة في الدين، وحيث أن جل فقهاء المغرب الأوسط كانوا على مذهب الإمام مالك رحمه الله فقد أفتوا بأن الاحتفال بالمولد بدعة وقالوا بمنعه لأنه لم يستحسنه السلف ولم يفعلوه<sup>1</sup>، واعتبروه شيئاً خارجاً عن نطاق الدين وكانوا يرون فيه مضاهاة للنصارى في عيد ميلاد المسيح عليه السلام، ناهيك عما يصحب ذلك -

<sup>1</sup> Georges Marcais: Tlemcenvielle et Dhistoire, Paris: edition laurens collection 1950, P83-85.

<sup>2</sup> عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص: 278.

<sup>3</sup> التنسي: المصدر السابق، ص: 162.

<sup>4</sup> التنسي المصدر نفسه، ص: 163.

<sup>1</sup> علي محفوظ: المرجع السابق، ص: 231.



وبخاصة في مجالس الصوفية - من محرمات كالمعازف واختلاط الرجال بالنساء، وقد كان الغرض من معارضة الفقهاء لمثل هذه الاحتفالات هو رد الناس إلى قواعد وأسس الدين الاسلامي، وضبط أخلاق وسلوكيات المجتمع.

وفي مقابل هذا الإنكار من طرف الفقهاء، نجد من رجال التصوف من أجاز الاحتفال بمولد النبي ﷺ مثل الخطيب ابن مرزوق الذي ألف في فضل ليلة المولد وليلة القدر كتابا سماه "جنا الجنتين في فضل الليلتين" مؤثرا ليلة مولده ﷺ

القدر<sup>1</sup> لكن رأيه في هذا الاحتفال أن يكون مقيدا بما لا يخرج عن حدود الشرع، فقد نقل التتبيكتي عنه أنه قال: « والأظهر عندي ما قاله بعض المغاربة استعمال الصلاة ﷺ في هذه الليلة وإحياء سنته ومعونة آله وتعظيم حرمهم وفعل أنواع البر مما سواها مما أحدث، إذ لا يخلو من مزاحم في النية أو مفسد للعمل أو دخول شهرة وطريق الحق والسلامة معروف فالأفضل تكثير الصلاة عليه ﷺ<sup>1</sup> ولا يرى المتصوفة الحكم بعدم جواز الاحتفال بالمولد بدعوى أنه تشبه بأهل الكفر ومقارن ذلك بالنيروز والمهرجان<sup>2</sup> بل يعدونه من البدع المستحسنة المشروعة في الدين.

## 2-3 الاختلاف في المنهج والسلوك :

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص: 280.

<sup>1</sup> التتبيكتي: المصدر السابق، ص: 296.

<sup>2</sup> أحمد بن عمار: نحلة اللبيب، بأخبار الرحلة إلى الحبيب. الجزائر: مطبعة فونتانا 1903م. ص: 99.



من بين النقاط التي يختلف فيها المتصوفة عن الفقهاء الممارسة  
الفقهية بذوق صوف في جميع أحوالهم، ولم يشتغلوا بالفقه كما هو معروف عند  
الفقهاء، حيث يقوم فقه المتصوفة الأدب مع الله ومع الخلق<sup>1</sup> لأنهم يرون أن الفقه  
أعمق مما يراه غيرهم، فقد كان أول ما اشتغل المسلمون به في بادئ الأمر مسائل  
الشريعة أي الأحكام العملية (الفقه)، حتى أن الكثير من المسلمين اعتقدوا أن ذلك هو  
غاية الدين (من بينهم الفقهاء) ن هناك طرف آخر من المسلمين بدأوا ينظرون إلى  
غاية أخرى من الدين غير الغاية الأولى التي هي استنباط أحكام الشريعة (الفقه)، فقد  
كانوا ينظرون في البحث في المعاني الباطنة لتلك الأحكام أي إلى حقيقتها (علم  
الحقيقة) وهؤلاء هم المتصوفة، ولما انطلقوا في فهم الدين بهذا المنهج الجديد بدأ  
الفريق الأول (الفقهاء) يحذرون منهم، بل أعلنوا في أحيان كثيرة عدائهم لهم لأن  
الهوة قد اتسعت بينهم وبدأ بينهم اختلاف كبير في مفاهيم الدين، وفي الأحكام  
الشرعية وكيف يجب أن تستنبط وتعلل، وماهية العبادة وكيف يجب أن تؤدي<sup>1</sup>  
وغيرها من المسائل التي يراها كل طرف بوجهة نظره الخاصة.

<sup>1</sup> محمد حلمي عبد الوهاب: ولاية وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، تقديم: رضوان السيد،  
بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط: 1 2009 م. ص: 321.

<sup>1</sup> أبو العلاء عفيفي: التصوف، الثورة الروحية في الإسلام، بيروت: دار الشعب للطباعة والنشر، (د، س، ن) ص،  
ص: 104 105.

وفي هذا المعنى يقول رويم البغدادي<sup>1</sup>: « فعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من فعودك مع الصوفية، فإن كل الخلق فعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق، وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظاهر الشرع، وطالب هؤلاء أنفسهم بحقيقة الورع، ومداومة الصدق»<sup>2</sup> لأن الفقهاء يولون أهمية إلى فهم ظاهر الشرع ويستمدون مسأله من النصوص القرآن والحديث والأدلة الحسية، ولا مجال عندهم للروحانيات، وكانت لغتهم قريبة من الواقع الذين يعيشه الناس، فكانوا يهتمون بما يطرأ عليهم من قضايا تحتاج إلى فتاوى وتخريجات وتأويلات وأقيسة<sup>3</sup> لفهم الشرع كان المتصوفة يحرصون على تفحصه وتأويله واستنباطه<sup>1</sup> يستخدمون لغة روحانية لا يفهمونها إلا هم، لذلك كان اختصاص الفقهاء بالفتوى والأحكام العامة في العبادات والمعاملات (علم الظاهر)، بينما اختص المتصوفة بالمجاهدة ومحاسبة النفس (علم الباطن).

وقد وجد في الإسلام ثنائية يمثلها أهل الظاهر ويسمون بالفقهاء المشتغلون بالرسوم والفتيا وعلوم الشريعة، ويقابلهم أهل الباطن وهم أهل النسك والتعب، الذين اقتصرتهم همتهم على أرواح المعارف وأعمال القلوب، وفيما كان الفقهاء يمثلون في

<sup>1</sup> أبو محمد رويم بن أحمد البغدادي: كان مقرناً وفقهياً على مذهب داوود الظاهري، يعد من أجلة المشايخ، توفي سنة 303 هـ. ينظر: القشيري، المصدر السابق، ص: 85.

<sup>2</sup> القشيري: المصدر السابق، ص: 85.

<sup>3</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 1، ص: 492.

<sup>1</sup> محمد حلمي عبد الوهاب: المرجع السابق، ص: 318.

الغالب المرجعية الدينية للسلطة الحاكمة، ظهر نوع من التعبد عن طريق الوجدان والتعاليم الروحية، وتجسد في الصلاح والكرامة<sup>1</sup> التي سيطرت على قلوب الكثير من أوساط العامة.

إن الطريق إلى المعرفة عند الصوفي تتمثل في الكشف والذوق والعرفان التي تدعى «ن طريق» النفث في روعه من نحو العطاء الرباني اللدني اللامتناهي<sup>2</sup> وهو الشيء الذي تحرص كتب المناقب والكرامات على إثباته، كتلك القصة التي رواها ابن مريم في البستان عن الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهان المعروف بابن المرأة، الذي حدث أنه زار تلمسان ولقي بها الشيخ الولي أبا عبد الله الشوزي المعروف بالحلوي : «قرأت عليه بسم الله الرحمن الرحيم فتكلم في فضلها عشرة أيام، ثم قرأت عليه حديث رسول الله ﷺ، ثم شيئاً من الأدب..... فكل ما تسمعونه من أدب مني فمنه استفدته وعنه أخذته»<sup>1</sup> إلى أن الشيخ الشوزي كان يتكلم بفتوحات حصلت له لا عن طريق الكسب بل عن طريق المنح الإلهي، وهو الوصف الذي وصف به التتبيكتي الإمام محمد بن يوسف السنوسي بقوله: «فهو في علوم الباطن قطب رجاها وشمس ضحاها، وقد غاب بكلامه فيها

<sup>1</sup> محمد حلمي عبد الوهاب: المرجع السابق، ص: 305.

<sup>2</sup> محمد حلمي عبد الوهاب: المرجع نفسه، ص: 320.

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 29.

في غيب الله تعالى واطلع على معادن أسرارهِ وطلع أنوارهِ<sup>1</sup> وهي إشارات نجدها ترافق أوصاف المتصوفة غالباً.

## 2-4 المناظرات و التشغيب في حضرة السلاطين:

كثيراً ما كان يقع بين الفقهاء والمتصوفة التحاسد بدافع الظهور على بعضهم البعض أمام السلطان، فكان يعمد أحدهم إلى الانتقاص من قدر صاحبه في المجال العلمي، وإظهاره بمظهر القاصر في علم من العلوم، ليحط من قيمته في ذلك المجلس العلمي الذي كان يحضره أكابر العلماء وخواص السلطان، وذلك من خلال طرح أو طلب تفسير آيات من القرآن الكريم وغيرها من القضايا والغرض من ذلك كله تعجيز الخصم أمام الملأ، وبالتالي فضحه والنيل منه وإخراجه من ذلك المجلس منهزماً فتسقط قيمته العلمية في نظر الناس، و ما يمكننا ذكره في هذا المقام ما وقع للشيخ محمد بن العباس (ت 871هـ/1467م) الصالح البركة الذي أراد فقهاء تلمسان فضحه أمام السلطان، فقد روي أن فقهاء تلمسان توافقوا على قراءة التفسير بحضرة السلطان وطلبوا من سيدي محمد بن العباس التقدم لتفسير بعض الآيات، فطالع ليحضر ما جاء في تفسير التعوذ والبسلة والفاتحة تحضيراً لقراءتها بين يدي السلطان، فلما حضر السلطان واجتمع الفقهاء أوعزوا للقارئ أن يفتح

<sup>1</sup> التتبعي: المصدر السابق، ص: 565.



"إنا فتحنا لك فتحا مبينا" خلافا لما طالعه الشيخ ابن العباس فقد أراد الفقهاء أن يفضحوه لأن القراءة كانت بين يدي السلطان<sup>1</sup> فتفاجأ لذلك وأغلق عليه تفسيرها، لولا أن فتح عليه تلميذه ابن زكري بتفسيرها ففسرها الشيخ ابن العباس لهم من وقت الضحى إلى غاية الزوال.

كما كان يقع بين الطرفين مناظرات ومساجلات كثيرة من فنون العلم التي حاول من خلالها كل طرف التفوق على خصمه ليثبت قصوره في أحدها ويسجل تفوقه عليه فيها، ومن بين تلك المناظرات التي يمكن أن نسجلها هنا تلك المناظرة التي وقعت بمازونة بين الولي الشيخ سيدي يعقوب (عاش خلال القرن الثامن الهجري) وفقهه قدم « من بلاد المصامدة في عدة فنون فوجده ثبتا في كل ما ناظره فيه، فلما أعياه أمره أخذ معه في طرق الحديث، فتبسم وقال: يافقيه الآن بلغت فني وبضاعتي<sup>1</sup> فتعجب منه الفقيه المصمودي وسلم له بالأمر.

وكان بعض المتصوفة أو على الأقل فقراؤهم يعتقدون بأن الكثير من الفقهاء وضعوا أنفسهم في خدمة السلاطين لنيل المناصب والحصول على المنافع مقابل تلك الخدمة، لذلك فإنهم « يحشرون في زمرة السلاطين<sup>2</sup> فكان المتصوفة يرون أن النجاة تتمثل في السير في طريق التصوف لأنه أبعد عن مخالطة أهل الدنيا، ودعوا

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 40.

<sup>1</sup> موسى بن عيسى المازوني: المصدر السابق، ص: 793.

<sup>2</sup> محمد القبلي: رمز الإحياء وقضية الحكم في المغرب الوسيط. د. س. ط. ص: 46.



إلى نبذ حياة الترف والبذخ التي كان يعيشها الناس، وقد أثر عن الشيخ محمد بن عمر الهواري قوله « مدخل لمحمد الهواري في أمر الملوك»<sup>1</sup>، وبالمقابل فإننا نجد بعض الفقهاء من كان يتهم المتصوفة بالتظاهر بتلك الأحوال من زهد وتكشف للحصول على أكبر عدد من الأتباع، وبالتالي نيل الشهرة وكسب المال عن طريق الاحتيال، فكان الفقهاء يعمدون إلى إغراء السلاطين بامتحان أمرهم واكتشاف حقيقتهم، من ذلك ما وقع مع الشيخ سيدي واضح حيث بعث إليه أحد سلاطين بني عبد الواد بفقهاء ليعلما حقيقة أمره « فلما عاينا من أمره ما هالهما وعلما حقيقة أمره استحقرا ما كانا فيه من زخرف الدنيا»<sup>1</sup> وندما على ما بدر منهم بعد أن عرفا الحق.

ولما اختلف الفقهاء مع الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي في قضية يهود توات بين مؤيد لرأيه ومعارض له كما ذكرنا سابقا، دعاه ذلك إلى المناظرة لإثبات رجحان رأيه وقوة دليله، فرحل إلى فقهاء فاس ومعه بعض عبدانه الذين كانوا يحفظون مدونة البرادعي عن ظهر قلب، فلما جلس عنده فقهاء فاس طلب من أحد عبيده أن يتكلم معهم في نازلة يهود توات، فأنف الفقهاء من الكلام مع المملوك وأغاضهم ذلك فرجعوا إلى السلطان ليوغروا صدره ضد الامام المغيلي بقولهم: « إن

<sup>1</sup> محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران : المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر: ط: 1 2013م. ص: 67.

<sup>1</sup> موسى بن عيسى المازوني: ديباجة الاقتدار، المصدر السابق، ص: 633.

هذا الرجل إنما مراده الظهور والملك وليس مراده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>1</sup> وقد كان دافعهم من وراء ذلك هو الخوف من منافسته لهم وظهوره عليهم في المناظرة.

وفي الأخير يمكننا القول أنه قد جمعت بين الفقهاء بعضهم ببعض علاقات تراوحت بين الود والاختلاف، فظهرت علاقة الود في المجال الثقافي كالاكتشاف بالتقدم في العلم والمناظرات التي كانت تجمع بينهم في المجالس العلمية من خلال التعرض للعديد من القضايا الفقهية، أو تلك التي كانت تعقد برعاية سلاطين بني عبد الواد، بمقاييس علمية محددة، وتتم على أعلى المستويات متناولة مواضيع مختلفة، وبدرجة أولى علم الفقه.

وأما علاقة اختلافهم مع بعضهم فقد تمثلت في بعض القضايا، كالذم والتحاسد والتباغض، والردود المخالفة في ظل الصراع الفكري الذي عرفه المغرب الأوسط الفترة موضوع الدراسة، وفي المجال الاجتماعي فقد جمعت الفقهاء ببعضهم علاقات اجتماعية مميزة تمثلت في الود والمحبة والعطف على بعضهم والصحبة والمصاهرة.

أما عن علاقة المتصوفة بالفقهاء فقد تراوحت هي الأخرى بين التوا والاختلاف، حيث تمثل التواصل في الجانب الثقافي كالأجازات التي كان يمنحها بعضهم

<sup>1</sup> الشفشاوني: المصدر السابق، ص: 131.

لبعض، والتلمذة على بعضهم والتدريس في كلا المجالين الفقهي والصوفي مما حال دون نشوب خلاف بينهما إضافة إلى وجود مراسلات بينهم لأخذ آراء بعضهم وتبادل المعلومات وغيرها، وفي المجال الاجتماعي نجد تلك العلاقة التي ربطت الفقهاء بالمتصوفة كالشفاعة لبعضهم عند السلطان، وتقديم وتوقيع بعضهم لبعض أمام الناس.

كما وجدت علاقة اختلاف ونفور بينهما تمثلت في الفتاوى والردود المعارضة لها، وتصدي زعماء كل فريق للدفاع عن آرائهم من خلال بعض المؤلفات التي عرفت في تلك الفترة، ومن مظاهر الاختلاف التي برزت أيضا إنكار الفقهاء لبعض الممارسات الصوفية كالتيبرك بأضرحة الصالحين، والدعاء عندها بنية الاستجابة، وإقامة بعض الطقوس المعروفة لديهم كالحضرة التي يصاحبها الرقص والتصفيق، إضافة إلى المبالغة في الاعتقاد في كل من ظهرت عليه أمور خارقة، واتخاذها وليا وتصديقه فيما يقوله، ومنها المناظرات التي كانت تقع بينهما في العديد من فنون العلم، وكان الغرض منها إظهار الخصم بمظهر العاجز والقاصر، وبالتالي فضحه أمام الناس والنيل منه.

# الفصل الثالث

## نتائج علاقة الفقهاء بالمتصوفة على الصعيد الاجتماعي

أولاً:

:

1- تقارب الفقهاء والمتصوفة وانعكاساته على المجتمع.

2- العلاج الروحي كبديل للطب العلمي.

3- قيام الولي برد المظالم وكف العدوان.

4- نور المتصوفة في التكافل الاجتماعي وحل الـ

5- نور الزوايا في المجتمع واتساع العمران.

5-1- الدور الاجتماعي.

أ- تأمين حركة التنقل.

ب- مهمة الإيواء.

ج- الرفد

5-2- اتساع العمران.

:

:



1- انحراف سلوكيات ال صوف .

2- طغيان الفكر الكرامي وتقديس شخصية الولي.

3- انقسام المجتمع بين أتباع الفقهاء وأتباع الصوفية.

4- تغير نظرة المجتمع للفقهاء.

5- غلبة الطابع الصوفي على المجتمع.

سوف نتعرض في الفصل الأخير من هذه الدراسة إلى الآثار التي

الفقهاء بالمتصوفة الفترة مابين القرنين الثامن والعاشر الهجريين أثناء الحكم الزياني لبلاد المغرب الأوسط، وهذه الآثار تقتصر على الجانب الاجتماعي دون غيره من الجوانب الأخرى، وعليه يمكننا القول أنه إذا أمعنا النظر في مجتمعنا الذي نعيشه اليوم فإننا نجد الكثير من العادات المترسخة في حياتنا اليومية سواءً كأفراد أو كمجتمع يعود معظمها إلى تقاليد وموروثات صوفية كانت خلال العصر الوسيط، كالاحتفالات بالأعياد الدينية مثل مواسم المولد النبوي الشريف، والختان والأفراح الأسرية، ومآتم الأموات والتداوي لدى الصلحاء..... وما يصاحبها من طقوس مطبوعة بطابع صوفي، رغم كثرة الإنكار لها من طرف الفقهاء إلا أنها استمرت وبقيت معمولاً بها حتى اليوم وفي هذا السياق يمكن أن نقسم تلك الآثار إلى قسمين رئيسيين :

## أولاً: الآثار الإيجابية :

يجب أن نشير في بداية هذا الفصل إلى أن التصوف في بداية ظهوره بالمغرب الأوسط كان مقتصرًا على طبقة معينة من العلماء، أي أنه كان تصوفًا نظريًا يتم تداوله بين النخبة العالمية، حيث كانت المناقشات الفكرية تدور بين العلماء والفقهاء، ويدرس لطبقة معينة من الطلبة، ولم يكن حينها قد تسرب إلى شرائح المجتمع بل ظل الخوض فيه حكرًا على الطبقة المثقفة.

### 1 - تقارب الفقهاء والمتصوفة و انعكاساته على المجتمع :

يبدو أن الكثير من عباد وصلحاء المغرب الأوسط قد جمعوا بين التصوف والفقهاء ، حيث نجد الكثير من أعلام التصوف البارزين هم في الوقت نفسه من علماء المذهب المالكي، لذلك لا يتصور أن يقع بينهم صراع حاد يخرج عن حدود الصراع الفكري كما حدث في المشرق<sup>1</sup> لأن « البيئة السنية العملية بالمغرب استطاعت أن تطبع تصوفها بطابعها الخاص وأن يسير التصوف بذلك جنبًا إلى جنب مع المذهب المالكي، بعيدًا عن الغلو في الفكر والتطرف في السلوك»<sup>2</sup> وينطبق هذا الحكم على فترة

<sup>1</sup> محمد البيلي: الزهاد والمتصوفة بلاد المغرب والأندلس، حتى القرن الخامس الهجري، القاهرة: دار النهضة العربية 1993م. ص: 101.

<sup>2</sup> إبراهيم حركات: الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، تنسيق: نفيسة الذهبي، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط: 1 1997م. ص: 275.

النصف الأول من القرن الثامن للهجرة، ولعل مرد ذلك إلى جملة من الأسباب يمكن أن نذكرها، :

- الدور الذي لعبه حكام الدولة الزيانية المتمثل في حبهم للعلم والعلماء وتقديرهم هل الصلاح ومحاولة التقرب منهم لنيل بركاتهم، كما قاموا بتقريب فئة الفقهاء عن طريق تبنيهم للمذهب المالكي كمذهب رسمي للدولة، وتعيين العديد منهم في وظائف الدولة المختلفة، بمعنى أنها لم تؤيد الفقهاء مطلقاً رغم أنها كانت تعتمد عليهم في إسناد معظم الخطط والوظائف كما أنها لم تقم بمضايقه رجال التصوف باعتبارهم يشكلون قاعدة شعبية واسعة<sup>1</sup> وقد أدى هذا التقريب بين الفئتين إلى الإنسجام بينهما وصارت لديهم قناعة بأن كلا العلمين — علم الظاهر وعلم الباطن — يتم أحدهما الآخر، وهذا التقارب ولد لدى الفئتين رغبة في معرفة أفكار ، أذاب العديد من الحواجز المانعة بينهما.

- الدخول المتأخر للتصوف إلى المغرب الأوسط<sup>2</sup> أدى إلى قبوله في أوساط الفقهاء المغاربة، حيث كان الناس قد سمعوا به في المشرق وقرعوا عنه قبل بلوغه إليهم، فكانوا على استعداد مسبق لتقبله، لذلك تلقوه بالترحيب وعدم المعارضة.

<sup>1</sup> بونابي: التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص: 116.

<sup>2</sup> عبيد بوداود: قراءة في العلاقة، المرجع السابق، ص: 58.

إن ما يهمننا من هذا التقارب بين التيارين هو انعكاساته على مجتمع المغرب الأوسط، حيث يمكن القول أن تيار التصوف في المغرب الأوسط اعتمد على مرجعية<sup>1</sup> تدعو إلى التوفيق بين الشريعة والحقيقة وهذا ما يفسر لنا كثرة إشادة كتب المناقب بالعلماء وتأكيد صلاحهم واندماجهم في تيار التصوف<sup>2</sup> دون وقوع المتصوفة في أمور الشعوذة والخرافة وانتشارها في أوساط المجتمع وبالتالي فساده وضياع قيمه.

إن الأزمات الاجتماعية التي كان يمر بها المجتمع الزياني دفع بالسلطة إلى إيجاد حل ، وقد تمثلت بعض تلك الحلول في تبنيها للتيار الصوفي<sup>3</sup> وإحاطة المجال له لأداء دوره في المجتمع، وبذلك غدا هو التيار الأكثر هيمنة على الحياة العامة والأقرب إلى أوساط العامة ، فبعد أن كان التصوف يمتاز بأنه تصوف نظري صار متغلغلا في أوساط العامة من الناس وانتشر في البلاد، وساهم في حل العديد من المشاكل الاجتماعية. « استفاد مجتمع تلمسان من رجال التصوف في أمور متعددة منها إعانة المحتاجين ومد يد العون للفقراء والمعوزين، فكثيرا ما كان المتصوفة

<sup>1</sup> من بين الكتب التي كان أهل المغرب الأوسط يعتمدون عليها في دراسة مواضيع التصوف، كتاب " إحياء علوم الدين " للغزالي، و "الرسالة القشيرية " لعبد الكريم القشيري، وكتاب " الرعاية لحقوق الله " لحوارث المحاسبي، وغيرها... حيث كانت تهدف إلى التوفيق بين علم التصوف وعلم الفقه. بنظر: بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع ، ص: 116.

<sup>2</sup> محمد فتحة: المرجع السابق، ص: 203.

<sup>3</sup> تمثل هذا التبني للتيار الصوفي من قبل السلطة الزيانية في التقرب من رجاله والإكثار من زيارتهم وتلبية حاجاتهم، والاهتمام بسيرهم ومناقبتهم مثلما نجده مع السلطان الزياني المتوكل على الله (ت 890) الذي كان أمر ابن سعد التلمساني بتأليف كتاب يجمع مناقبتهم فألف ذلك كتاب " النجم الثاقب ". بنظر: ابن سعد: روضة النسرين المصدر السابق، ص: 214.



يتصدقون بمالهم لصالح الفقراء، لعب المتصوفة دورا بارزا في تخفيف المشاكل بين الناس عن طريق حلها بممارسة دور الوعي والإرشاد بين الناس، وعملوا على تدا المجتمع من بعض الشوائب مثل اللصومية وشجعوا على التعليم، بدليل أن كثيرا منهم علماء وفقهاء، وشجعوا على العمل من خلال امتهانهم أعمالا ليكسبوا بها قوتهم<sup>1</sup> فشكّلوا بذلك مثالا لأتباعهم من الـ ، وأدوا أدوارا هامة على الصعيد الاجتماعي بسبب الهيمنة الروحية التي كانوا يتمتعون بها داخل مختلف شرائح المجتمع رغم أنهم لم يتولوا أي مناصب أو وظائف لدى السلطة.

## 2- العلاج الروحي لطب العلمي :

أدى انتشار التصوف في أوساط العامة إلى رواج بعض الاعتقادات التي لم تكن سائدة لديهم من قبل، وكان من بينها التداوي من بعض الأمراض التي تستعصي في كثير من الأحيان على الأطباء، فكان الناس يلجؤون إلى الأولياء ومن يتوسمون فيهم الخير والصلاح يلتمسون لديهم البركة وإجابة الدعاء والشفاء من الأسقام، فقد كانت هناك فكرة راسخة لدى الناس حول قدرة المتصوفة على شفاء المرضى لذلك كانوا يقصدونهم لمداواة مرضاهم<sup>2</sup> وقد أثر عن أ العلاء المديوني(ت735ه/1334م) أنه كان من

<sup>1</sup> بسام كامل عبد الرزاق شقدان: للمسان في العهد الزياني، رسالة ماجستير، تحت إشراف: هشام أبو رميلة، من جامعة النجاح الوطنية بفلسطين 2002م. ص: 169.

<sup>2</sup> حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مصر: مكتبة الخانجي، ط: 1980م. ص: 478.



المشتهرين بالكشف والرقى لعلاج جميع الأمراض لأولي العاهات<sup>1</sup> فكان كل من ألم به مرض أو عاهة يقصده للعلاج، ما أن المتصوفة أدوا أدوارا بالغة الأهمية في المجتمع من بينها تقديم الخدمات الصحية في أوقات الأزمات التي كانت تعصف بالمجتمع الأوبئة التي كانت تجتاح المغرب الأوسط وتسببت في هلاك الكثير من أفرادهم وبنجم عنها انتشار الأمراض في المجتمع، ووقوف الأطباء عاجزين أمام الكثير منها، مما دفع بالناس للجوء إلى المتصوفة لتلقي العلاج على أيديهم، وقد أشار بروفنصال إلى ظاهرة اعتقاد المجتمع التلمساني في الولي؛ إلى درجة أنها صارت من مميزات<sup>2</sup> وقد تعددت أساليب هذا العلاج منها على سبيل المثال التداوي بالرقية القائمة على الأدعية وقراءة بعض السور والآيات القرآنية، « كانت المرأة التي لا تلد يرقى لها في ماء المطر، بعد أن يوضع في إناء جديد وتقرأ عليه الفاتحة وآية الكرسي، وقل هو الله أحد والمعوذتين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات، وتشربه سبع ليالي متتالية<sup>3</sup> » فكانت تلك الطريقة للعلاج من العقم.

ونظرا لقلّة الأطباء خاصة في الأرياف والمناطق المعزولة فإن المتصوفة كانوا يؤدون دور الطبيب المعالج للأمراض عن طريق العديد من الأساليب، فالرقية كانت

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 70.

<sup>2</sup> Levi provençal :Religion culte des saints et confréries dans le nord marocain, bulletin de l'enseignement public, librairie Email la rousse. 1926. P2.

<sup>3</sup> مزدور سمية: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط رسالة ماجستير، إشراف: محمد الأمين بلغيث، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2009/2008م. ص: 176.

شائعة في أوساط المجتمع خاصة لدى المرضى الزمنى أو المصابين بالمس والعين والصرع وغيرها من الأمراض التي استعصى علاجها على الأطباء فكان أصحابها ورون إلى المتصوفة للمداواة عندهم، فكان أهل بني منجلات من أحواز بجاية برقون عند الولي علي بن موسى ( القرن 9هـ) الذي ذكر أنه رقى لأحد معاصريه وهو الشيخ يحي العبدلي عكازا، فصار هذا الأخير يرقى به الناس وتظهر آثار الشفاء عليهم<sup>1</sup> أنهم كانوا يتفلون في الموضع المصاب من الجسد ويتلون بعض الآيات القرآنية فيتم تماثل المريض للشفاء، حيث كان النقل من الطرق العلاجية التي كان المتصوفة يستخدمونها<sup>2</sup> لذلك كان الناس يعتقدون البركة في ريق الأولياء.

غير أن بعض الباحثين<sup>3</sup> يرى أن الكرامة هي التي سعت إلى تشويه الطب الدنيوي وصورته عاجزا عن شفاء المرضى، مما دفع بالكثير من أفراد المجتمع إلى اللجوء للمداواة لدى أصحابها من الأولياء وكانوا يشفون بسرعة وبدون مقابل مادي ماعدا "الفتوح"<sup>4</sup> هذا بالإضافة إلى أن الاعتقاد الذي يغلب على المجتمع أن أسباب المرض في عمومها ناتجة إما عن العين والحسد أو الجان فكانوا يلجؤون إلى

<sup>1</sup> مزدور سمية: المرجع نفسه، ص: 176.

<sup>2</sup> مزدور سمية: المرجع السابق، ص: 176.

<sup>3</sup> ابراهيم القادري بوتشيش: الإسلام السري في المغرب العربي، القاهرة: سينا للنشر، ط: 1 1995 م. ص: 146.

<sup>4</sup> بوتشيش: المرجع نفسه، ص: 146.

زيارة أضرحة الأولياء الذين اشتهروا في البلاد بشفاء المرضى وتقريب الصدقات والهدايا والإكثار من الأدعية<sup>1</sup> للحصول على بركة الولي التي تعد سببا قويا .

وساعد على ذلك أمر آخر هو حالة الفقر والعوز التي كان المغرب الأوسط يعاني منها في أوقات الأزمات كالجوع والمرض، فقد كان الذهاب إلى طبيب صاحب حرفة يكلفهم مالا هم في أشد الحاجة إليه، بينما حضورهم عند المرابط لا يكلفهم سوى هدية بسيطة يرفضها هذا الأخير تورعا ولا يقبلها إلا بعد إلحاح أهل المريض، مقابل الطلاسم التي يكتبها لهم للوقاية من شر العين والعمالقة، لذلك يتهافت العامة عليه خاصة النساء لطلب الإنجاب<sup>2</sup> تجنباً للطلاق، أو لمداواة أطفالهن من عاهة أو برص وغيره... لقد ساهم المتصوفة ( بغض النظر عن الجانب العقدي ) بنصيب كبير في التخفيف عن المجتمع مما كان يعانيه أوقات الشدائد التي كانت تلجئ العامة إليهم أحياءً والدعاء عند قبورهم أمواتاً.

<sup>1</sup> بوحجرة عثمان: الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م. رسالة ماجستير بإشراف: نادة محمد، قسم التاريخ والآثار، جامعة أحمد بن بله 1، وهران. 2014-2015م، ص: 92.

<sup>2</sup> بعارسية: حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي. مذكرة ماجستير، التاريخ الحديث، بإشراف: عمار بن خروف، قسم التاريخ جامعة الجزائر، 2005/2006م. ص: 80.

يظهر من هذا أن دور المتصوفة تجسد من خلال الممارسة العملية داخل المجتمع، لأن منهجهم يحتم عليهم أن يكونوا « أطباء نفسانيين يعملون على شفاء بلايا الآخرين »<sup>1</sup> فدورهم كفاعل اجتماعي يكون عن طريق التعامل مع الناس والصبر على إذابتهم وليس باعتزالهم وقد ساهم الحضور الصوفي في المجتمع في تخفيف حدة ما كان يعانيه الناس من هموم بفضل اختيار المتصوفة « موقع الجمهور لنشر مبادئهم.... فالتجرد لله لا يعني اعتزال الخلق »<sup>2</sup> وهي طريقة عملية لازدياد كثرة أتباعهم وتوسيع نطاق قاعدتهم.

### 3- قيام شخصية الولي رد المظالم وكف العدوان:

كان لانتشار اللصوصية وقطاع الطرق الذين ينشرون الرعب والفرع البوادي والأرياف أثر سيئ على حركة تنقل الأشخاص والأموال في مجتمع المغرب الأوسط فقد أشار الونشريسي إلى أن عرب الديلم ورياح وسويد وبني عامر بالمغرب الأوسط قاموا سنة (796هـ/1394م) بقطع الطريق على بعض القوافل ونهبوا ما كانت تحمله من متاع، وقتلوا رجالها وسبوا نساءهم، ولم تستطع السلطة أن توقف اعتداءاتهم فقامت بموادعتهم ومداراتهم بالأعطيات والأنعام<sup>3</sup> و زاد الأمر سوءًا هو الغياب الشدي كلي للسلطة السياسية التي من دورها توفر الـ للرعية، فقد كانت الدولة في

<sup>1</sup> محمد حلمي عبد الوهاب: المرجع السابق، ص: 323.

<sup>2</sup> محمد حلمي عبد الوهاب: المرجع نفسه: ص: 324.

<sup>3</sup> الونشريسي: المصدر السابق: ج: 6، ص: 153.



آخر عمرها تعاني من هجمات النصارى على سواحل بلادها، بالإضافة إلى تنافس أمرائها على تولي الحكم الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى التخلي عن شؤون الرعية وإهمال أمرها والاكتفاء بتدبير المؤامرات والاعتيالات للحفاظ على العرش، هذا الوضع دفع بالناس إلى البحث عن بديل شرعي يوفر لهم الأمن ويرد المظالم ويكف عنهم العدوان لم يجدوا أحسن من يمثل هذا الدور من شخصية الولي الذي كان يحضى باحترام الناس بإجماع، وذلك لأنه كان يفعل ما تمليه عليه طبيعة تكوينه الروحي، ويساعده على أداء مهمته فعله الكرامي الذي كانت تتناقل أخباره العامة تون إلى التقرب منه وامتثال أمره رغبا ورهبا، فنجدهم يلجؤون إلى المتصوفة عند تعرضهم لظلم الحاكم، أو لطلب الدعاء والبركة، أو وضع حد لموقف بائس<sup>1</sup> وتفريج الكروب وغيرها من المصالح...

حرص المتصوفة على نشر الأمن في مناطقهم ورد المظالم إلى أهلها ومنع العدوان، وقد تكررت النماذج التي كانت تؤدي ذلك الدور في العديد من المواضع في كتب المناقب، فهذا الشيخ محمد بن عمر الهواري (ت843هـ/1440م) حينما أخذ بعض الأعراب الطغاة مالا لأحد أصحابه ولم يجد من يدفع عنه ظلمهم، تدخل الشيخ الهواري لرده إليه<sup>2</sup> وقد اشتهر الكثير من المتصوفة بمحاربتهم للظلم وكف العدوان مثل ما جاء

<sup>1</sup> ألفرد : المرجع السابق، ص: 391.

<sup>2</sup> محمد بن يوسف الزياتي: المصدر السابق، ص: 59.



في وصف الزياتي للشيخ محمد بن بيقى ( القرن9هـ) قوله: « فامع أهل الظلال  
واللصوص<sup>1</sup> » وهو وصف يدل على انتشار آفة اللصوصية في المجتمع الزياتي، كما  
يشير إلى تصدي المتصوفة لها ومثل ذلك ما أشار إليه الحسن الوزان بوجود عدد من  
الجبال في شرق الجزائر التي سكنها قبائل متحاربة فيما بينها، لدرجة أن أحدا لا  
يستطيع المرور بأراضيها ما لم يكن مصحوبا بأحد الأولياء<sup>2</sup> و في نص آخر يذكر  
صاحب دوحة الناشر أن عروج التركي لما دخل تلمسان (923هـ/1517م) وقتل  
الكثير من المعارضين له وسبى منهم خاف منه أهل تلمسان و لجئوا إلى الشيخ ابن  
ملوكة<sup>3</sup> الذي دعا على عروج بالموت فصادف أن قتل بعدها .

و هنا لا بد من الإشارة إلى حضور الفعل الكرامي في كثير من الأحيان لوضع  
حد للأفات الاجتماعية التي كان الناس يشتكون منها ولا يستطيعون لها ردا، فكانت  
الكرامة تتدخل لوضع حد لها بطرق مختلفة منها أسلوب المكاشفة الذي كان المتصوفة  
يعتمدون طلاع على ما يخفيه الناس من أسرار بهدف تربيتهم وإصلاحهم  
تبعث على تصحيح النفوس وتطهيرها من الوسواس وتقوي الرغبة في التوبة<sup>4</sup> فقد نقل  
عن الشيخ الولي محمد بن عمر الهواري (ت843هـ/1440م) أنه كان « إذا جلس في

<sup>1</sup> محمد بن يوسف الزياتي: المصدر ، ص: 68.

<sup>2</sup> الحسن الوزان: المصدر السابق، ج: 2، ص: 46.

<sup>3</sup> بنظر ترجمة الشيخ بن ملوكة وخبر القصة كاملة في دوحة الناشر، المصدر السابق، ص: 135.

<sup>4</sup> بونابي: التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص: 182.

مجلسه يتكلم عن الخواطر وينحشر الناس إليه، فيكاشفهم بأحوالهم ويطلعهم على خفي أسرارهم وشاع ذلك عنه... فكان المسافرون وذوو الحاجات يقصدون مجلسه وكل قد أضر حاجته في نفسه من سفر أو تزوج أو غير ذلك، ثم يأخذ في الكلام المرسل من غير أن يخاطب به أحدا معيذ.... فيقع جواب كل الحاضرين، فينصرف بجوابه وقد عرف وصف حاله الذي سأل عنه في نفسه»<sup>1</sup>.

سعى المتصوفة إلى معالجة مشاكل المجتمع التي كان يتخبط فيها، باعتبار أنفسهم فئة مسؤولة عن ما يحدث داخل مجتمعاتهم، التي يبدو أنها كانت تعاني من تدهور القيم الأخلاقية والدينية، فقد ذكر الونشريسي أن شابا «تعلقت نفسه بطلب العبادة وخطئة الصالحين، وخطئة أهل الأسواق، لما يرى فيها من الفساد في بياعاتهم ومعاملاتهم، وقلة معاملة من فيه الديانة.... حتى أنهم من كثرة إهمالهم لما يحل ويحرم، ما يعرفون شريعة محمد ﷺ»<sup>2</sup> ورغم ما يحمله هذا الوصف من مبالغة فإنه يدل على تآمر الناس من ضعف الوازع الديني في المجتمع و يجدون مهربا منه سوى

المتصوفة، حيث كان هؤلاء واجهون تلك الميوعة الأخلاقية بالنصح والإرشاد كان يفعل الشيخ الهواري مع الأغنياء وأهل الدنيا إذا حضروا مجلسه، يدعوهم إلى الله، الخوف والرجاء، وإذا حضره أهل الصحة والعافية من التجار ذكرهم بواجب الشكر

<sup>1</sup> ابن سعد: روضة النسرين، المصدر السابق، ص: 44.

<sup>2</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج: 11، ص: 298.

على النعمة، وحضهم على إخراج الزكاة لأنها مطهرة لمالهم، وبنهاهم عن معاملة من غلب عليه الحرام<sup>1</sup> وهكذا يمكن القول بأن المتصوفة ساهموا بشكل كبير في الحياة الاجتماعية. من خلال التفاف الكثير من أفراد المجتمع الذين وجدوا فيهم الملاذ الوحيد عندما تواجههم الأزمات، فصاروا بذلك رمزا للأمن والعدالة، كما صارت كراماتهم أداة لإصلاح مجتمعاتهم من الرذيلة وبديلا عن السلطة التي ثبت عجزها في معالمة الظلم.

#### 4- دور المتصوفة في التكافل الاجتماعي وحل الـ :

من الأمور التي صارت راسخة لدى مجتمع المغرب الأوسط أن رجال التصوف صاروا يمثلون الملاذ الأمن لكل من ألت به ضائقة مادية أو اجتماعية، لذلك كانوا يهرعون إليهم أملين قضاء حوائجهم وحل مشاكلهم، فقد كان المتصوفة سباقين إلى مد يد العون للفقراء والمحتاجين من خلال التصديق بأموالهم ومتاعهم والقيام على قضاء حاجاتهم بأنفسهم أو من خلال التوسط لهم عند الحكام، وقد لعب المتصوفة دورا هاما في تخفيف المشاكل بين الناس بممارسة دور إصلاح ذات البين، والتوعية بين الناس وإرشاد وحث الأغنياء منهم على دفع زكاتهم إلى الفقراء منهم وعدم اكتنازها والإكثار من الصدقات والتحبيس على المحتاجين صار العديد من الأغنياء يتنافسون على تحبيس الدور والبساتين على الأماكن التي يرتادها الفقراء وعابري السبيل كالمارستانات

<sup>1</sup> ابن سعد: روضة النسرین، المصدر، ص: 44 .

والزوايا التي يعينون لها أوقافا خاصة بها للإنفاق عليها وعلى من يقوم بخدمتها، ومنهم من كان يقوم بمنح بعض الهدايا لرجال التصوف من باب التبجيل والاحترام خاصة بهم دون غيرهم، ورغم ذلك يقوم هؤلاء المتصوفة بتفريقها على الفقراء ولا يحتفظون بشيء ، وقد وردت العديد من الإشارات إلى ما يدعم هذا التوجه خاصة في كتب النوازل نكره الونشريسي أن رجلا هاداهم بدار وأصل توت وأوصى أن تكون الدار للذكر ومدح النبي ﷺ وشجرة التوت يأكل منها أهل القرية في البيت بعد الذكر والمديح<sup>1</sup> كما ثبت عن محمد بن يوسف السنوسي أنه كان يكتب للسلطان في حوائج الناس<sup>2</sup> رغم أن كان يكره الكتب لأمراء.

لم تكن العامة وحدها من يلجأ إلى المتصوفة لتفريج كربها، فقد وجد الكثير من الحالات التي يستجد فيها الأمرء بالصلحاء عند اشتداد الأزمات، منها ما أشار إليه التنسي من أن السلطان الزياني أحمد العاقل (866هـ/1462م) كانت له عناية شديدة بالولي الصالح الحسن بن مخلوف وكان يكثر من زيارته<sup>3</sup>، بل كان يطلب رأيه في أشد الأزمات التي كان يمر بها<sup>4</sup> وامتد هذا الاحترام والتعظيم إلى أبناء الصلحاء وأحفادهم فكان « السلاطين والقواد وغيرهم وسائر الظلمة يعظمون أولاد الصالحين والحفائد

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج: 7، ص: 118.

<sup>2</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 241.

<sup>3</sup> التنسي: المصدر السابق، ص: 254.

<sup>4</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 231.



ويكرمونهم»<sup>1</sup> رغم ما كان بين السلاطين والأمراء من تباغض وتحاسد إلا أنهم كانوا جميعاً يعتبرون الصلحاء رمزا للنجدة وأن حبهم دافع للنقمة لذلك كانوا يولون عناية بزوايا المتصوفة والتحبس عليها وإعادة إحيائها» بقصد عمارتها أو القيام بقاصدها أو لمحاكاة ذريته من الوظائف المخزنية، أو المغارم السلطانية»<sup>2</sup> والنظر في شؤونها وذلك تقديراً للدور الاجتماعي الذي كانت تؤديه.

ورغم أن بعض الدراسات<sup>3</sup> قد اعتبرت أن المتصوفة يعتمدون في معاشهم على ما يقدمه لهم الأمراء وأهل الصدقات، ونعنتهم بالتواكل وعدم التشجيع على العمل، فإن الإشارات التي ضمتها الكثير من كتب المناقب أثبتت أن أغلب المتصوفة كانوا يمتنون حرفاً متنوعة منها الحياكة والصيد ونسخ الكتب، وتعليم الأولاد الصغار والزراعة وغيرها من الحرف<sup>4</sup> وقد أشار الحسن الوزان إلى تواجد بعض المتصوفة الذين « يعيشون على طريقة الزهاد المنقطعين، ويتمتعون باحترام كبير من ملك تلمسان ومن الأعراب، وهم يقدمون الطعام والشراب في غالب الأحيان مجاناً وبسماحة إلى كل من مر من هناك»<sup>5</sup> مادين يد العون لعابري السبيل وينشرون الأمن ويعيشون من كد أيديهم

<sup>1</sup> بركات إسماعيل: الدرر المكنونة في نوازل مازونة لبحي بن موسى المازوني. دراسة وتحقيق رسالة ماجستير بإشراف: عبد العزيز فيلاي، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة 2010/2009م. ص: 84.

<sup>2</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج: 6 ص: 171.

<sup>3</sup> Brunschvig(R) Berberie orientale sous les Hafside. 2 vol, paris, 1982, 2 p :325.

<sup>4</sup> د فتحة: المرجع السابق، ص: 211.

<sup>5</sup> الحسن الوزان: المصدر السابق، ج: 2، ص: 12.



مما زاد مكانتهم بين الناس الذين صاروا يحكمونهم فيما شجر بينهم متحاشين سلطة القضاء كثير من الأحيان مثلما جاء في سؤال وجه إلى ابن مرزوق عن مرابطين كانوا إذا وقعت فتنة بين الناس كان بعضهم يفصل بينهم والبعض الآخر يقف بين الفريقين<sup>1</sup> حيث بلغت سلطة المرابطين الروحية على الناس درجة ارتبطت بها حياتهم.

و قد كان للمتصوفة دور آخر في المجتمع تمثل في تعبئة أفرادهم لمهمة الدفاع عن بلاده، وذلك بتقوية روح الجهاد لديهم وشحن هممهم، بعد أن كثرت غارات البرتغال والإسبان على سواحل المغرب الأوسط، كما تولى المرابطون مهمة جمع الأموال وتنظيم حركة الجهاد، حيث التجأ العامة إلى رجال التصوف أمثال محمد بن يوسف السنوسي<sup>2</sup> وعبد الرحمن الثعالبي الذي «دعا أهل مدينة الجزائر وما حولها للجهاد وتوفير أدوات الحرب..... وكذلك حين راسل أهل مدينة بجاية يحثهم على الاستعداد للحرب ومقاتلة الأعداء»<sup>3</sup> ولأن الدولة الزيانية كانت ضعيفة سياسياً، فإن المتصوفة عمدوا إلى إنشاء الرباطات على طول السواحل للاجتماع فيها وتلاوة القرآن والذكر<sup>4</sup> بغية إبقاء الجند في حالة يقظة خوفاً من مباغثة العدو لهم، وقد ضحى الكثير من مريدي التصوف بأنفسهم في الدفاع عن حدود بلادهم ضد موجات الغزو الإسباني، وراح ضحية ذلك العديد من

<sup>1</sup> موسى بن عيسى المازوني: المصدر السابق، ص: 85.

<sup>2</sup> بوشاقور علي عمر أمينة: الطرق الصوفية والصراع السياسي في المغرب الإسلامي، الملباني أمونجا، رسالة ماجستير بإشراف: رابح لونيبي، كلية العلوم الاجتماعية وهران 2012-2013م. ص: 52.

<sup>3</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 1، ص: 460.

<sup>4</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج: 12، ص: 361.

شهداء الصوفية، ورغم ذلك فإن أصحاب الزوايا لم يغلقوا أبوابها أمام جموع الناس الذين يتوافدون عليها للانخراط في صفوف المتطوعة للدفاع عن الإسلام والمسلمين.

#### 5- دور الزوايا في المجتمع واتساع العمران :

إضافة إلى الدور التعليمي والتربوي الذين أدته الزوايا، فقد كان لها أدوار إجتماعية أخرى يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

#### 5 - 1 الدور الاجتماعي :

أدت الزوايا دورا بالغ الأهمية في المغرب الأوسط ليس في الجانب التعليمي فقط الذي تمثل في الاجتماع على الذكر وتلاوة القرآن الكريم، وقراءة بعض الكتب ككتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى<sup>1</sup> وكتب الوعظ<sup>1</sup> والرقائق، مما كان يعتبره الفقهاء من أعمال البر والتقوى التي تشجع المتكاسلين على الذكر والعبادة

إن الزوايا كانت مركزا ا ومقرا للفصل في القضايا التي تحصل بين أفراد المجتمع حيث يتم حلف الأيمان فيها<sup>2</sup> كما كانت مأوى للمسافرين، ويجد فيها الحاج الصوفي (السائح) مكانا للنزول والضيافة، لهذا فقد كثرت الأحباس عليها لتقوم بوظيفتها على خير وجه<sup>1</sup> ونظرا لأن أصحاب الزوايا في الغالب هم من الأولياء الذين ذاعت

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر نفسه ج: 11، ص: 61.

<sup>2</sup> كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص: 109.

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج: 6، ص: 171.

ولايتهم وانتشرت في الأماكن النائية فقد كان المریدون يتقاطرون على زواياهم بغرض زيارتهم للتبرك والتماس الدعاء منهم<sup>1</sup>.

ولعل من بين الأمور التي أدت إلى تفوق دور الزاوية في المجال الاجتماعي هي انحسار مهمة المساجد واقتصارها على أداء الصلوات وبعض الدروس، ما جعل الكثير من أفراد مجتمع المغرب الأوسط وون إلى الزوايا وأضرحة الصالحين للحصول على الأرزاق وتلقي الصدقات خاصة في أوقات الأزمات، نظرا لما كانت تتمتع به هذه الأماكن من قوة التأثير فيهم بسبب دورها الفعلي<sup>2</sup> وهذه الزوايا بالإضافة إلى ما فيها من مریدين يقومون على خدمتها فإنها كانت تدار تحت أوامر الشيوخ المؤسسين لها أو من خلفهم على رأسها حيث كانوا يقومون بجمع التبرعات في البلاد لصالح الزاوية<sup>3</sup> التي تقوم بتوزيعه في أوجه الخير.

وقد قسم أحد الباحثين<sup>4</sup> نور الزاوية الاجتماعي إلى النقاط التالية:

#### أ — تأمين حركة الـ :

نظرا للمخاطر التي كان أفراد مجتمع المغرب الأوسط يتعرضون لها في الطريق أثناء تنقلهم، فقد اختار شيوخ الصوفية لأماكن بناء زواياهم مواقع على جوانب تلك

<sup>1</sup> ألفرد بل: المرجع السابق، ص: 390.

<sup>2</sup> مزدور سمية: المرجع السابق، ص: 222.

<sup>3</sup> ألفرد بل، المرجع ، ص: 405.

<sup>4</sup> لظفي عيسى: التصوف في بلاد المغرب، مشترك موروث بين مختلف أقطاره، له امتداده على كامل البحيرة

المتوسطية. مقال منشور في جريدة الشروق التونسية، يوم: 2010/08/17.

الطرق لتأمين الناس وتمكينهم من التحرك دون خوف بطالهم من قطاع الطرق لأنهم يعلمون توقيهرم لأصحاب تلك الزوايا التي أمنت الطرق ووفرت الطمأنينة للمسافرين والتجار، وقد ورد في إحدى النوازل أن بعض الصالحين « كانوا يسهمون في تأمين السبل حيث يقيمون في المواضع المخوفة التي كانت مضي مأوى لأهل الفساد وقطاع الطرق الذين يهاجمون القوافل والتجار لأجل النهب والسرقه»<sup>1</sup> وبذلك أصبح الناس ينتقلون عبر تلك الأماكن دون تعرض للمضايقة.

#### ب — مهمة الإيواء :

شكل توزع الزوايا عبر ربوع المغرب الأوسط شبكة من الأماكن أعطت راحة للغرباء الذين ليس لهم مأوى معين يلجؤون إليه، حيث صار بإمكانهم التنقل وهم يعلمون بوجود أماكن تقدم لهم خدمات مجانية مثل المبيت والأكل والشرب دون الاضطرار إلى مسألة الناس، فقد كانت تلك الزوايا توفر للغرباء وعابري السبيل المأوى وكل ما يلزم من قري لهذه الفئة من الناس دون مقابل سوى رجاء الثواب.

#### ج — الرفد :

أشرنا فيما سبق إلى الأدوار التي اضطلعت بها الزاوية خاصة ما تعلق منها بالجانب الإنساني، فقد كانت بالإضافة إلى ما ذكرناه تقوم برفع الضيق عند الحرج ومساعدة الناس عند تعرضهم للأمراض، وجمع الأموال لافتداء الأسرى وأداء فريضة

<sup>1</sup> كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص: 111.



الحج، ودفع المهور، وتجهيز المتطوعة للجهاد « فمنذ الغزات الأولى للنصارى على السواحل الأفريقية، سعى المرابطون (الصوفية) إلى جمع الأموال الضرورية لفدية الأسرى المسلمين، ونشطوا في الدعوة لزيادة عدد الجماعات الصوفية»<sup>1</sup> وغيرها من الأمور الطارئة التي لا يمكن تأجيلها، كل ذلك كانت الزوايا تضطلع به وتتكفل بجمعه من عند الأغنياء وميسوري الحال لتنفقه في أبواب البر، ولم تكن أماكن انتشار هذه الزوايا مقصورة على الأرياف، بل وجد العديد منها داخل المدن فقد أشار الحسن الوزان إلى وجود العديد منها في مدينة بجاية، كما ذكر وجود ثلاثة أو أربعة زوايا في قسنطينة<sup>2</sup> التي زارها وأعجب بها.

## 5 - 2 اتساع العمران :

ساهم انتشار الواسع للزوايا بر أراضي المغرب الأوسط في تأسيس الكثير من التجمعات السكانية التي تحولت مع مرور الوقت إلى قرى عامرة، فقد كان انتشار الطريقة الصوفية وتوسعها يتطلب وجود زوايا أخرى تابعة للزاوية الأم التي يستقر بها الشيخ، وحولها كان يفضل الكثير من الناس مجاورتها في السكن احتفاءً بحرمة الشيخ

<sup>1</sup> ألفرد بل: المرجع السابق، ص: 421.

<sup>2</sup> الحسن الوزان: المصدر السابق، ج: 2، ص: 56.



وطلبا لبر ، فالولي أو المرابط كان إذا استقر بمنطقة ما و « تتعدى سمعته حدود المكان الموجود به، تحط بالقرب منه عائلات كاملة تسكن خياما بالية أو أكواخا من طين وأغصان، ويكثر التجمع حوله بحيث يكون دوارا أو دشرة، يقترح شيوخ التجمع على ذلك المرابط بناء زاوية له للعبادة، والمهام الأخرى المذكورة ثم يتزوج من بناتهم فيتكون من أبنائه وأحفاده أسرة تكون محل التقدير والاحترام»<sup>1</sup> فنجد أن سيدي غانم بن يوسف المعروف بالتركي الغمري غير مدينة وهران للسكن في جبل ماخوخ<sup>2</sup> وترك ذرية بتلك المنطقة أكثرهم بلهاء، واتي هناك حتى وفاته حيث دفن بالمكان وبني على قبره قبة ومشهد عظيم يقصده الناس للزيارة والتبرك به<sup>3</sup>.

وفي ناحية زواوة من بلاد القبائل استقر الشيخ أحمد بن يوسف الملياني بجانب إحدى الد وتولى مهمة تدريس أبنائها وأسس زاوية بذلك المكان، وتزوج منهم وخلف ذرية هناك تكونت منهم قرية فيما بعد عرفت بقرية آيت أحمد بن يوسف<sup>1</sup>، ويشير

<sup>1</sup> صباح بعارسية: المرجع السابق، ص: 79.

<sup>2</sup> جبل ماخوخ: يقع هذا الجبل جنوب وهران على الحافة الجنوبية لسهل ملانة وسيخة وهران الكبيرة. ينظر: الأغا بن عودة المزارى: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا. : يحي بوعزيز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.س. ص: 84.

<sup>3</sup> بن عودة المزارى، المصدر السابق، ص: 86.

<sup>1</sup> أحمد ساحي: أحمد بن إدريس البجائي الأبلولي ق14/ه8م، ودور زواوة في التراث العربي الإسلامي.

منشور في مجلة الدراسات التاريخية، ع: 7، معهد التاريخ جامعة الجزائر 1993م. ص: 65.

الحسن الوزان إلى أن سهل البطحاء<sup>1</sup> التابع لتلمسان ظل خاليا من السكان حتى حط به أحد الصلحاء مع عدد من أتباعه وبدؤوا بخدمة تلك الأرض امتثالاً لأمره، وتربية البقر والخيول والغنم فتكاثرت حتى صار هو نفسه لا يعرف عدد رؤوس تلك الماشية، وتزايد عدد مريديه حتى بلغوا خمسمائة مريد، وأخذ الناس يتقاطرون عليه من كل الأنحاء، وأربع زوجات وعدة إماء أنجب منهن العديد من الأولاد الذكور والإناث<sup>2</sup> فعمرت المنطقة بهم وصارت أهلة بالسكان.

ولا ننس انتشار الأربطة على طول سواحل المغرب الأوسط التي كانت تتولى مهمة الدفاع عن البلاد من هجمات الصليبيين، منها رابطة ابن يبكي ببجاية ورباط تلمسان ووهران وغيرها... والرباط في مصطلح الفقهاء هو عبارة عن احتباس النفس في الجهاد والحراسة وعند المتصوفة عبارة عن الموضع الذي يلتزم فيه العبادة<sup>3</sup> التي أقامها المتصوفة كنقاط تجمع للمتطوعين للجهاد والبقاء في حالة تعبد من قراءة وذكر وقد أشار الونشريسي في إحدى النوازل إلى وجود جماعة كانوا يمشون في الليل بعد صلاة العشاء<sup>1</sup> فوق أسوار تلك الرباطات يقرؤون القرآن ويرفعون أصواتهم بالتهليل

<sup>1</sup> البطحاء: كانت مدينة كبيرة ومتحضرة بناها الأفاارقة في عصر قريب في سهل فسيح ينبت فيه القمح بكثرة قريبا من تلمسان، لكنها خربت أثناء الحروب التي نشبت بين ملوك تلمسان وأبناء عموماتهم (توجين) من سكان جبال ونشريس. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج:2، ص، ص: 27 28.

<sup>2</sup> الحسن الوزان: المصدر السابق، ج: 2، ص: 29.

<sup>3</sup> ابن مرزوق: المسند الحسن، المصدر السابق، ص: 411.

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج: 12، ص: 361.

والتكبير بغرض تنبيه الحرس لمواجهة أي هجوم محتمل، وقد تعددت الرباطات سواءً على السواحل أو في المناطق الداخلية<sup>1</sup> حيث ساهمت بشكل فعال في توفير الأمن وإعمار المناطق الخالية من السكان حيث أمنت الطرق ووفرت الطمأنينة للمسافرين والتجار، وكمثال آخر على مساهمة الزوايا في اتساع العمران ما قام به المرابط سيدي بوزيد (ق10/ه16م) حيث أراد الانقطاع لعبادة في خلوة اختارها في جبل العمور ن أخباره التي تناقلتها الناس جعلتهم يتقاطرون إلى ذلك المكان وسكنوا بالقرب منه<sup>2</sup>، إلى أن توفي وبنوا له ضريحاً هناك لا يزال مزاراً إلى اليوم، بجانب البلدة التي سميت باسمه (سيدي بوزيد).

### : الآثار السلبية :

#### 1- انحراف سلوكيات التصوف :

عتبر الكثير من الباحثين في مجال التصوف بأن منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي هو بداية لمرحلة جديدة في حركة التصوف، حيث بدأت تظهر فيه بوادر الانحراف والتطرف، و الحيد عن خطى المتصوفة الأوائل، فيذكر الفرد بل بأن تدهور حالة التصوف بدأت منذ منتصف القرن 8/ه14م في اتجاهه نحو أنواع من العادات والطقوس، وبدا واضحاً ضعف المستوى العقلي عند أصحابه، وتزايد عدد الطرق

<sup>1</sup> كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص: 111.

<sup>2</sup> صباح بعارسية: المرجع السابق، ص: 81.

الصوفية وانتشار المعتقدات الفاسدة لدى أتباعها<sup>1</sup>، وهو ما يمكن أن نفهمه من كلام الشيخ أحمد زروق البرنسي بأن تلك الانحرافات تمثل بداية التحول في طريق التصوف مع منتصف القرن 8هـ عندما قال: « لقد تتبعت بفكري بالطرق الاصطلاحية الموجودة بأيدي الناس الآن فلم أجد عند أهلها نفحة ولا نورا ولا حقيقة ولا علما ولا ذوقا ولا فهما جاريا عن القياس الأول، إلا لذة نفسانية غالبها من استشعار الرئاسة، والالتذاذ بالامتياز والاختصاص بالنسبة ونحوها، هذا ما وجدته في صادقهم، فأما غيره فلم أر منه إلا لعبا ولهوا وفخرا وكبرا، وتعصبا وخروجا عن عز الإضمار بكل وجه، فكل من تأمل ذلك وجده عند مخالطتهم والنظر في أحوالهم<sup>2</sup> » وهي أمور تدل في كل أحوالها على ظهور بوادر التغيير في مسار التصوف.

ويبدو أن منشأ هذا التحول هو انتقال التصوف من الطبقة العاملة التي تمثل النخبة

مع ما كانت تمتاز به من فهم للدين إلى الأوساط الشعبية .

الأرياف حيث يتميز الناس بقلة الثقافة الدينية، وصار الولي في نظرهم هو من يمتلك الحقيقة، وكل أوامره مطاعة من غير نقاش، كما أن رجال التصوف ذاتهم ( الأولياء) تراجع مستواهم الثقافي كثيرا مقارنة مع المتصوفة الأوائل<sup>1</sup> وبذلك فسح التصوف السني بما يحمله من معاني الزهد والصلاح المجال إلى تصوف بدعي اختلطت فيه الدروشة

<sup>1</sup> ألفرد بل: المرجع السابق، ص: 393.

<sup>2</sup> أحمد زروق: المصدر السابق، ص: 46.

<sup>1</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 1، ص: 40.



بالجهل والخرافة، وكثير في أدعياء التصوف الذين تباينت أغراضهم الدنيوية كحب الرياسة وابتزاز أموال الناس بالباطل وحب الشهرة والاختلاط والرقص ولغناء، ومن هنا يمكن التمييز بين قسمين من التصوف في المغرب الأوسط قسم تميز بالاعتدال والسير في خط السنة النبوية؛ والقسم الثاني تميز بالتطرف والابتعاد عن تعاليم الدين، وغالى في أفكاره وما أحدثه من بدع لا يقبلها الشرع، وكثرت فيه الطرق الصوفية التي تعرضت للانتقاد من طرف العلماء فيشير الونشريسي إلى اجتماعهم في الليل عند أحدهم مفتحين مجلسهم بالذكر على صوت واحد، ثم ينتقلون بعدها إلى الغناء والضرب بالأكف والشطح إلى آخر الليل، وقد أفتى الفقهاء بأن « ما أحدثوه في الدين يعتبر بدعة محدثة لم تكن في زمن رسول الله ﷺ أو في زمن الصحابة ولا من بعدهم من التابعين »<sup>1</sup> وهذا الفرق بين القسمين يرجع إلى المستوى الثقافي لرجال التصوف فإذا تتبعنا تراجعهم نجد أن من الشيخ عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي واسعى الاطلاع والثقافة وألف الكتب الغزيرة، وتصدرا التدريس، ونجدهما أقرب إلى الفقهاء منهما إلى المتصوفة، كما نجد آخر من المتصوفة متوسط الثقافة أمثال محمد بن عمر الهواري وأحمد بن يوسف الملياني وإبراهيم التازي<sup>1</sup> مع العلم أن كلا القسمين قد تركا تلامذة وأتباعا متأثرين بهم وطريقتهم.

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج: 11، ص: 40.

<sup>1</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 1، ص: 463.



ومن خلال مؤلفات المتصوفة يمكن دراسة أحوال الفرد والمجتمع في الفترة المدروسة بالمغرب الأوسط حيث يستخلص من تلك المظاهر التي كانت سائدة في المجتمع، منها ما كتبه عيسى بن سلامة البسكري ( 860/1456م) في كتابه الذي سماه " اللوامع والأسرار في منافع القرآن والأخبار" حيث ملأه بالدروشة والدجل والسخف، فهو لم يستوح من القرآن أسرارہ ومعانيه، بل اتخذ من آياته تمانم وأحجبة وهي مظاهر تصف الحالة التي وصل إليها الوضع الاجتماعي في المغرب الأوسط آنئذ فإذا كان « قادة الرأي في هذا المجتمع من نمط الفراوسني والتازي والبسكري فإننا نجزم بأنه كان مجتمعا مريضا»<sup>1</sup> حيث اهتم المتصوفة بالفرع وتركوا الأصل، فحرصوا على النوافل أكثر من حرصهم على الفروض، وتظاهروا بالزهد للحصول على الدنيا.

2- طغيان الفكر الكرامي و تقديس ا الولي :

---

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج: 11، ص: 105.

إن هذا التدني في المستوى الثقافي الديني خاصة قد أثر على الحياة الا.

في القرون اللاحقة 9هـ و10هـ حاملا معه مظاهر الانحطاط الفكري<sup>1</sup>، مثل الاعتقاد في الولي في حياته وبعد موته، وانتشار البدع والخرافة والدجل والشعوذة وكل مظاهر التدني الأخلاقي فمن مميزات القرن التاسع الهجري في المغرب الأوسط، هو بروز الاعتقاد في الأولياء، وكثرة الزوايا التي تروج لفكرة الاعتقاد في الشيخ وابتداع الحضرة والأوراد والالتفاف حول زاوية الشيخ أو ضريحه، وهي كلها أمور تكاد تكون وليدة القرن التاسع الهجري<sup>2</sup> ففي الفترة السابقة لهذا العصر كان المتصوفة أغلبهم يعدون من جملة العلماء يجمعون بين الحقيقة والشريعة متمكنين من أمور الدين، لكن بعد أن تراجع مستواهم الثقافي واختفت تلك الروح العلمية لديهم ساد التصوف العبي وما يصاحبه من أعمال الحضرة كالرقص والغناء والاعتقاد الزائد عن حده في الولي حتى ساووه بالنبي وفضلوا الأذكار على القرآن<sup>3</sup> وبذلك انفصل التصوف عن علوم الدين وصار عقيدة العامة من الشعب، حيث ظهر نوع جديد من المرابطين خاصة في البوادي والمداشر

<sup>1</sup>Diego de Haedo , topographie et histoire générale D'Alger " La vie à Alger au seizième Siècle" Traduire par Berbrugger et Monnerau , 3éd, Grand-Alger- livres, Alger, 2004, p112.

<sup>2</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 1، ص: 48.

<sup>3</sup> سعد الله: المرجع ، ج: 1، ص: 51.

لم يتصفوا بعلم الظاهر ولا الباطن ولم يستخلصوا من أداء فرض ولا اجتناب محرم<sup>1</sup> وليس يجمعهم سوى الأكل والشرب والشطح والغناء.

وبذلك انتشر المرابطون في جميع مدن المغرب الأوسط، وصار لكل مدينة شيخها الذي يمثل وليها وحاميها، وساعدت الأوضاع السياسية وتخلي السلطة الزيانية عن دورها في المغرب الأوسط على تدهور الحالة الأمنية، مما كان له أثر في انتشار التصوف الشعبي الذي تميز بالانشغال بأمور الحضرة والاعتقاد في الولي وتناقل كراماته ومكاشفاته، وهي أمور كلها دفعت بالتصوف إلى الانحراف عن طريقه الصحيح، وبلغت عقيدة الولي درجة التقديس<sup>2</sup> وصار كلامه شريعة لأتباعه لا يتطرق إليها شك، فيذكر عن المرابط بن شاعة ( 931/1524م) أنه أجاز لأصحابه التزوج بيناتهم وأمهاتهم وأخواتهم<sup>3</sup>، وصارت أضرحة الأولياء جزءا من حياة العامة حيث يعتقدون عندها الصلح بين المتخاصمين، ويُقتاد المتهم للحلف عندها لاعتقادهم الراسخ بأنه إذا حنث في يمينه تصبه لعنة صاحب القبر، كما كانوا يعتقدون عندها قران الزواج

<sup>1</sup> الوشريسي: المصدر السابق، ج: 11، ص: 34.

<sup>2</sup> سعد الله: المرجع ، ج: 1، ص: 481.

<sup>3</sup> Marcel Bodin: « Note sur Sidi M'hammed Ben- Chaa: Patron des Beni- Zeroual d'Algérie», in société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran, fondée en, 1878, T51, 1930, société anonyme des papeteries et imprimeries Fouqué, Oran, 1930, P 73.

ويقصدونها إذا حبس عنهم القطر<sup>1</sup>، وارت فكرة اللجوء إلى ضريح الولي لجلب النفع ودفع الضر فكرة لا يمكن التخلي عنها.

أدى انتشار التصوف الشعبي في المغرب الأوسط إلى بروز ظاهرتين اثنتين، الأولى هي افتتان أهله بمسألة الأحوال والكرامات وما صاحبها من خرق للعادة كطي الأرض والتصرف في الموجودات، والثانية هي الاعتقاد في الأولياء، حيث بلغ ببعضهم إلى مساواتهم بالأنبياء مثلما حدث مع طائفة من أتباع أحمد بن يوسف الملياني « على يد رجل ممن صحب أصحابه يقال له ابن عبد الله فإنه تزندق... واعتقد هذا المذهب الخسيس كثير من الغوغاء وأجلاف العرب وأهل الشهوات من الحواضر، وتعرف هذه الطائفة باليوسفية»<sup>2</sup> التي غالت كثيرا في اعتقادها، كما تعرض الونشريسي في معياره إلى حركات أهل البدع والضلالة الذين ادعوا أنهم من أهل الله وصارت لهم كرامات، فذكر أن سؤالا ورد على تلمسان 855هـ أن رجلا من أهل جبل ونشريس بالمغرب الأوسط ينسب إلى الصلاح، لكنه يدعي أنه يرى الملائكة ويعلم جنس ما الأرحام، ويدعي أن الرسول □ أعطاه أعشابا ليعالج بها المرضى<sup>3</sup> وغيرها من الأمور التي لا يقبلها العقل، وصار الناس يتناقلون أخبار كرامات الأولياء وخرقهم للعادة

<sup>1</sup> يحي هويدي: فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، الجزء الأول في الشمال الإفريقي، القاهرة: تبة النهضة المصرية 1965م. ص: 357.

<sup>2</sup> الشفشاوني: المصدر السابق، ص: 125.

<sup>3</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج: 2، ص: 387.



وإطلاعهم على الغيب، مما جعل العامة تقدسهم حتى بعد موتهم بزيارة أضرحتهم وإقامة  
المواسم والاحتفالات عندها وإقامة حلقات الذكر حول قبابهم وقد وصف الحسن الوزان  
أهل عنابة بالسذاجة «لأنهم كانوا يعظمون أقواما يسيرون في المدينة كالمجانين،  
ويعتقدون أنهم من الأولياء الصالحين، ويحيطونهم بكل اعتبار وتقدير»<sup>1</sup> وحتى الذين  
هلكوا من هؤلاء الأولياء فإنهم كانوا يحظون بقبور خاصة تختلف اختلافا كليا عن بقية  
القبور الأخرى.

كان الكثير من العلماء والمتصوفة المعتدلين ينقمون على أصحاب هذا الاتجاه  
المنحرف في التصوف، ويضيقون ذرعا بتصرفاتهم خاصة في العهود الأخيرة، ولعل  
أبرز من يمثل هذه الثورة عليهم هو عبد الرحمن الأخصري الذي كان يظهر التكبر  
كثيرا على مبتدعة زمانه وجعل قصيدته المشهورة " بالقدسية " فيهم والتي هاجم فيها  
تصرفاتهم وكشف من خلالها زيفهم و على منواله الشيخ عبد الكريم الفكون (م  
1073هـ/1662م) " منشور الهداية"<sup>2</sup> وإن كانت الفترة التي عاش فيها خارجة  
بعض الشيء عن إطارنا الزمني الذي ندرسه.

ونجد نفس الممارسات قد انتقدتها أيضا السلوي الناصري بقوله « وظهر في  
بلاد المغرب وغيرها... لا سيما في المائة العاشرة وما بعدها بدعة اجتماع طائفة العامة

<sup>1</sup> الحسن الوزان: المصدر السابق، ج: 2، ص: 62.

<sup>2</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 1، ص: 400.



على شيخ من الشيوخ... بخصوصه بمزيد المحبة والتعظيم ويتمسكون بخدمته والتقرب إليه قدرا زائدا على غيره من الشيوخ بحيث ترسم في خيال جلهم أن كل المشايخ أو جلهم دونه في المنزلة عند الله تعالى، ويقولون نحن أتباع سيدي فلان وينادون باسمه ويستغيثون به ويفزعون في مهماتهم إليه<sup>1</sup> مما يعبر عن المستوى الذي وصل إليه الناس في بعدهم عن الدين.

إن المبالغة الزائدة عن حدها لدى المتصوفة في المجال الكرام تعد دليلا صارخا عن التناقض الذي كان يحصل أواخر العصر الوسيط بين فئة الفقهاء وفئة المتصوفة ذات التوجه المخالف للسنة، والتي نشأت بسبب الانتشار القوي لهذه الظاهرة وما صاحبها من كثرة المدعين للولاية، مما جعل الفقهاء يزدادون حدة في معاملتهم لأصحاب هذا التوجه الكرامي.

### 3- انقسام المجتمع بين أتباع الفقهاء وأتباع الصوف :

إن بلوغ التصوف وتوسعه في الأرياف ولدى العامة مهد الطريق للحركة الصوفية الشعبية الكبيرة، التي ستنشر مع مطلع القرن 9/15م راسمة للاسلام الصورة التي لا يزال عليها إلى اليوم<sup>2</sup> حيث لم يعد الصوفي ينتمون إلى تلك البيئة المتعلمة التي

<sup>1</sup> السلاوي: المرجع السابق، ج: 4، ص: 101.

<sup>2</sup> ألفرد بل: المرجع السابق، ص: 394.

تنتج أعلاما في التصوف، لأن زعماء الطرق الصوفية انحدروا بمستوى التعليم الصوفي ليكون في متناول فهم العامة ولم ينهض بعدها أبدا<sup>1</sup> لذلك وُجد من شيوخ الزوايا والطرق من كان محدود الثقافة، بل كان منهم من لم يحصل على نصيب من التعليم، وكان يعتاض عن هذا النقص، بلقب الولي أو الشيخ وكثرة الأتباع الذين يشكلون مصدر رزقه، ووسيلة لبلوغ الشهرة والرياسة، مما أجبر « علماء المساجد والمدارس على تبسيط آرائهم وطرقهم في التعليم حتى لا يفر الطلبة إلى الزوايا والمرابطين، فالتنافس إذن كان من أجل البحث عن الأتباع وضمان لقمة العيش، وليس من أجل رفع مستوى التعليم أو المساهمة في ترقية الحياة الفكرية»<sup>2</sup>.

ساهم هذا التنافس بين الفقهاء والمتصوفة، انقسام الناس، قسم انخرط في تيار التصوف الشعبي منبهرا بما يسمعه من كرامات، مقدسا لأصحابها ومستعدا للدفاع عن يؤمن به ولا يقبل من يتعرض لشيخه أو طريقته للانتقاد، وقسم ثاني اتسم ببعض الثقافة الدينية التي شكلت له مانعا من تقبل ذلك التوجه الصوفي ذي الطابع الكرامي الممتزج في أحيان كثيرة بالخرافة والدجل وجعلته يستفتي الفقهاء حولها، فمن بين الأمور التي شاع تداولها في تلك الفترة هي كثرة النوازل التي كانت تطرأ على المجتمع،

<sup>1</sup> ألفرد بل: المرجع، ص: 394.

<sup>2</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 1، ص: 49.

وتتعلق موضوعاتها بأمور التصوف والكرامة حيث، ن يُشكل على الناس حلها فيلجأون إلى الفقهاء للإجابة عنها.

أدى تدمير القسم الثاني وهم أتباع التيار الفقهي من ممارسات أتباع المتصوفة إلى ازدياد حدة التوتر بين الفريقين إلى درجة أن أفتى بعض الفقهاء بقتل مدعي الكرامات التي لا تبلغ مبلغ العادة<sup>1</sup> كما اتهموا أصحاب الزوايا بأكل أموال الناس بالباطل وأفتى محمد العقباني بأن زواياهم مثل أفواه جهنم وأهلها كاللصوص، لا يستحقون شيئاً من خراج الأراضي المحبسة عليها، ولا يطيب لهم إقطاع فيها<sup>2</sup>، وبالمقابل كان على شيوخ الطرق الصوفية أن يسعوا جاهدين لاستقطاب المريدين، فجعلوا تعاليم التصوف في مستوى قلبي الثقافة عن طريق الاهتمام أكثر بالالتزامات المادية والأذكار والحضرة والاجتماع للرقص، وتلقين مريديهم بعض الأذكار والمجاهدات.

وقد امتد هذا التأثير الطرقي إلى الأسرة التي تمثل لبنة المجتمع، فقد كان للزواج عند المتصوفة أهمية خاصة، فكان يُشار على المرید بالزواج من إحدى بنات أو قريبات إخوانه في الطريقة، لأن الزوجة المتفهمة روحياً تكون أكثر ملائمة وتفهماً لأحوال المرید مع شيخه وعلاقته بإخوانه، كما أن الزواج من خارج الطريقة كان هدفه زيادة

<sup>1</sup> موسى بن عيسى المازوني: الصدر السابق، ص: 86.

<sup>2</sup> موسى بن عيسى المازوني: المصدر، ص: 87.

أعداد المريدين وضمهم إلى الطريقة عن طريق المصاهرة<sup>1</sup>، وهذه كلها أمور ساهمت بشكل فعال في انقسام المجتمع الزياني وكان لها الكثير من الآثار السلبية حتى بين أبناء الولي نفسه الذي كان أبناؤه يقتسمون الأراضي التابعة للزاوية بينهم قسمة تملك لا قسمة انتفاع<sup>2</sup> مما يؤدي إلى توقف نشاطها مثلما فعل أبناء الولي « أبو يعقوب بن محيو الهواري الذين لم يصونوا حرمة ولم يتبعوا طريقته، بل نابذوا طريق الديانة وتكالبوا على إتباع أهل الباطل والخيانة، فأهينوا ولم يظهر عليهم رونق أبناء الصالحين ولا مزية الشرف»<sup>3</sup> وكثيرا ما كانت تقع بينهم الشحناء والخصومات بسبب تلك التركات.

#### 4- تغير نظرة المجتمع لفقهاء :

أبرزت الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في المغرب الأوسط الزياني تحولا في ممارسات فئة من الفقهاء، الذين حادوا عن مهمتهم الأساسية المتمثلة في تفقيه الناس وتبصيرهم بأمور دينهم وتولي مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبدلا من ذلك راحوا يلهثون وراء جمع المال الحرام والسعي إلى الثراء بأي وسيلة تمكنهم من ذلك، وقد أشار الونشريسي إلى الكثير من مظاهر الفساد في مجتمع المغرب الأوسط، منها آفة الارتشاء لدى القضاة الذين كانوا يسعون إلى

<sup>1</sup> منال عبد المنعم جاد الله: التصوف في مصر والمغرب. الإسكندرية: منشأة المعارف (د. م. ن). ص: 262.

<sup>2</sup> موسى بن عيسى المازوني: المصدر ، ج: 4، ص: 67.

<sup>3</sup> موسى بن عيسى المازوني: المصدر ، ج: 4، ص: 68.



الثراء السريع دون تورع عن الحرام، وساعدهم في ذلك بعض الفقهاء الذين يعملون هم بصفتهم مشاورين، فكانوا يقومون بالتوسط لدى أولئك القضاة عند صدور الأحكام الرشوة التي كانوا يحصلون عليها من الناس، بل كانوا أحيانا يأخذون أموال اليتامى ومن لا وارث لهم ظلماً<sup>1</sup> وسط سخط العامة على تلك التصرفات التي كان أصحابها يضربون عرض الحائط ما تفرضه عليهم الشريعة والأخلاق، فقد وصل الأمر ببعض الفقهاء إلى إصدار فتاوى حسب الطلب فتاء برجعة المطلقة ثلاثاً في كلمة واحدة والإفتاء ما ليس لهم به علم مما يقدح في عدالتهم، وهذا أعظم من إحدى الكبائر نكره الونشريسي.

إن المكانة الاجتماعية التي كان يحوزها الفقهاء هي التي جعلت الناس يقدمونهم في العديد من المناطق والقبائل المغربية<sup>2</sup> للنظر في الناس وتطبيق الحدود وإقامة الأحكام، مما جعلهم يستغلون تلك السلطة وا بالثراء بطرق غير شرعية صار المتصوفة ومريديهم ومن تبعهم من عامة الناس ينظرون إليهم شزراً ويتهمونهم بموالاتة السلاطين في مواقفهم ومحاولة إيجاد الفتاوى التي تناسب ذلك متناسين أو متخليين عن دورهم الأساسي وما يمليه عليه علمهم، وبذلك أخذ المتصوف على عاتقهم الاهتمام بقضايا المجتمع كنشر الفضيلة وتهذيب الأخلاق في حين اهتم الفقهاء بالتوفيق بين

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج: 10، ص: 120.

<sup>2</sup> كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص: 34.



التعاليم الشرعية ووجهة نظر السلطة<sup>1</sup> وفي الوقت الذي كان الفقهاء يسعون جاهدين إلى التقرب من السلطة، كان المتصوفة يتورعون حتى عن قبول هداياهم ناهيك عن ملاقاتهم، فيذكر عن ابراهيم التازي أنه كان « رفيع الهمة عن ملك الوقت وولاية الأمر، مع رغبتهم في قضاء حوائجه وتطارحهم عليه بالكتب، فيتغافل عنهم ولا يجيبهم عن كتبهم»<sup>2</sup> فازدادوا له تعظيما وإجلالا وكان الامام السنوسي يبغض الاجتماع بأهل الدنيا فعندما خرج يوما مع أصحابه ورأى أناسا قادمين نحوه سأل عنهم، فلما قيل له أنهم خواص السلطان جعل وجهه إلى الحائط وغطاه كي لا يرونه<sup>3</sup>. إن تلك الممارسات التي كان بعض الفقهاء يتصرفون بها في حياتهم اليومية من حب الدنيا والتقرب من الحاكم وأكل المال الحرام وقبول الرشوة وغيرها كان يناقضها في الوقت نفسه سلوكات رجال التصوف المتمثلة في الزهد في الدنيا والتورع عن أهلهما وقضاء حوائج الناس وهو الأمر الذي جعل الناس ينظرون إلى الفقهاء بعين الريبة بل الإزداء أحيانا كثيرة.

#### 5- غلبة الطابع الصوفي على المجتمع :

<sup>1</sup> المهدي البوعبدلي: أهم الأحداث الفكرية، المرجع السابق، ص: 185.

<sup>2</sup> ابن سعد: روضة النسرين، المصدر السابق، ص: 156.

<sup>3</sup> التتبعاتي: المصدر السابق، ص: 566.

لا بد في البداية من أن نشير إلى أننا ، هذا العنصر (الفكر الصوفي) ضمن الآثار السلبية إنما نقصد به ذلك النوع من التصوف الذي غلب عليه الانحراف وكثرت فيه الخرافة والدجل، ولسنا نعني به مطلقا التصوف النخبوي الذي انتحله رجا بارزون يعدّون في جملة العلماء، وعليه يمكن القول بأن التصوف عند ظهوره بدأ كتيار لم يسبق مجتمع المغرب الأوسط أن مارسه لذلك فإنه تعرض في بدايته لمنافسة من طرف تيار الفقهاء، إذ في العادة ، كل جديد معارضة كبيرة<sup>1</sup> لكن مع مرور الوقت استطاع الفكر الصوفي أن يسكت معارضيه، ويحولهم إلى مؤيدين ومدافعين عنه<sup>2</sup> استطاع أن يتكيف مع البيئة المسلمة السنية والامتداد في عمق الحياة اليومية وتولي زمام المبادرة على الصعيد الاجتماعي<sup>3</sup> ومن بين الأمور التي ساعدت على انتشاره هو رعاية السلطة الزيانية له حتى عُد القرن التاسع الهجري قرن الانتصار للتصوف في المغرب الاسلامي، لأن طبيعة الحياة التي كان مجتمع المغرب الأوسط يعيشها تتوافق مع ما كان المتصوفة يدعون إليه من عيش حالة الفقر والزهد فقد كانت الفترة موضوع الدراسة مفعمة بالاضطرابات السياسية وشهدت مع بداية القرن 10هـ/16م أطماعا خارجية بسبب ضعف الدولة وإهمال حكام بني زيان في أواخر دولتهم لأمر الرعي وكذا تتابع الحروب والفتن والانهازات العسكرية أمام العدو المسيحي وما يصحب ذلك عادة من

<sup>1</sup> عبيد بوداود: قراءة في العلاقة، المرجع السابق، ص: 59.

<sup>2</sup> ألفرد بل: المرجع السابق، ص: 415.

<sup>3</sup> ابراهيم حركات: الرباطات والزوايا، المرجع السابق، ص: 271.

نقص في المؤونة وظهور المجاعات والأمراض، كل هذه الأوضاع كانت تصب في صالح المتصوفة الذين توسعت دائرة انتشار فكرهم وازدادت أعدادهم على حساب الفقهاء، حيث أقبل الناس على التصوف وأمور المجاهدة والإيمان بالكرامات وتناقل خوارق العادات، واندفاعهم نحو زيارة قبور الصالحين، وكثرت الطرق الصوفية وانتشرت زواياها في ربوع البلاد وشاعت الخرافة والدروشة المصاحبة لها وكثر أدعياء الولاية، وكل ذلك من آثار التصوف الشعبي الذي تغلغل في أوساط العامة وصارت له السيادة على الساحة الا .

وهناك ظاهرة أخرى نتجت عن هذا الانتشار الواسع لأصحاب الطرق الصوفية ومدعي الولاية، ألا وهي ظاهرة ادعاء النسب الشريف التي أصبحت ا تيار التصوف، فقد صارت صفة الشريف لقباً هاماً يتحلى به ويحمله معظم شيوخ الفرق الصوفية، وحتى الصوفية العاديين ادعوا أنهم من الأشراف أو خلعها عليهم عن خطأ أو صواب من ترجموا لهم من مؤلفي كتب تراجم الصوفية وواضعي كتب الأنساب<sup>1</sup> وهذا وفقاً لعادة كانت منتشرة في ذلك العصر حيث أصبحت صفة الشريف ملازمة لشيخ الطريقة، فنجد كثيراً ممن ترجموا لهم يصفونهم بتلك الصفة، منهم على سبيل المثال لا الحصر «

<sup>1</sup> ألفرد بل: المرجع السابق، ص: 423.

العلامة الأكبر والكبريت الأحمر.... الشيخ غانم بن يوسف الملقب التركي الغمري من أهل القرن 15/هـ م... نص على شرفه أبو عبد الله محمد الفاسي في كتابه "أثم الأبصار"<sup>1</sup> وحتى في حالة عدم ثبوت شرف الولي من طرف والده كان يستمد من جهة أمه كما وقع مع الكثير ممن وقفنا على تراجمهم، منهم . ال على ذلك الشيخ أحمد الغمري الذي ترجم له ابن سعد في روضة النسرين بقوله: « وأمه من الشرفاء الحسنين، حدثني بذلك عنه عميد أصحابه ووارث مقامه شيخنا البركة الولي العابد سيدي عبد الله بن منصور<sup>2</sup> وقد ازداد هذا الطوفان الشرفاوي في حقل التصوف على مدى القرون التي لحقت القرن التاسع الهجري لا تكاد تجد بين أتباع المتصوفة من يحمل لقب الشريف.

وفي الأخير يمكن تقسيم الآثار الاجتماعية لعلاقة الفقهاء بالمتصوفة إلى قسمين: إيجابية وأخرى سلبية، أما الإيجابية فتتمثل في ذلك التقارب الذي نلمسه بين الفئتين حيث أدى إلى تماسك وحدة المجتمع خاصة عندما كان التصوف نخبوا، ويتصف أصحابه بالثقافة العالية والتعمق في علوم الدين و المتصوفة في حل العديد من مشاكل

<sup>1</sup> بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص: 85.

<sup>2</sup> ابن سعد: روضة النسرين، المصدر السابق، ص: 185.



المجتمع كمساهمتهم في علاج المرضى وذوى العاهات علاجا روحانيا تمثل في تلاوة الآيات القرآنية وبعض الأدعية، كما قاموا برد المظالم إلى أهلها وكف العدوان من خلال تدخل شخصية الولي لردع اللصوص والظلمة.

وقد ساهمت زوايا المتصوفة بدور اجتماعي فعال تمثل في كونها دُورا لعابري السبيل ومن لا مأوى له وتقديم الطعام لهم، كما اضطلعت بمهمة جمع التبرعات في أوقات الأزمات والشدة لتفريقها على مستحقيها من الفقراء والمحتاجين، وساعدت تلك الزوايا على اتساع شبكة العمران حيث كانت تقام بجانب زوايا الأولياء تجمعات سكانية تتوسع شيئا فشيئا لتصبح دشرة أو قرية تأخذ اسم ذلك الولي.

وبالمقابل فقد خلفت العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة آثارا سلبية تمثلت في انحراف خط التصوف الذي رسمه له أصحابه الأوائل، حيث بدأت تظهر في أوساط المتصوفة بعض الممارسات والطقوس التي لا يقبلها الدين، وكان من أبرزها غلبة الفكر الكرامي على ذهنية المجتمع وتقديسه لشخصية الولي تقديسا مبالغا فيه، وما صحب ذلك من أمور الدجل والشعوذة والخرافة، مما أدى إلى انقسام المجتمع الزياني بين تابع لفئة الفقهاء ومنخرط في تيار التصوف الطريقي، وكان من إفرازات هذه التحولات تغييرا في ممارسات بعض الفقهاء الذين حادوا هم أيضا عن طريق الدين وراحوا يتكسبون من الرشوة وأكل مال اليتيم.



ولعل أبرز ما يميز مجتمع المغرب الأوسط في تلك الفترة هو غلبة الطابع الصوفي على الحياة الاجتماعية، بسبب انتشار الطرق الصوفية وكثرت مدعي الولاية وأصحاب الكرامات، حيث كان عدد المنخرطين في تيار الطرق الصوفية في تزايد مستمر، وإقبال الناس على الإيمان بالكرامات وخوارق العادات وشيوع مظاهر الدروشة والد. ، وهي أمور كلها أدت إلى غلبة تيار التصوف وسيطرته على الحياة الاجتماعية.



## دراسة نماذج من الفقهاء والمتصوفة الذين

عاشوا ما بين القرنين 8 - 10 / 14 - 16 م.

أولاً - أهم أعلام الفقه المالكي ما بين القرنين

8-10 / 14-16 م:

- 1 - أعلام الفقه في القرن الثامن الهجري .
- 2 - أعلام الفقه في القرن التاسع الهجري .
- 3 - أعلام الفقه في القرن العاشر الهجري .

- أهم أعلام التصوف ما بين القرنين

8 - 10 / 14 - 16 م:

1 - أعلام التصوف في القرن الثامن الهجري.

2 - أعلام التصوف في القرن التاسع

الهجري.

3 - أعلام التصوف في القرن العاشر

الهجري.

سوف نتعرض من خلال هذا الفصل إلى أهم الشخصيات الفقهية والصوفية التي عاشت في فترة هذه الدراسة محاولين إبراز المكانة العلمية التي بلغوها، وذلك بالتعريف بهم وبأهم مؤلفاتهم في مختلف العلوم التي شاركوا فيها، وكذلك شيوخهم وتلاميذهم متبعين في ذلك الترتيب الزمني لتواريخ وفياتهم.

#### أولا - أهم أعلام الفقه المالكي ما بين القرنين 8-10 / 14-16 م :

عاش في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة العديد من العلماء، خاصة أولئك الذين برزوا في الفقه المالكي وعرفوا بكثرة مؤلفاتهم، واشتهروا في البلاد وكانت لهم مكانة علمية عالية، نذكر منهم على سبيل المثال :

#### 1 أعلام الفقه في القرن الثامن الهجري:

ونبدأ بذكر عالمين جليلين من علماء المالكية الذين طار ذكرهم في الأفق واشتهرا شرقا وغربا خلال القرن الثامن الهجري ألا وهما الفقيهان العالمان إمام أبو زيد عبد الرحمن (ت743ه/1243م) وشقيقه أبو موسى عيسى (ت750ه/1349م) اللذان بدءا رحلتهم في طلب العلم نحو المشرق الأجلة من علمائها كابن القطان وابن جماعة والمرجاني وغيرهم، واجتمعا وعلاء الدين القونوي وجمال الدين القزويني صاحب البيان، وسمعا صحيح البخاري على الحجار، وقامت بينهما وبين تقي الدين بن



مناظرة ظهر فيها عليه<sup>1</sup> وفي فاس لقيا بالسطي والطنجي واليفرني وتلاميذ بن زيتون، وأصحاب أبي عبد الله بن شعيب الدكالي وغيرهم.

وبعد أن «حصل علوم شتى نقلية وعقلية، ورأسا بدمشق، وكان لهما بالشام والحجاز ومصر صيت عظيم»<sup>2</sup> عادا إلى المغرب الأوسط حيث أقاما في مدينة الجزائر ينشران العلم فيها، ثم رحلا منها إلى مليانة، وكان بها الكاتب منديل بن محمد الكناني الذي احتفى بهما بعد أن عرف مكانتهما العلمية فقربهما إليه، واتخذهما معلمين لولده محمدا، ثم عينهما على رأس خطة القضاء، ولما انتهى الحصار الذي كان مضروبا على تلمسان من طرف المرينيين، رحلا من مليانة ودخلا تلمسان في أول المائة الثامنة، وأظهرا علمهما بها حتى صار أبو زيد عبد الرحمن شيخ المالكية بها، ونظرا لمكانتهما العلمية الكبيرة فقد اختصهما أبو حمو موسى الأول<sup>3</sup> بالفتوى والشورى، وبنى لهما المدرسة المعروفة باسمهما، داخل باب كشوط، وجعل لهما فيها إيوانين للتدريس، كما ابنتى لهما بجانب المدرسة دار يسكنان فيها، واختصهما بالفتوى والشورى، وجعلهما من خواص مجلسه، وقد تصدى العلمان للتدريس في هذه المدرسة التي تعد أول مدرسة

<sup>1</sup> المقري، المصدر السابق، ج:5، ص: 216.

<sup>2</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص: 123.

<sup>3</sup> المقري، المصدر السابق، ج:5، ص: 216.

أسست في الجزائر ألا وهي مدرسة ابني الإمام، وفاقت شهرتهما حدود المغرب الأوسط وشدت إليهما الرحلة في طلب العلم<sup>1</sup>.

وقد استمرت مكانتهما الرفيعة في عهد ابنه أبي تاشفين (718-

737 / 1331-1337م)<sup>2</sup> الذي قربهما إليه ولازما مجلسه، وقد طار ذكرهما في الآفاق وعرفا بالإمامة والاجتهاد والتفرد بالرياسة في العلم حتى صاروا مشد رحال الكثير من طلبة العلم، وكثر الآخذون عنهما فتخرج عليهما الكثير من الأعلام كالشريف التلمساني والخطيب ابن مرزوق الجد والمقري جد صاحب النفع وأبو عثمان العقباني وأبو عبد الله اليحصبي وابن عبد النور الندرومي وغيرهم، « ويذكر أهل السير أن أبا زيد أورع من أخيه موسى فقد كان يمتاز عليه بالخشية فقد حكى عنه أبو الفضل بن أبي مدين الكاتب، وقد رآه يوما بباب السلطان ينتظر خروجه فسأله عن حاله فأجاب بقوله: أما الآن فأنا مشرك، فقال الكاتب أعيذك من ذلك فقال الشيخ لم أرد الشرك في التوحيد، لكن في التعظيم والمراقبة، وإلا فأبي شيء جلوسي ها هنا؟»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - زهية خلافي، النسق الفكري لفقهاء المغرب الأوسط من خلال كتاب البستان، كتاب جماعي: قضايا من تاريخ المغرب الأوسط، تقديم وتنسيق، عبيد بوداود، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص229.

<sup>2</sup> Attalah Dhina : le Royaume Abdelouadide à l'èpoque D'abou Hammou Moussa 1<sup>er</sup> Et D'abou Tachfin1<sup>er</sup>, Office des Publications Universitaire, Alger, 1<sup>er</sup>Eduction, 1985, P 188.

<sup>3</sup> عبد الرحمن الجبالي، المرجع السابق، ج: 2، ص: 154.

لقد حضى هذان العالمان ابني الإمام بفضل حسن سلوكهما وعلمهما

بمعاملة خاصة من مختلف الملوك الذين تداولوا على حكم البلاد أو الذين سيطروا  
وعلى تلمسان على وجه التحديد<sup>1</sup>؛ وبخاصة لما استولى السلطان أبو الحسن المريني على  
تلمسان؛ والذي رفع من منزلة ابني الإمام واختصهما بالشورى في بلدهما، وقد أشار من  
ترجم لهما إلى أنهما صنفا تصانيف مفيدة<sup>2</sup> في عدة علوم، لكنهم لم ينقلوا إلينا عناوين  
كتبهم سوى أن أبا زيد ألف شرحا على مختصر ابن الحاجب في الفروع<sup>3</sup>، فقد شغلهم  
التدريس عن التأليف فتخرج على يدهم نخبة من العلماء أمثال: المقرئ الكبير، والشريف  
أبو عبد الله التلمساني، و أسعيد العقباني وابن مرزوق الجد وغيرهم كثير. وبعد  
أن توفي أبو زيد في رمضان سنة إحدى وأربعين وسبعمائة للهجرة، ازدادت مكانة أخيه  
عند السلطان المريني أبي الحسن، مكرم الجانب إلى أن مات في الطاعون الجارف سنة  
تسع وأربعين وسبعمائة للهجرة.

\* أبو موسى عمران المشذالي (ت 745هـ/1345م):

<sup>1</sup> -فايزة بوسلاح، المدارس العلمية بتلمسان في عصر بني زيان إشعاع فكري وحضاري، مجلة عصور الجديدة، العدد 2، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 1432هـ/2011م، ص182.

<sup>2</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص: 123.

<sup>3</sup> التتبعني، المصدر السابق، ص - ص : 291 297.

الفقيه الحافظ الذي كان معدودا من كبار الفقهاء وخيار العلماء والصلحاء، أصله من زواوة بمدينة بجاية، أخذ فيها عن الشيخ أبي علي ناصر الدين وغيره، ذكره ابن خلدون في البغية فقال: « لم يكن في معاصريه أحد مثله علما بمذهب مالك، وحفظا لأقوال أصحابه وعرفانا بنوازل الأحكام، وصوابا في الفتيا، ولقد بز جميع فقهاء المغرب في مسألة الركاب المموه بالذهب غرابة نقل واستدلال عقل»<sup>1</sup> هرب من بجاية عند حصارها إلى مدينة الجزائر<sup>2</sup> وبسبب هذه المكانة العلمية العالية، أرسل إليه السلطان أبو تاشفين فلما قدم بتلمسان احتفل به « فأكرم نزله، وأدام المبرة به والحفاية بجانبه وولاه التدريس بمدرسته الجديدة»<sup>3</sup> فكان يدرس عدة علوم كالفقه والحديث والفرائض والأصليين والمنطق وغيرها.

كان أبو عمران المشدالي كثير الاتساع في الفقه والجدل مديد الباع في غيرهما، وكان يرى بأن عبد الرحمن بن القاسم تلميذ مالك مجتهد مطلق الاجتهاد، واحتج بأنه خالف مالكا في كثير من المسائل، وهذا مما يدل على سعة اطلاع أبي موسى عمران المشدالي، وكانت له فتاوى كثيرة مشهورة، اعتمد الونشريسي فتاويه ونقلها في المعيار، ومن الذين أخذوا عنه العلامة المقرئ، والفقيه أبو العباس أحمد بن أحمد

<sup>1</sup> يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج:1، ص:72.

<sup>2</sup> التبتكتي، نيل الابتهاج، المصدر ، ص: 351.

<sup>3</sup> التتسي، المصدر السابق، ص: 141.



المشوش، والفقير أبو البركات الباروني، والفقير أبو عثمان العقباني<sup>1</sup> كما أن له تأليف

اتخاذ الركاب من خالص الفضة وقد بقي رحمه الله بتلمسان حتى وفاته المنة وهو

راجع من مراكش سنة خمس وأربعين وسبعمئة للهجرة.

\* أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت 771هـ/1369م):

العالم المتقن علامة تلمسان وإمام المغرب قاطبة، الصدر القدوة الشريف نسبا

العظيم قدرا، كان أحد رجال الكمال علما وذاتا وخلقا، عالما بعلوم جمعة،

وعطف السلطان أبي حمو موسى الثاني، وعلت مكانته عنده، فقد استدعاه من فاس

واستقبله بحفاوة وتلقاه « براحتيه وأصهر له في بنته فزوجها له وبنى له مدرسته»<sup>2</sup>.

وتبرز مكانة الشريف التلمساني من خلال أقوال من ترجموا له، فقد حلاه ابن مريم

بقوله: « انتهت إليه إمامة المالكية بالمغرب، وضربت إليه آباط الإبل شرقا وغربا، فهو

علم علمائها ورافع لوائها»<sup>3</sup>.

بلغ رتبة الاجتهاد، وممن صرح ببلوغه رتبة الاجتهاد عصره الامام الخطيب

ابن مرزوق الجد في رسالته التي رد فيها على أبي القاسم الغبريني وأثنى عليه كثيرا،

نشأ بتلمسان وقرأ القرآن على الشيخ أبي زيد يعقوب، وأخذ عن الإمامين ابني الامام

<sup>1</sup> يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج:1، ص: 72.

<sup>2</sup> التتسي ، ص: 432.

<sup>3</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص: 127.



والقاضي أبي عبد الله بن هدية القرشي، وعن عبد الله المجاصي، والقاضي التميمي، وأبي عبد الله محمد بن محمد البروني، وعمران المشدالي، والقاضي ابن عبد النور، ولازم الامام الأبلي وانتفع به كثيرا، كما أخذ عن ابن عبد السلام التونسي، والعالم السطي بفاس. ومن الذين أخذوا عن الشريف التلمساني، ولده أبو محمد والإمام الشاطبي وابن زمرك وإبراهيم الثغري وأبو عبد الله القيسي وابن خلدون وابن عباد وابن السكاك وابن علي الميورقي والشيخ الولي إبراهيم المصمودي<sup>1</sup> وغيرهم.

وصل في التفنن في العلوم الغاية فقد جمع بين الحق والحقيقة، قام بتفسير القرآن الكريم خمسا وعشرين سنة بحضرة أكابر الملوك والعلماء والصلحاء وصدور الطلبة لا يتخلف منهم أحد، وكان عالما بقراءاته ورواياته وفنون علومه، من ناسخ ومنسوخ وبيان أحكامه، مع إمامته في الحديث وفقهه وغريبه ومتونه ورجاله، فلما أكمل أبو عبد الله الشريف ختم تفسيره احتفل بذلك السلطان أبو تاشفين الثاني وأطعم الناس فكان موسما عظيما<sup>2</sup>.

واعترف له شيخه الأبلي بكثرة علومه التي درسها ونبغ فيها فقال: «قرأ علي كثير شرقا وغربا، فما رأيت فيهم أنجب من أربعة، أبو عبد الله الشريف أنجحهم عقلا

1 التتبعي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص: 431.

2 التتسي، المصدر السابق، ص: 180.

وأكثرهم ،<sup>1</sup> « ولما فسر الشريف القرآن بحضرة السلطان أبي عنان اندهش بما أتى به وقال عند فراغه: إني لأرى العلم يخرج من منابت شعره<sup>2</sup> قال عنه يحيى بن خلدون كان « لا يعزب عن علمه فن عقلي إلا وقد أحاط به»<sup>3</sup> إن الأبلي كان إذا أشكلت مسألة على الطلبة يقول لهم: انتظروا أبا عبد الله الشريف لينظر فيها، لاشتهاره بالبحث الدقيق، وللشريف التلمساني تأليف منها: "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول" وشرح جمل الخونجي في المنطق شرحا عجيبا.

## 2 أعلام الفقه في القرن الـ الهجري:

\* محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني (ت 871هـ/1466م):

يكنى بأبي عبد الله الإمام الحاج، وهو رابع علماء الأسرة العقبانية ومن الثلاثة الأوسع شهرة بعد الجد الأقرب قاسم العقباني، والجد الأعلى سعيد العقباني، ولد بتلمسان

<sup>1</sup> التنبكتي، المصدر ، ص:435.

<sup>2</sup> التنبكتي ص: 436

<sup>3</sup> يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج:1، ص:57.

804 / 1401م نشأ و ترعرع به<sup>1</sup> من فقهاء تلمسان وعلمائها البارعين، حاز

على منصب قاضي الجماعة بتلمسان، بعد أن أخذ العلم عن أكابر علمائها أمثال:

— جده قاسم العقباني، ولم تشر المصادر إلى بقية شيوخه واكتفت بكلمة " وغيره " أي من

علماء تلمسان، فنال العلم المطلوب في مختلف أصناف العلوم والفنون ليصل إلى منزلة

علماء وفقهاء تلمسان.<sup>2</sup>

— أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد<sup>3</sup> (ت 842 / 1438م).

ومن تلامذته الذين تأثروا به ونشروا علمه نذكر:

— أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي<sup>4</sup> (ت 914 / 1508م) وقد جمع له فتاويه في

المعيار. وأحمد بن حاتم وغيرهما، وذكره الشيخ زروق : كان فقيها

عارفا بالنوازل<sup>5</sup> حيث اعتمد عليه الونشريسي كمصدر من المصادر التي استقى منها

مادة كتابه المعيار.

<sup>1</sup> أبو عبد الله محمد العقباني: تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي،

نشره في: Extrait du bulletin d'études orientales de l'institut français de DAMAS, T, XIX, 1967

ص - ص 157 - 206.

<sup>2</sup> نصر الدين بن داود: المرجع السابق، ص: 84.

<sup>3</sup> السخاوي: المصدر السابق، ص، ص: 50 51.

<sup>4</sup> ابن مريم : المصدر السابق، ص، ص: 53 54.

<sup>5</sup> التتبعاتي، المصدر السابق، ص: 548.

– الفقيه المالكي أحمد بن حاتم البسطي<sup>1</sup>، وهو أحمد بن حاتم بن محمد بن حاتم بن عبد الله البسطي الصنهاجي الحبسي الفاسي، نزيل القاهرة، و يعرف عند المصريين بحاتم، من كبار علماء زمانه<sup>2</sup>.

توفي محمد العقباني بعد عزله من منصبه في 23 من ذي الحجة سنة 871 / 1467م<sup>3</sup>، و دفن بالجامع الأعظم قرب ضريح العلامة ابن مرزوق الحفيد.

ويعدّ مصنفه "تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر" أطول عمل في الحسبة المالكية على رأي موسى لقبال<sup>4</sup>، وأشهر تأليف على الحسبة في المغرب الاسلامي على رأي عبد الحميد حاجيات<sup>5</sup>.

\* محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1439م):

<sup>1</sup> ابن مريم : المصدر السابق ، ص: 224.

<sup>2</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 15 - 17، ج4، ص303، ج5، ص 107 - 109، ج7، ص248، ج8 ص232.

<sup>3</sup> ابن مريم : المصدر السابق ، ص: 224.

<sup>4</sup> موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها و تطورها، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1971. ص: 83.

<sup>5</sup> عبد الحميد حاجيات: نور وظيفة الحسبة بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان من خلال كتاب " الناظر" عبد الله محمد العقباني المتوفى 871 / 1467م، مجلة القرطاس للدراسات الحضارية و الفكرية، مختبر الدراسات الفكرية

والحضارية، جامعة تلمسان، العدد الثاني، جانفي 2015، ص11.

من مواليد تلمسان نشأ بها وتعلم على يد والده وأعمامه، وبعضاً من علماء وقته أمثال أبي محمد عبد الله الشريف التلمساني، وسعيد العقباني، وأبي الحسن الغماري وأبي إسحاق المصمودي وغيرهم.. ولقي في رحلته إلى تونس الامام ابن عرفة وأبا العباس القصار، وفي مصر أخذ عن جماعة كأبي السراج البلقيني، والحافظ العراقي والفيروز آبادي صاحب المحيط، والنويري صاحب نهاية الأرب في فنون الأدب، ثم كانت له رحلة أخرى في طلب العلم حيث حج بيت الله الحرام سنة 790هـ فلقى البهاء الدماميني، والعقيلي، ثم كانت له رحلة أخرى إلى بيت الله الحرام سنة 819هـ حيث لقي الحافظ بن حجر العسقلاني وأخذ عنه، كما أجازته جماعة من العلماء في الأندلس منهم محمد بن جزري، والحافظ بن علاق، وابن الخشاب وأبو عبد الله القيحاوي وغيرهم.

كان ابن مرزوق عالماً بمذهب مالك، وأصولياً محققاً، وحافظاً للحديث، ومفسراً للقرآن الكريم، « كان رحمه الله آية في تحقيق العلوم والاطلاع المفرط على المنقول والقيام التام على الفنون بأسرها، أما الفقه فهو فيه مالك ولأزمة فروعه حائز ومالك، فلو رآه الإمام مالك لقال له تقدم فلك العهد والولاية، وتكلم فمناك يسمع فقهي بلا<sup>1</sup> »

فقد كان واسع الإطلاع، محققاً جامعاً بين المنقول والمعقول، حتى اشتهر بقوة اجتهاده، وبلغ مبلغاً عظيماً أهله لأن يدعى شيخ الإسلام، فكثير الآخذون عنه نذكر منهم، عمر

<sup>1</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص: 201.



القلشاني، ونصر الزواوي والحسن أبركان، والمشذالي، وأحمد بن عبد الرحمن الندرومي، وشهاب الدين بن كحيل، وأبي البركات الغماري، وأبو العباس بن أبي يحيى الشريف قاضي الجماعة بغرناطة، وأحمد بن يونس القسنطيني، وأبو الحسن القلصادي وعيس بن سلامة البسكري، ويحيى بن يدير، وأبو عبد الله التنسي وابن زكري، ابن مخلوف الثعالبي وغيرهم .

وقد ترك ابن مرزوق الحفيد عدة مؤلفات تشهد له بتضلعه في العديد من العلوم منها كتاب " المفاتيح المرزوقية في حل أقفال وخبايا الخزرجية" في العروض و" المتجر الربيع في شرح الجامع الصحيح" وبعض الأراجيز منها أرجوزة "الروضة في الحديث"، وأرجوزة في الميقات سماها "المقتع الشافي" و أرجوزة في ألفية محاذاة الشاطبية، وأرجوزة نظم بها تلخيص ابن البناء، وأرجوزة نظم بها جمل الخونجي، وأرجوزة اختصر بها ألفية بن مالك، وشرح على البردة سماه " إظهار صدق المودة" وكتاب " إسماع الصم في إثبات الشرف من جهة الأم " و "المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطسية" و" المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج " وهو عبارة عن أجوبة على مسائل في النحو والمنطق، و" مختصر الحديقة" اختصر فيه ألفية العراقي، أما في التفسير فله تفسير سورة الإخلاص وكتاب " إغتنام الفرصة في محادثة علم " ورسالة في الفتوى " الدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم" و" مختصر

الحاوي في الفتاوى لابن عبد البر" ، أما تأليفه في الحديث فنذكر منها: الاعتراف في ذكر ما في لفظ عن أبي هريرة من الانصراف: وأنوار الدراري في محررات البخاري وله أيضا بعض الشروح منها : " شرح على ابن الحاجب" و " شرح التسهيا " وثلاثة شروح على البردة للإمام البصري، وله أيضا " الروض البهيج في مسألة الخليج" ورسالة ترجم فيها لشيخه ابراهيم المصمودي، و"تور اليقين في شرح أولياء الله المتقين"، كما أن له بعض الكتب التي لم ينتهي من تأليفها ككتاب "الدليل الموفي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي" وشرح صحيح البخاري سماه " المتجر الربيح والسعي الرجيح والرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح" و " المنزع النبيل في شرح مختصر " و " روضة الأريب في شرح التهذيب" وغيرها من التأليف الدالة على إحاطته عديد من العلوم، وكانت وفاة ابن مرزوق رحمه الله في تلمسان سنة اثنين وثمانين وثمانمائة<sup>1</sup> للهجرة بعد أن قضى ستة وسبعين سنة في خدمة العلم والدين.

\* يحيى بن عيسى بن عيسى بن يحيى المازوني (ت 883 / 1478م):

يسى بن عيسى المازوني أبو زكريا، فقيه قاض من أعيان المالكي مازونة، « أخذ العلم عن والده وعن أئمة وقته كابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني وابن زاغو وغيرهم، فنجب وتولى قضاء بلدة مازونة فكان إمام المحققين ومرجع أهل

<sup>1</sup> السخاوي، المصدر السابق، ج: 7، ص: 50.

الشورى في الأحكام الشرعية وغيرها معتمدا في مذهب مالك، حاملا لواءه بالمغرب في عصره مطلقا على دقائق المسائل وفتاوى العلماء فيها.

يحي المازوني من التأليف كتابه المشهور " الدرر المكنونة في نوازل مازونة " وهو كتاب جليل حافل بفتاوى المتأخرين من علماء الجزائر وتلمسان وبجاية وتونس والمغرب الأقصى في شتى المسائل جامع لأبواب الفقه<sup>1</sup>. في سفرين عظيمين ومنه استمد الونشريسي مادته في المعيار<sup>2</sup> مع نوازل البرزلي وأضاف لهم ما تيسر من فتاوى أهل فاس والأندلس<sup>3</sup> تولى قضاء بلدته مازونة على فقه الإمام مالك<sup>4</sup> رحمه الله، فكان إمام المحققين، ومرجع أهل الشورى في الأحكام الشرعية وغيرها<sup>5</sup>.

الونشريسي: " الصدر الأوحد العلامة العلم الفضال ذي الخلال السنية، الخصال...ومولانا وبركة بلادنا أبي زكرياء سيدي يحيى... "6. توفي بتلمسان

883 / 1478م.

<sup>1</sup> عبد الرحمن الجيلالي : المرجع السابق، ج:2، ص: 287.

<sup>2</sup> - فنذور ماحي، المرجع السابق، ص60.

<sup>3</sup> التبتكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص : 637.

<sup>4</sup> - فريد قموح، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، أبو زكرياء يحيى بن موسى المغيلي التلمساني (ت1478/883م)، دراسة وتحقيق لمسائل الجهاد والأيمان والنذور، ماجستير في علم المخطوط العربي، جامعة قسنطينة، 1431-1432هـ / 2010-2011م، ص49.

<sup>5</sup> - فنذور ماحي، المرجع السابق، ص60.

<sup>6</sup> الونشريسي، المصدر السابق، ج:2، ص53.

\* محمد بن عبد الكريم المغيلي (831 / 909هـ / 1503 - 1427م):

أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، نشأ بتلمسان وبدأ تعليمه بها؛ ثم انتقل إلى مدن أخرى بالمغرب الأوسط، وأخذ العلم عن أئمتها أمثال: عبد الرحمن الثعالبي ويحيى بن يدير وغيرهم، كان من أكابر العلماء وأفاضل الأتقياء، وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>1</sup>، وكان رحمه الله مقداما على الأمور ترجم له التتبيكتي بقوله: « خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني أحد ممن له بسطة في الفهم والتقدم متمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين.... وكان رحمه الله مقداما على الأمور جسورا جريء القلب فصيح اللسان محبا في السنة، جدليا نظارا محققا<sup>2</sup>، وقد وقع له بسبب حرصه على الذب عن الدين وقائع حصلت له مع بعض فقهاء بلده، بسبب جهود توات الذين أرادوا إحداث كنائس لهم في تلك المنطقة، فقام عليهم وقتلهم وهدم تلك الكنائس بعد أن راسل واستفتى في ذلك علماء فاس وتونس وتلمسان كالإمام محمد بن يوسف السنوسي، والحافظ التنسي، والرصاص مفتي تونس، وأبو مهدي الماواسي وابن زكري مفتي تلمسان، والقاضي أبو زكريا يحيى بن أبي البركات الغماري وعبد الرحمن بن سبع التلمسانيان وغيرهم، وقد كان قصد المغيلي هو دعم موقفه بفتاوى هؤلاء العلماء.

<sup>1</sup> ابن عسكر الشفشاوني: المصدر السابق، ص: 130.

<sup>2</sup> التتبيكتي، المصدر السابق، ص، ص: 576 577.



فلما جاءته الردود التي تؤيد موقفه أصدر فتواه بتحريم بناء كنائسهم وهدم ما بها، ولبس هو ومناصروه آلات الحرب وقاموا بتنفيذ فتواه وقتل من عارضهم من اليهود، ثم كانت للمغلي رحلة بعدها إلى بلاد السودان الغربي بغرض الدعوة والإرشاد حيث ساهم في تنشيط الحركة العلمية بها، وسعى إلى نشر العلم بشتى فروع العقلية والنقلية بالعديد من المدن السودانية التي زارها أو استقر فيها، تاركا ورائه إشعاعا ساهم في تفعيل الحياة العلمية والدينية، كما تجدر الإشارة إلى المكانة الرفيعة التي كان يحظى بها لدى ملوك تلك البلاد، فقد استطاع المغلي من خلال ثقافته الواسعة أن يكسب حب وثقة شعوب المنطقة وحكامها، ولعل أصدق دليل على ذلك هو الأسئلة التي تلقاها من الأسكيا وقيامه بالاجابة عنها.

كما ترك المغلي رحمه الله عدة مؤلفات نذكر منها: " البدر المنير في علوم التفسير"، و "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"، في كراسين أرسله للسوسى وابن غازي فقرضاه و" مغني النبيل شرح مختصر خليل"، اختصر فيه جدا ووصل فيه إلى القسم بين الزوجات، وله عليه قطع آخر من البيوعات وغيرها، وقيل إنه شرح ثلاثة أرباع المختصر وحاشية عليه سماها إكليل المغني و" شرح بيوع الآجال من ابن الحاجب"، فبحث فيه مع ابن عبد السلام و" مفتاح النظر في علم الحديث"، فيه أبحاث مع النووي في تقريبه وشرح الجمل في المنطق ومقدمة فيه ومنظومة فيه سماها "



الوهاب" وثلاثة شروح عليها و" تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين"، وشرح خطبة المختصر، ومقدمة في العربية، وكتاب الفتح المبين وفهرسة مروياته، وعدة قصائد كالميمية على وزن البردة ورويتها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، و" أسئلة الأسكيا وأجوبة المغلي" وغيرها، وكانت وفاته رحمه الله بتوات سنة تسع وتسعمائة للهجرة .

### 3 أعلام الفقه في القرن العاشر الهجري:

\* أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرئ (928هـ/1522م):

عالم تلمسان في وقته، ومفتيها ستين سنة، وهو عم صاحب " نفح الطيب" ولد بتلمسان وأخذ عن علمائها أمثال سيدي محمد بن عبد الرحمن الوهراني، وسيدي شقرون بن هبة الوجدجي<sup>1</sup>، وسيدي عمر الراشدي، وعن أبي مالك الونشريسي، وأبي الحسن، وأبي محمد الزقاق وغيرهم<sup>2</sup> وهم من علماء فاس مما يدل على أن صاحب الترجمة

<sup>1</sup> شقرون الوجدي : محمد شقرون بن هبة الوجدجي التلمساني، فقيه نوازلي، له شرح على التلمسانية في الفرائض وكان عارفا بالأصلين والبيان والمنطق. ينظر: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، درة الحجال المصدر السابق، ج:2، ص: 215.

<sup>2</sup> ابن القاضي، المصدر السابق ج:3، المصدر نفسه، ص: 300.

شد الرحلة إلى فاس لطلب العلم<sup>1</sup> كما أخذ عن والده أحمد، مما يشير كما ذكر أحد الباحثين<sup>2</sup> إلى مشاركة والده في تنشيط الحركة العلمية بتلمسان.

ترجم له تلميذه ابن مريم المديوني فقال: « فقيه تلمسان وعالمها ومفتيها وخطيبها بالجامع الأعظم خمسا وأربعين سنة.... كان علامة في التوحيد والفقه... وكان ذا عفة وصيانة وهمة وقريحة، أتقن كل علم<sup>3</sup> أخذ العربية عن الشيخ عمر الراشدي، وأخذ الفقه والأصول والمنطق عن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الوهراني، اشتغل بالتدريس وتخرج على يديه الكثير من العلماء منهم ابن أخيه أحمد المقرئ صاحب كتاب نفع الطيب، كما ذكرنا، ومنهم ابن مريم صاحب كتاب البستان، ومحمد بن قاسم الحوبل، والحاج بن مالك العبادي، وأحمد بن أبي عبد الله اليزناسي<sup>4</sup> وابن القاضي صاحب " درة الحجال"<sup>5</sup> وخلق كثير مما يدل على كثرة عطائه وغزارة علمه، وعلو

\* محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني (ت 920هـ/1514م):

<sup>1</sup> صر الدين بن داود، المرجع السابق، ص: 71.

<sup>2</sup> نصر الدين بن داود، المرجع ، ص: 71.

<sup>3</sup> ابن مريم المصدر السابق، ص، ص: 104 105.

<sup>4</sup> ابن مريم، المصدر ، ص: 104.

<sup>5</sup> لويهض، المرجع السابق، ص: 312.

محمد بن أحمد بن محمد بن أبي يحيى بن أحمد الخطيب بن مرزوق المعروف بالخطيب الثاني، وهو سبط ابن مرزوق الفقيه المالكي المحدث ذكر ابن مريم أن أب عبد الله بن العباس ترجم له : « آخر علماء قطرنا الآخذ من كل فن بأوفر نصيب الحائز قصب السبق في ذلك ... صدر الحفاظ المبرزين وإمام الجهابذة النقاد المتقنين»<sup>1</sup> وهو سبط ابن مرزوق الحفيد، ولد بتلمسان ونشأ بها، وأخذ عن علمائها وفقهائها ، محمد العباس وغيرهم، فصار بذلك من كبار علماء المالكية في عصره.

وتبرز مكانة هذا العالم الفقيه من خلال الشيوخ الذين تلقى العلم عنهم أمثال خاله ابن مرزوق الكفيف الذي يعد من أعيان فقهاء المالكية بتلمسان، كما أخذ العربية عن أبي عبد الله بن العباس<sup>2</sup>، أحد علماء تلمسان في النحو واللغة، وكانت وفاته رحمه الله بتلمسان في حدود عشرين وتسعمائة للهجرة.

\* أحمد بن يحيى الونشريسي ( 834-914هـ/1430-1509):

أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني، وهذا ما اتفق عليه الكثير ممن ترجموا للونشريسي<sup>3</sup> من كبار فقهاء المذهب المالكي

<sup>1</sup> ابن مريم المصدر نفسه، ص: 251.

<sup>2</sup> ابن مريم المصدر السابق، ص: 259.

<sup>3</sup> من الذين ترجموا للونشريسي نجد : أحمد بن القاضي، ذرة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق، محمد الحمدي، دار التراث، مصر، 1970، ج1، ص 91-92، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي

المغرب كله نشأ بتلمسان ودرس على أكابر علمائها أمثال ابن مرزوق الكفيف وقاسم العقباني وغيرهم، ترجم له ابن عسك الشفشاوني فقال: « الإمام العالم والعلامة المصنف الأبرع، الفقيه الأكمل الأرفع، البحر الزاخر، والكوكب الباهر، حجة المغاربة على أهل الأقاليم، وفخرهم الذي لا يجده جاهل ولا عالم... كان رحمه الله من كبار العلماء الراسخين، والأئمة المحققين، ألف المعيار المغرب... في سبعة أسفار فاز به الأوائل والأواخر، ولقد رأيت مر يوما بالشيخ ابن غازي بجامع القرويين، فقال بن غازي لمن كان حوله من الفقهاء: لو أن رجلا حلف بطلاق زوجته أن أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك أصوله وفروعه لكان باراً في يمينه ولا تطلق عليه زوجته، لتبحر أبي العباس وكثرة اطلاعه وحفظه وإتقانه»<sup>1</sup>. و للونشريسي الكثير من المصنفات التي تركها نذكر منها: " المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب" في اثني عشر جزءاً قال التتبيكتي عنه: جمع فأوعى وحصل فوعى، و " غنية المعاصر والتالي على وثائق الفشتالي " وألف " إيضاح المسالك إلى قواعد مذهب مالك " و " نوازل المعيار " و " إضاءة الحلك في الرد على من أفتى بتضمين الراعي المشترك " رسالة صغيرة، و " الفروق " في مسائل الفقه، و " المنهج

المديوني، البستان المصدر السابق، ص53-54، الزركلي، الأعلام، المصدر السابق، ج1، ص255-256 :  
الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات، ج1، ص475، محمد ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية  
دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ، ج1، ص274.

<sup>1</sup> الشفشاوني، المصدر السابق، ص: 47.



الفائق والمنهل الرائق في أحكام الوثائق" و" اختصار أحكام البرزلي" و " القصد الواجب في معرفة اصطلاح ابن الحاجب" و " الولايات" وهو كتاب في مناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، و" الوفيات" ويعرف بوفيات الونشريسي، وكتاب في ترجمة المقرئ الكبير صاحب نفح الطيب، و " فهرست"<sup>1</sup> إن الونشريسي لم يقتصر على جمع ألفين ومائة وخمس وثلاثين فتوى؛ أصدرها رجال فقهاء معاصرون له وآخرون متقدمون عليه؛ بل عمد إلى تصنيفها والتعليق عنها،...إلى الترجيح والتضعيف والقبول والرد<sup>2</sup>، مما أكسب المعيار قيمة مرجعية كبيرة؛ جعلته معتمدا بعد وفاة الونشريسي لعدة قرون؛ وما زال إلى يومنا هذا يوفر القسط الكبير من التراث التشريعي لبلاد المغرب الإسلامي؛ وما زالت الاستفادة من دفائنه مستمرة.

كانت عناية علماء المغرب الأوسط بشتى فنون العلوم الدينية، كالفقه والتفسير والحديث وعلومه، وعلم القراءات، وأحكام القضاء، والتواريخ والفهارس والبرامج والأبحاث وغيرها وقد ألفوا فيها مؤلفات كثيرة، وهو ما يعطينا صورة واضحة عن مدى موسوعية هؤلاء العلماء وتضلوعهم في مختلف الفنون.

– أهم أعلام التصوف ما بين القرنين 8-10 / 14-16 م :

<sup>1</sup> نويبيض، المرجع السابق، ص: 344.

<sup>2</sup> حميدة النيفر، المعيار والهوية والحوار، قراءة في التجربة التاريخية في الغرب الإسلامي، مجلة آفاق للثقافة والتراث، العدد 24، 1996، ص67.



## 1 أعلام التصوف في القرن الثامن الهجري:

\* أبو العباس أحمد بن مرزوق (ت 741هـ/1341م):

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق الشهير بالحفيد، وهو والد ابن مرزوق الكفيف التقي الصالح الناصح الزاهد العابد الورع البركة الخاشع الخاشي، الصوفي الأواب، الولي الصالح العارف بالله حجة الله على خلقه الجامع بين المعقول والمنقول والحقيقة والشريعة، المتفق على علمه وصلاحه وهديه، صاحب الكرامات والإستقامات، المعروف بالزهد والورع<sup>1</sup>.

أخذ تعلماً أولاً على يد والده الشيخ الفقيه أبي العباس أحمد وعمه، وروى عن جده بالإجازة، كما أخذ عن علماء أجلة منهم أبو عبد الله الشريف التلمساني، وسعيد القباني، وأخذ التصوف عن الشيخ الولي العابد إبراهيم المصمودي، وأخذ بتونس عن ابن عرفة وأبي العباس القصار التونسي، وأخذ العلم بفاس عن النحوي أبي حيان، وأبي زيد المكودي وغيرهما، وأخذ بمصر عن جماعة منهم السراج البلقيني، والحافظ العراقي، والشمس الغماري، والسراج بن الملقن، والمحجب بن هشام ابن صاحب "المغني" والنور

<sup>1</sup> المقري، المصدر السابق، ج : 5، ص - ص : 422 - 423.

النويري والولي ابن خلدون، والقاضي التنسي وغيرهم<sup>1</sup> إن هذه الكثرة من الشيوخ وتنوعهم إنما يدل على كثرة استيعاب ابن مرزوق للعديد من العلوم، وسعة اطلاعه ورسوخ قدمه في العلم.

قال في حقه بلديه أبو الفرج بن أبي يحيى الشريف التلمساني: «

الصالحين، وخالصة مجد النقي والدين، نتيجة مقدمات المهتمين، حجة الله على العلم والعالم، جامع بين الشريعة والحقيقة على أصح طريقة»<sup>2</sup> اتصف بالزهد والورع، واشتهر بإجابة الدعوة وكان صاحب كرامات، صالحا زاهدا ورعا<sup>3</sup> قرأ عليه الكثير من أهل تلمسان وانتفعوا به، منهم الولي الصالح عبد الرحمن الثعالبي، والعلامة أبو عبد الله التنسي و القلصادي الذي ذكره في رحلته بقوله: « الشيخ الفقيه الإمام العلامة الكبير الشهير، شيخنا وبركتنا سيدي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق»<sup>4</sup> وقد أجمع الناس على فضله من المغرب إلى الديار المصرية<sup>5</sup>، وروى ابن قنفذ القسنطيني عن جده أن أبا العباس بن مرزوق كانت عنده عكاز ومرقعة الشيخ<sup>6</sup> أبا مدين شعيب، فقد

<sup>1</sup> المقري: المصدر ، ج:5، ص:428.

<sup>2</sup> المقري: المصدر ، ج:5، ص:423.

<sup>3</sup> يحيى بن خلدون: ج: 1 المصدر السابق، ص:50.

<sup>4</sup> أبو الحسن علي القلصادي: رحلة القلصادي، : محمد أبو الألفان، الشركة التونسية للتوزيع: تونس1978م، ص:96.

<sup>5</sup> المقري: المصدر ، ج:5، ص:425.

<sup>6</sup> ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق، ص:94.

كان « أبو العباس هذا من تلاميذ الشيخ الصالح الذي اختص خدمة الشيخ أبي مدىن وكان سالكا طريقته وبعده تولى أحمد بن مرزوق خدمة الشيخ الصالح وذلك برعاية وصيانة ضرىحه وإتباع طريقته وتبليغها لمن بعده، وبقاء عكاز الشيخ ومرقعته عنده يدل المنزلة الكبيرة، والدرجة العالية أبي العباس بن مرزوق في خدمة ضرىح الشيخ شعيب<sup>1</sup> فنال بذلك بركته وصار صاحب كرامة واستقامة.

وتظهر مكانة ابن مرزوق الحفيد العلمية من خلال كثرة وتعدد العلوم التي كان يدرسها، فقد ذكر تلميذه أبو الفرج بن أبي يحيى التلمساني أنه قرأ عليه جملة من تفسير القرآن، ومن الحديث صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذي وأبي داود، والموطأ، ومن العربية نصف "المقرب" وجميع سيبويه، وألفية ابن مالك والمغني لابن هشام، ومن الفقه "التهذيب" وابن الحاجب الفرعي، وبعض مختصر خليل، والتلقين وثلاثي الجلاب، والبيان لابن رشد، وبعض الرسالة<sup>2</sup>.

كما تظهر مكانته العلمية أيضا في كثرة تلاميذه الذين أخذوا عنهم واشتهروا بالعلم، عبد الرحمن الثعالبي، والقاضي عمر القلشاني، نصر الزواوي، والولي الصالح الحسن أبركان، وابنه، وأبي البركات الغماري وأبي الفضل المشدالي، وقاضي غرناطة

<sup>1</sup> بن داود نصر الدين: المرجع السابق، ص: 269.

<sup>2</sup> المقري: المصدر السابق، ج: 5، ص: 424.

أبي العباس ابن أبي يحيى الشريف، وأبي العباس الندرومي، والعلامة يحيى بن يدير، وأبي الحسن القلصادي، والشيخ عيسى بن سلامة البسكري، والحافظ التنسي<sup>1</sup> وغيرهم كثير، وهذا مما يدل على سعة علم ابن مرزوق وتبحره في كثير من العلوم، ناهيك عن اشتهاره بالتصوف وأحواله ورسوخ قدمه فيه.

\* ابراهيم بن موسى المصمودي (ت 805هـ/1403م):

ابراهيم المصمودي من صنهاجة المغرب ولد بمكناسة وبها نشأ وتعلم، ذكره ابن سعد في النجم الثاقب فقال: «أحد من أوتي الولاية صبيا وحل من رياسة العلم والزهد»<sup>2</sup>، وهو أحد شيوخ ابن مرزوق الحفيد، فقد ذكر ابن مريم بأن ابن مرزوق أفرد له تأليفا ترجم له فيه ومما جاء في هذه الترجمة قوله: «الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدرس رئيس الصالحين والزاهدين في وقته صاحب الكرامات الماثورة والديانة المشهورة الولي بإجماع أهل زمانه المجاب الدعوة ابراهيم المصمودي»<sup>3</sup> أخذ العلم بفاس عن جماعة من الأكابر، منهم الامام حامل راية الفقهاء في عصره موسى العبدوسي والإمام المشهور المعروف محمد الأبلي، وأكثر قراءته على شريف العلماء أبي عبد الله

<sup>1</sup> السخاوي، المصدر السابق، ج : 7، ص: 50.

<sup>2</sup> لحاج محمد: مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، " الجزء الأول" دراسة وتحقيق. منكرة نيل شهادة الماجستير، إشراف: بن معمر محمد، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2007/2008م، ص: 95.

<sup>3</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 64.



الشريف التلمساني وبعد وفاة هذا الأخير انتقل إلى المدرسة التاشفينية حيث أخذ العلم عن العلامة خاتمة قضاة العدل القاضي سعيد العقباني<sup>1</sup> عندما رحل إلى تلمسان، وكان رحمه الله من أهل الزهد والورع، أحب الناس مذاكرة للعلم، لا يسمع بأحد من أهل العلم إلا اجتمع به وذاكره فيه، وكان أعلم الناس بسير السلف وأخبار العلماء الصالحين، وله كرامات مشهورة.<sup>2</sup>

التنبكتي « مازال مقبلا على العلم والعبادة والاجتهاد في المجاهدة، أخذنا بالغاية القصوى، ورعا وزهدا وإيثارا، مثابرا على البر، متبعا طريق السلف»<sup>3</sup> فحاز بذلك منزلة عليا بين معاصريه.

\* أبو عبد الله محمد بن عمر الوهراني (843هـ/1440م):

القطب الولي العارف الصالح أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري، كان كثير السياحة شرقا وغربا، برا وبحرا، سافر إلى فاس وأخذ عن موسى العبدوسي والقباب، ثم انتقل إلى بجاية وأخذ عن عبد الرحمن الوغليسي وغيره وكان يحب أهل بجاية لعطفهم على الغريب والفقير، ويحدث عن أهلها بغرائب كثيرة فيقول: « ما لقيت مثلهم

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر نفسه، ص: 65.

<sup>2</sup> الحفناوي، المرجع السابق، ج: 2 ص: 14.

<sup>3</sup> التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص: 55.



في غيرها من البلاد»<sup>1</sup> وسافر لأداء مناسك الحج ولقي في طريقه بمصر الحافظ القرافي وغيره، وجاور مدة بالحرم الشريف، ثم انتقل بعدها إلى بلاد الشام، واستقر في جامع بني أمية مدة، وقد اختار الشيخ محمد الهواري مدينة وهران مستقرا له، مثابرا، العلم والعمل، وبلغت كراماته التواتر، حيث ذكرت العديد من التراجم التي تعرضت لسيرته<sup>2</sup> أنه كان مقطوعا بولايته، وآية من آيات الله في فنونه ومكاشفاته « وقد أجمع على تعظيمه وتسليم التقديم له في الولاية كل من عاصره في بلاد المغرب من الأولياء، وقد سافر الشيخ سيدي الحسن بن مخلوف لزيارته من تلمسان حافيا راجلا من باب البلد إلى أن بلغه تأدبا معه وإنما يعرف الأولياء أمثالهم ومن ذاق شيئا من فتوحاتهم »<sup>3</sup>.

وضع الشيخ محمد الهواري كتابا في علم التصوف مبسطا للفقراء والأولاد سماه " السهو" لم يراعي فيه أوزان الشعر ولا العربية، فلما أدخل عليه بعض الفقهاء واسمه أبو زيد عبد الرحمن المقلش أشياء لإصلاحه، حيث أعرب فيه أشياء ووزن أشياء أنكر عليه الشيخ الهواري ذلك ونهاه عن تعديل ما جاء في كتابه وقال له: « هذا السهو يقال و المقلش، وأما سهوي فهو أن الفقراء إنما ينظرون فيه إلى المعنى، ومن أين

<sup>1</sup> ابن سعد: المصدر السابق، ص: 229.

<sup>2</sup> ينظر ترجمته في: البستان، ص: 228. نيل الابتهاج، ص: 516. درة الحجال، ج: 2، ص: 289. تعريف الخلف، ج: 1، ص: 170. الضوء اللامع ج: 8، ص: 272.

<sup>3</sup> ابن مريم: المصدر ص: 229.

العربية والوزن لمحمد الهواري، بل سهوي يبقى على ما هو عليه<sup>1</sup>، وعندما قرب أجله كان أكثر كلامه على التبشير بسعة رحمة الله تعالى، وبقي على حالة الصلاح إلى أن توفي بوهران سنة (843هـ/1440م).

\* أحمد بن زاغو المغراوي التلمساني (742-845 / 1380-1441م):

الإمام الفاضل الولي الصالح الصوفي الزاهد، العلامة المصنف الناسك العابد، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهير بن زاغو، العلامة المحقق المتفنن القدوة الناسك العابد، أخذ عن إمام المغرب أبي عثمان سعيد العقباني، وعن السيد العارف ابن يحيى الشريف وغيرهما<sup>2</sup>، ومن تلامذته الذين أخذوا عنه جماعة كابن زكري، ويحيى بن يدير، والعالم المصنف ابن زكريا يحيى المازوني، والحافظ التنسي، وأبو الحسن القلصادي وغيرهم، وقد ذكره هذا الأخير في رحلته فقال: « شيخنا وبركتنا الفقيه الإمام المفتي المصنف المدرس المؤلف، ذلك سيدي أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي الخزري شهر بابن زاغو رضي الله عنه، أعلم الناس في وقته بالتفسير وأفصحهم، فاق نظراءه وأقرانه في دلائل السبل والمسالك، ذي سبق في الحديث والأصول والمنطق وقدم راسخة في التصوف، مع الذوق السليم والفهم المستقيم وبه

<sup>1</sup> الحفناوي، المرجع السابق، ص: 171.

<sup>2</sup> التميكتي: المصدر نفسه، ص: 118.

يضرب المثل في الزهد والعبادة، وعند كلامه تقف الفتيا في الأذكار والإرادة، مقبل على الدنيا معرض عن الآخرة»<sup>1</sup>.

ترك ابن زاغو عدة مؤلفات منها: "تفسير الفاتحة"، غاية في الحسن كثيرة الفوائد، و"شرح التلمسانية" في الفرائض، و"تهى التوضيح في عمل الفرائض و"حكم بن عطاء الله" وشرحها لابن عباد، و"لطائف المنن" و"أقضية مختصر خليل" و"ابن الحاجب الفرعي" وبعض الأصلي، وتأليف أبي يحيى الشريف على المغفرة، والإحياء ومختصره للبلالي، وله فتاوى عديدة في أنواع العلوم، نقل منها جملة في المازونية والمعيار<sup>2</sup> وغيرها من التأليف الدالة على إحاطته بكثير من الفنون، فقد كان رحمه الله يقوم بتدريس التفسير والحديث والفقه في فصل الشتاء، والأصول والعربية والبيان والفرائض والهندسة في فصل الصيف، أما علم التصوف فقد خصص له يومي الخميس والجمعة، مع تصحيح مؤلفاته، فكانت تلك حاله إلى أن توفاه الله بالطاعون سنة خمس وأربعين وثمانمائة للهجرة بتلمسان.

## 2 أعلام التصوف في القرن التاسع الهجري:

- محمد بن إبراهيم بن الإمام أبي الفضل التلمساني ( 845هـ/1441م):

<sup>1</sup> القلصادي، المصدر السابق، ص - ص : 102 103.

<sup>2</sup> التتبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص - ص : 118 - 119.

محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الامام أبي الفضل، ترجم له الامام السخاوي فقال: « ارتحل سنة عشر للحج فأقام بتونس أشهراً، ثم قدم القاهرة فحج منها وعاد إليها ثم سافر منها في سنة اثنتي عشرة إلى الشام، فزار بيت المقدس وتزاحم عليه الناس بدمشق حين علموا فضيلته وأجلوه وأخذوا عنه، ثم عاد إلى القاهرة فدام بها أشهراً ثم عاد إلى وطنه <sup>1</sup> وكان رحمه الله حسن السمات فصيح العبارة، جيد الكلام صاحب طريقة جميلة في التصوف وزهد وشرف، ومن الذين أخذوا عنه في هذه الرحلة المشرقية النقي الشمني شارح المغني، وأخذ عنه في المغرب جماعة منهم أبو الحسن القلصادي، وابن مرزوق الكفيف، والشيخ الحافظ التنسي وغيرهم..»

وعرفه صاحب البستان بقوله: "الإمام العلامة الحجة النظار المحقق العارف اللوذعي الرحلة أحد أقران الإمام ابن مرزوق الحفيد... وأخذ عنه الشيخ ابن مرزوق الكفيف؛ الذي : « هو شيخنا الإمام العالم النظار الحجة أبو الفضل ابن الإمام»، والشيخ الحافظ التنسي وقال عنه: « هو شيخنا صدر البلغاء وتاج العارفين وأعجوبة الزمان... من بيت علم وشهرة » والشيخ نقي الدين الشمني شارح المغني وذكره السخاوي فقال: «... فزار بيت المقدس وتزاحم عليه حين علموا فضله

<sup>1</sup> السخاوي، المصدر السابق، ص : 74.



وأجلوه... وذكر أنه صاحب فنون عقلية ونقلية...<sup>1</sup>، وكان أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن الإمام أول من أدخل إلى المغرب الأوسط شامل بهرام وشرحه على مختصر خليل<sup>2</sup>، وكان ممن حضر مجالسه الشيخ أبو الحسن القلصادي من شيوخ تلمسان فقال: « ومنهم الشيخ الفقيه الإمام الصدر العلم سيدي أبو الفضل بن الإمام كان عالما بالمنقول »<sup>3</sup>.

وقد أشار أبو العباس الونشريسي إلى نشاطه العلمي وبعض التآليف التي ألفها بقوله: « ولأبي الفضل بن الإمام قدم راسخ في البيان والتصوف والأدبيات والشعر والطب وهو أول من أدخل إلى المغرب شامل بهرام وشرح المختصر له وحواشي التفتازاني على العضد وابن هلال على ابن الحاجب الفرعي وغيرها من الكتب الغريبة... وله أبحاث وكلام في التفسير تكلم فيها مع الإمام المقرئ في مسأله التفسيرية... وتوفي عام 845هـ... »<sup>4</sup>.

• إبراهيم بن محمد بن علي التازي (866هـ/1462م):

<sup>1</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص 221-220.

<sup>2</sup> إسماعيل بركات، الدرر المكنونة، المرجع السابق، ص 108.

<sup>3</sup> أبو الحسن القلصادي المصدر السابق، ص 108.

<sup>4</sup> ابن مريم، المصدر السابق، ص 221.



الامام أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن علي الولي الورع الزاهد صاحب الكرامات، كان عالما صالحا له قصائد بديعة<sup>1</sup> ترجم له صاحب الكفاية فقال: « هو ممن أظهره الله تعالى لهداية الخلق وجلله برداء المحبة والمهابة والقبول عند الخاصة والعامّة، فدعاهم إليه ببصيرة وأرشدهم للتوحيد والعبودية»<sup>2</sup> وكان قد قرأ القرآن الكريم في صباه على العالم الصالح الولي العارف أبي زكريا يحي الوازعي، وكان هذا الشيخ كثير العناية بإبراهيم التازي وهو لا يزال صغيرا ويقول لأقرانه : هذا سيدكم وصالحكم، نظرا لما كان يتوسم فيه من صلاح وخشية<sup>3</sup>، وأخذ خلال رحلته المشرقية الحديث والرقائق عن قاضي قضاة المالكية بمكة، الشريف تقي الدين الحسني وأجاره، وبالمدينة المنورة عن الشيخ الامام أبي الفتح بن أبي بكر القرشي وفي تونس أخذ عن الشيخ الحافظ العلامة العبدوسي، أما تلمسان فقد أخذ فيها عن الحفيد بن مرزوق، وذلك قبل أن يغادرها إلى وهران لزيارة شيخها ووليها الصالح محمد بن عمر الهواري لتتلمذ على يديه ونيل بركته.

<sup>1</sup> السخاوي: المصدر السابق، ج:1، ص: 187.

<sup>2</sup> أحمد بابا التتبيكتي: كفاية المحتاج المصدر السابق ص:168.

<sup>3</sup> التتبيكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص: 168.

وقد وصف صاحب البستان الشيخ ابراهيم التازي بقوله: « كان كلامه في طريق التصوف ومقام العرفان لا يقوم بمعناه إلا من تمكنت فيه معرفته وقويت عارضته »<sup>1</sup> وهو ممن اشتهر حاله بين أهل المغرب عامة، وله قصائد عديدة تتم عن عظيم قدره، وتقبيدا مفيدا على فرائض الحوفي، أوضح فيه العمل غاية الإيضاح، وقد وصفه ابن سعد في النجم الثاقب قوله: « كان من أهل الحفظ العظيم، معروفا بجودة النظر والفهم الثاقب جامعا لمحاسن العلماء، متمتعا بأداب الأولياء، لا نظير له في كمال العقل ومثانة الحلم والتمكن في المعارف، وبلوغ الدرجة العليا في محاسن الأخلاق وجميل العشرة والمعرفة بأقدار الناس، مع القيام بحقوقهم في صحبتهم وملاقاتهم »<sup>2</sup> وكان عالما زاهدا متصوفا له كرامات كثيرة، وأخذ عنه جلة من العلماء أمثال الحافظ التنسي، والإمام محمد بن يوسف السنوسي وأخيه لأمه علي التالوتي، وأحمد زروق<sup>3</sup> البرنسي وغيرهم، وانتفع به خلق كثير، وتناقلوا قصيدته التي اشتهر بها المعروفة بـ ( المرادية ) وهي قصيدة في التصوف، سميت بهذا الاسم لافتتاحها بقوله: ( مرادي):

مُرَادِي مِنَ الْمَوْلَى وَغَايَةَ أَمَّا  
نَوَامِ الرُّضَى وَالْعَفْوُ عَنْ سُوءِ

عَمَالِي

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 58.

<sup>2</sup> بلحاج محمد: المرجع السابق، ص: 99.

<sup>3</sup> التتبعتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص: 169.

• أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ/1490م):

الشيخ الولي أبو عبد الله محمد بن يوسف من ذرية الحسن بن علي رضي الله من جهة أمه، التلمساني عالمها وصالحها وزاهدها وكبيرها، نشأ خيراً مباركاً بين الشريعة والحقيقة، وصفته المصادر التي ترجمت له بالصالح<sup>1</sup> الزاهد العابد، كبير علماء تلمسان كان من أكابر الأولياء وأعلام العلماء، من مشايخ المائة التاسعة فكان ممن جدد لهذه الأمة أمر دينها على رأس تلك المائة، وكان أخذه لطريق الولاية عن سلطان الأولياء الشيخ إبراهيم التازي<sup>2</sup> وظهر رصانة تكوينه العلمي من خلال الشيوخ الذين تلقى العلم على أيديهم، فقد أخذ العلم عن جلة من العلماء الأكابر، كالعلامة نصر الزواوي، وعن الوالي الصالح الحسن أبركان الذي كان يحبه ويؤثره على غيره، وأخذ القراءات عن أحمد الشريف الحسني، وأخذ علم الإسطرلاب عن الشيخ أبي عبد الله الحباك، وأخذ الأصول والمنطق عن الإمام محمد بن العباس، وقرأ الرسالة على أخيه لأمه الشيخ علي التالوتي، وقرأ على الإمام الورع الصالح أبي

<sup>1</sup> التنبكتي: نيل الابتهاج ، ص:563.

<sup>2</sup> ابن عسكّر الشفتاوي، المصدر السابق، ص : 122.

القاسم الكناشي إرشاد أبي المعالي وعلم التوحيد<sup>1</sup> وأخذ الصحيحين وغيرها من كتب الحديث عن الولي الصالح أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي وأجازه فيها، كما أخذ الحديث عن الولي الزاهد إبراهيم التازي وروى عنه أشياء كثيرة من المسلسلات، والشيخ ابن مرزوق شارح البردة، والشيخ أبي عبد الله بن العباس شارح لامية ابن ملك، والشيخ أبي العباس أحمد بن زاغو، والشيخ أبي عثمان قاسم بن سعيد العقباني، والشيخ أبي عبد الله بن الجلاب.

وبالجملة فإن علماء تلمسان والمغرب الأقصى يذكرون الشيخ السنوسي ويعظمونه بالتحقيق والولاية والزهد في الدنيا والانقطاع إلى الله تعالى<sup>2</sup> وعلى العموم فقد جمع له تلميذه الملالي مناقبه في تأليف كبير سماه "المواهب القدسية في المناقب السنوسية"<sup>3</sup> وشهرته بلغت الآفاق بسبب ما تركه من التأليف الكثيرة في عدة فنون، خاصة منها في علم التوحيد، مثل عقائده الخمس مع شروحها وهي المقدمة وعقيدته الكبرى والوسطى والصغرى والصغرى وقد شرحها كلها، ونظرا لعظيم نفعها فقد نذر الشيخ أبو محمد عبد الله الورياجلي على نفسه ألا تفارقه عقيدة السنوسي، وجعلها في جيبه على جلالته قدره وعظيم إنصافه، وللسنوسي أيضا شرح على

<sup>1</sup> الحفناوي، المرجع السابق، ص : 177.

<sup>2</sup> ابن عسك الشفشاوني، المصدر السابق، ص : 122.

<sup>3</sup> التتبعتي: نيل الابتهاج المصدر السابق، ص: 564.



الجزيرية، وشرح قصيدة تلميذه الحوضي ومختصر الأبي على مسلم، وشرح قصيدة الحباك في الإسطرلاب، كما شرح الأبيات المنسوبة للألبيري في التصوف، وشرح على صحيح البخاري<sup>1</sup>، وله شرح كبير على الحوفية سماه "المقرب المستوفى" ألفه وسنه تسع عشرة سنة<sup>2</sup>، ولما رآه شيخه الحسن أبركان نهاء عن إظهاره حتى يبلغ الأربعين من عمره خوفاً عليه من العين، وغيرها من التأليف الأخرى، وكانت للامام السنوسي إحاطة كبيرة بالعديد من العلوم، فقد كان الشيخ أبو عمران موسى بن عقدة الأغصاوي إذا ذكر علم الكلام يقول: ما رأيت من غربل هذا العلم مثل هذا الرجل يعني السنوسي، وكان الشيخ أبو محمد الهبطي يقول: كلام السنوسي محفوظ من السقطات<sup>3</sup> وهذه أمور كلها دليل على عظمة هذا الرجل الصالح ومكانته عند العلماء.

• أحمد زروق البرنسي الفاسي (ت 899هـ/1494م):

الولي الصالح القطب الرباني، المحقق المتصوف العرف بالله، أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق، المعروف شرقاً وغرباً بولايته وعلمه، محيي الشريعة وناصر السنة وإمام الطريقة، بدأ الشيخ زروق مزاوله العلم وسنه لم

<sup>1</sup> ابن مريم المصدر السابق، ص: 246.

<sup>2</sup> ابن مريم: المصدر نفسه، ص: 245.

<sup>3</sup> ابن عسكر، المصدر نفسه، ص: 122.



تتعدى السادسة عشر من عمره وكان حريصا على ملاقة المشايخ والتفقه على أيديهم، ومصاحبة شيوخ التصوف والأخذ عنهم مثل الشيخ أبا عبد الله محمد الزيتوني، وأخذ العلم على الكثير من الأعلام، حيث قرأ الرسالة على الشيخ عبد الله الفخار، والسطي بحثا وتدقيقا، كما أخذ عن الزرهوني والقوري والمجاصي، وقرأ على عبد الرحمن المجدولي التصوف والبخاري وأحكام عبد الحق الصغرى والترمذي وغيرهم<sup>1</sup>. كما أخذ أيضا عن عبد الرحمن الثعالبي، وناصر الدين المشذالي وإبراهيم التازي والرصاع، وأحمد بن سعيد الحباك، والإمام السنوسي والتنسي، وذكر ابن مريم من شيوخه أيضا الرصاع وابن زكري، كما أنه رحل إلى المشرق وأخذ عن شيوخه منهم السنهوري والحافظ السخاوي، والولي أحمد بن عقبة الحضرمي، والشهاب الأبيطي وغيرهم<sup>2</sup>...

كان الشيخ أحمد زروق قد صحب أهل التصوف وتوغل فيه، وسلك طريق المجاهدة وتزهد في الدنيا<sup>3</sup> « وكان رضي الله تعالى عنه عالما محققا ورعا زاهدا شديد النكير على البدع آية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقافا عند حدود العلم وأحكام الشرع وآدابه حتى قيل فيه: إنه محتسب الصوفية<sup>4</sup> » وألف في باب التصوف تأليف عديدة منها في النكير على مبتدعة عصره كتبا كثيرة ككتاب "النصح الأنفع

<sup>1</sup> التتبيكي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج : 1، ص: 126.

<sup>2</sup> التتبيكي: كفاية المحتاج، المصدر ، ج: 1 ص: 127.

<sup>3</sup> عبد الله بن عبد القادر التليدي: المصدر السابق ص: 148.

<sup>4</sup> التليدي: المصدر نفسه، ص: 148.

والجنة للمعتصم من البدعة بالسنة" وكتاب " عدة المرید الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت" قسمه إلى مائة فصل تعرض فيه للبدع التي كان فقراء الصوفية يفعلونها، وكتاب " مزيل اللبس عن آداب أسرار القواعد الخمس" وله شرح على نظم ابن البناء الفاسي في التصوف، وله رسائل عديدة إلى أصحابه تشتمل كلها على مواظ وحكم ولطائف التصوف<sup>1</sup> وله أيضا شرح "المرصد" في التصوف لشيخه ابن عقبة و" إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين" وكتاب " القواعد في التصوف " وشرح حكم ابن عطاء الله ثمانية عشر شرحا مابين مطول ومختصر، كما شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني شرحا عجيبا، وله تقييد على حزب البحر للشيخ الشاذلي، وشرحا على رسالة القرطبي مرتين، والنصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية" وكتبه ورسائله في التصوف أكثر من أن تحصى<sup>2</sup> ، كما عرف بكراماته المشهورة وأحواله العجيبة.

وقد أخذ عنه العديد من العلماء أمثال الشهاب القسطلاني وشمس الدين اللقاني، والحطاب الكبير وظاهر القسنطيني، ووصفه التنبكتي بأنه آخر أئمة الصوفية المحققين

<sup>1</sup> ابن مريم: المصدر السابق، ص: 47.

<sup>2</sup> ابن عسكرة، المصدر السابق، ص ، ص : 49 50.

الجامعين بين علمي الحقيقة والشريعة<sup>1</sup> نظرا لغزارة تأليفه وتمكنه ومعرفته بعلم الظاهر والباطن، وقد توفي رحمه الله بمدينة سرت الليبية سنة تسعة وتسعين وثمانمائة للهجرة.

• عبد الرحمن الثعالبي (787 - 1385/875 - 1471 م):

هو عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، ولد بواد يسر قرب مدينة الجزائر الحالية، ودرس بها ومنها رحل إلى مدينة بجاية قربها وشهرة العلماء بها خاصة في التصوف، وسافر بعدها إلى تونس حيث جامع الزيتونة الذي يضم مشاهير العلماء، وفي طريقه إليها توقف بقسنطينة للأخذ عن علمائها، كما أخذ العلم عن علماء تلمسان، وقد التصق اسم الثعالبي بالزهد والتصوف<sup>1</sup> رغم اشتغاله بعلم الحديث والتفسير والفقهاء وغيره.

حلاه التتبعي بقوله: « الزاهد الورع ولي الله الناصح الصالح العارف بالله أبو زيد شهر بالثعالبي، صاحب التصانيف المفيدة كان من أولياء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد الله الصالحين»<sup>2</sup> كان من كبار متصوفة وعلماء المغرب الأوسط وأعيانه، له أكثر من تسعين مؤلفا ذكر صاحب معجم أعلام الجزائر العديد منها في عدة فنون، منها في التفسير " الجواهر الحسان في تفسير القرآن" وفي القراءات " الدرر اللوامع في قراءة نافع" وفي الفقه " روضة الأنوار ونزهة الأخيار" وهو قدر المدونة، و

<sup>1</sup> التتبعي: نيل الابتهاج المصدر السابق، ص: 132.

<sup>1</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 1، ص: 91.

<sup>2</sup> التتبعي: نيل الابتهاج المصدر نفسه ص: 257.

" جامع الأمهات في أحكام العبادات" وفي اللغة " نبلا على الجواهر الحسان في شرح غريبه" و" تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن" و في التاريخ " جامع الهمم في أخبار الأمم" أما في التصوف فله عدة مؤلفات منها " العلوم الفاخرة في النظر في علوم الآخرة" و كتاب " إرشاد السالك" وكتاب " الأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة" وكتاب " رياض الأس" في الرقائق، و" نور الأنوار ومصباح الظلام" و" قطب العارفين"<sup>1</sup> وغيرها من المؤلفات التي ذكرها من ترجم له.

كان تأثير الثعالبي في ميدان التصوف عن طريق تأثيره في تلامذته إذ كان قوي الشخصية وتمكنا من العلوم التي يلقيها عليهم في عدة فنون، كما أنه ساهم في نشر التصوف بمؤلفاته التي تداولها الناس وكثرت نسخها لديهم، وقد ساهمت زاويته التي بنيت على ضريحه<sup>2</sup> بجانة الطلبة بمدينة الجزائر في انتشار التصوف، حيث صارت مقصدا للزوار الطالبين للبركة والشفاء.

\* وسى بن يحيى بن عيسى المازوني المغيلي (ت9 / 15م):

<sup>1</sup> نويهض: المرجع السابق، ص: ص: 90 91.

<sup>2</sup> حد الله: المرجع السابق، ج: 1، ص: 92.



الشيخ أبو عمران ، رسي بن يحي بن عيسى المازوني قاضي مازونة الفقيه الأجل المدرس المحقق القاضي الأكل، وهو والد صاحب النوازل<sup>1</sup> نشأ بـمازونة وبه تعلم وتولى خطة القضاء التي توارثتها أسرته، حيث كان والده عيسى قاضيا بها<sup>2</sup>.

ترك عدة مؤلفات منها: " بـباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار " وتآليف في الوثائق سماه : " الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق " في مجلد وتآليف آخر سماه: " المسافر وآدابه وشروط المسافر في ذهابه وإيابه"<sup>3</sup>.

وقد تعرض الونشريسي صاحب المعيار إلى ذكر المازوني عند تقريره لكتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة حيث ترجم فيها للشيخ المازوني، وعرف بالظروف التي دعتة إلى الانتقال من مازونة إلى تلمسان<sup>4</sup> : « الفقيه الإمام علم الأعلام وحامل راية الإسلام، القاضي الحسيب الأصل المعلم الحافظ المشاور الهمام، والمسند

<sup>1</sup> التتبكتي: المصدر السابق، ص: 605.

<sup>2</sup> - نريد قموح: المرجع السابق، ص: 57.

<sup>3</sup> نويبيض : المرجع نفسه، ص : 281.

<sup>4</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 5 373.



الراويّة، المرشد صاحب اليد الطولى الراسخة في كل مقام، صاحب التصانيف ...  
المفتي المنعم أبي عمران موسى<sup>1</sup>.

ويبرز الانتماء والأثر الصوفي للمازوني في كتابه "بباجة الافتخار في مناقب أولياء  
الله الأخيار" وهو كتاب في الدراسات والتراجم وأحوال الرجال والمناقب الخاصة بهم  
حيث عرف المؤلف بالصلحاء والأولياء وذكر مناقبهم وكرامتهم أمثال: سيدي واضح  
الشلفي؛ وأبي يعقوب بن أبي عبد الله بن محيو الهواري، والشيخ أبي زكريا المغيلي  
وغيرهم، ودافع فيه عن كرامات الأولياء واثبات شرعيتها من خلال وقوعها لبعض  
الصحابة رضوان الله عليهم، والرد على المعارضين لحدوثها، وجمع إلى ذلك مادة  
صوفية هامة جدا عرفت علم التصوف وتطور الحركة الصوفية على خير وجه وهو ما  
يبرز الأثر الصوفي في حياة أبي عمران موسى، وهذا ما يبرر احتفائه بالأولياء  
والصالحين كما أشار إلى ذلك أحد الباحثين<sup>2</sup> وعلى العموم فإن روح التصوف تبدوا  
واضحة في هذا الكتاب مما يدل على النزعة الصوفية للشيخ المازوني رحمه الله.

<sup>1</sup> ماحي قندوز: الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكرياء يحيى بن موسى المغيلي التلمساني (ت1478/883م) دراسة وتحقيق لمسائل الطهارة حتى مسائل الضحايا والعقيقة. أطروحة دكتوراه علوم، إشراف: خضاري لخضر، قسم العلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2010-2011م. ص، ص: 63-64.

<sup>2</sup> فريد قموح: الدرر المكنونة في نوازل مازونة؛ أبو زكرياء يحيى بن موسى المغيلي التلمساني (ت1478/883م) دراسة وتحقيق لمسائل الجهاد والأيمان والنذور، ماجستير في علم المخطوط العربي، جامعة قسنطينة، 1431-1432/2010-2011م. ص 58.

### 3 أعلام التصوف في القرن العاشر الهجري:

- أحمد بن يوسف الملياني (ت 931 / 1524م) :

هو الشيخ العالم الولي الصالح القطب الغوث الزاهد العرف العالم، أبو العباس سيدي أحمد بن يوسف الراشدي نسبا الملياني دارا، أحد أوتاد التصوف الاسلامي، جمع الله له بين الحقيقة والشريعة، ولد بقلعة بني راشد التي تقع بين مدينتي غليزان ومعسكر، تنتمي أسرته إلى بني مرين، بدأ في أخذ العلم عن علماء وهران وتلمسان، لينتقل بعدها إلى مدينة بجاية للتلمذ علي يدي الشيخ زروق، وفي منطقة " راس الماء" بوادي شلف قام بتأسيس زاويته أين كثر مريدوه الذين عارض بهم حكم المرينيين بسبب تحالفهم مع الإسبان، ليقوم بالاتصال بالأتراك ومساعدتهم على الإسبان، وقد شاع أتباعه في الصحراء والمغرب الأقصى، وانتشرت طريقته المعروفة بالطريقة اليوسفية التابعة للطريقة الشاذلية، لكن أتباعه انحرفوا عن الدين مما أدى إلى استنكار الفقهاء « حاشاه أن يقول بمقالتهم، وقد اختلفوا بدعتهم من ترك الصلاة والصوم واستباحة الزنا والديانة...

أذلهم الله وأخزاهم، وغير هذا مما الشيخ منزه عنه <sup>1</sup> « فقد تبرا الشيخ أحمد الملياني منهم وقاومهم.

كان للشيخ أحمد بن يوسف الملياني اتصال مع علماء عصره أمثال: الخروبي والخياط وغيرهما، كما كانت له زيارة إلى المشرق أين التقى بعلمائه الكبار، وكانت له مراسلات معهم بعد عودته إلى مليانة، كما كانت له مراسلات مع علماء تلمسان وفاس وغيرها، أما عن شيوخه الذين أخذ عنهم فنذكر منهم: أحمد بن علي البوعمراني، ومحمد الشريف الزهار، وأحمد بن المبارك الراشدي، ومحمد الصباغ وغيرهم.<sup>2</sup>

ترجم للشيخ الملياني صاحب ابن عسكر في كتابه دوحة الناشر بقوله: « أحمد بن يوسف الملياني نزيل مليانة بين الجزائر وتلمسان، وهو من أصحاب الشيخ أحمد زروق جليل القدر كبير الشأن من أكابر مشائخ الصوفية، فتح عليه في علوم أسماء الله تعالى وتصريفها، وكان عارفا بالله تعالى <sup>3</sup>. وقد أفرد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي كتابا سماه " بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار " ترجم فيه للملياني وعرف به وبأحواله.

<sup>1</sup> نويبيض، المرجع السابق، ص: 315.

<sup>2</sup> عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 123.

<sup>3</sup> ابن عسكر، المصدر السابق، ص: 124.

توفي الشيخ أحمد الملياني سنة 931 / 1424م وتم دفنه في مدينة مليانة

وقبره مشهور .

• عبد الرحمن الأخضرى ( 920-983هـ/1514-1576م ):

هو عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضرى، من أهل بنطوس بيسكرة<sup>1</sup> التي تعلم بها عن والده الذي كان من علماء العصر، وله مؤلفات في التصوف، ونشأ نشأة علمية تميزت بالعلم والصلاح وبعدها رحل إلى قسنطينة حيث درس على علمائها أمثال عمر الوزان وهو من أبرز علماء قسنطينة في القرن العاشر<sup>2</sup> كما درس بالزيتونة في تونس، وتميز منذ حداثة سنه بحرصه على طلب العلم والاجتهاد في كثير من العلوم، وقد أخذ ورد الطريقة الشاذلية الزروقية عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، ليعود بعدها إلى بلده بنطوس ويتفرغ في زاويته للتدريس وتلقين العلم للطلبة، وتخريج العلماء، ومن منجزاته العلمية التي تقارب الثلاثين من المتون وشروحها، منظومة "السراج" و"أزهار المطالب في الإسطرلاب" وهي في علم الفلك، وفي علم المنطق والحكمة "السلم المرونق"، وله شرح على السنوسية، ومنظومة في قواعد الإعراب، و"الدرة البهية في نظم الأجرومية"، وله مختصر في فقه

<sup>1</sup> بيسكرة: مدينة عريقة في القدم، أسست أيام كان الرومان يحكمون بلاد البربر، وخربت بعد ذلك ثم أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الإسلامية الفاتحة. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج: 2، ص: 138. وهي اليوم تقع في الجهة الشمالية الشرقية من الجزائر وتبعد عن عاصمة البلاد بحوالي 400 كلم.

<sup>2</sup> سعد الله: المرجع السابق، ج: 1، ص: 379.



العبادات، ورسالة في التحذير من البدع، وقصيدة لامية في مدح النبي ﷺ وقصيدته المشهورة المسماة بـ " القدسية" وتم شرحها من طرف الورتيلاني صاحب الرحلة المعروفة، وسمى شرحه هذا بـ " الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية" وقد انتقد فيها الأخضرري من سماهم علماء السوء، ودعا فيها إلى العودة إلى العمل بالكتاب والسنة، لأنه لم يكن يميل إلى الغموض والروحانية<sup>1</sup> منددا بالمشعوذين والدجالين ممن انتحلوا صفة المتصوفة ودعوا الناس إلى طريقتهم، مشتكيا من الحال الذي وصل إليه العلم في عصره معبرا عن ذلك في قصيدته فيقول في بعض أبياتها:

بَدَّ دَعَا مَرَاتِبًا جَلِيلَةً      رَ لَشْرَعُكَ جَنَّبُوا سَبِيلَهُ  
بَدَّ يَدُّوا شَرِيعَةَ لِرَسُوًّا      بِالْقَوْمِ بَدَّ حَادُوا عَنِ السَّبِيلِ  
مُ بِيَقُ مِنْ بَيْنِ الْهُدَى إِلَّا سَمَهُ      وَلَا مِنْ لِقْرَانِ إِلَّا رَسَمَهُ  
مُهَيَّاتُ بَدَّ غَاضَتْ يَتَابِعُ الْهُدَى      وَقَاضَ بَحْرُ الْجَهْلِ وَالزَّرِيعُ بِدَا  
رَكَّشَتْ هَا لِدَعَاوَى لِكَاذِبَةٍ      رَصَّارَتِ الْبِدْعَةَ بِيَهُمْ غَالِبَا

ويبدو أنه في هذا العصر توقف تدفق المعرفة وانطفأت أنوار الاجتهاد<sup>1</sup>، وقلت العناية بالعلوم، واختلط على العوام معرفة الصوفي الحقيقي من مدعي الولاية، مما دفع

<sup>1</sup> :المرجع السابق ص:87.

<sup>1</sup> بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص:35.



بالشيخ الأخضرى إلى بيان حقيقة التصوف، وتألّف هذه القصيدة التي أكد فيها على تمسكه بطريق شيخه زروق التي تمثل حقيقة التصوف.

وختاماً لهذا الفصل يمكن القول بأن فترة ما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين كانت حافلة برجال الفقه والتصوف الذين أشرنا إلى بعض النماذج منهم في هذا الفصل، كما كانت عامرة بمؤلفاتهم في علوم الفقه والتصوف وغيرها من العلوم الأخرى التي تدل على علو مكانتهم العلمية وسعة اطلاعهم، وهو ما يعطينا صورة واضحة عما كانت عليه الحياة الثقافية في تلك الفترة رغم ما كانت تعرف الساحة السياسية من تقلبات على المستويين الداخلي والخارجي.

تعرض المذهب المالكي وفقهائه، قبيل العهد الزياني إلى معارضة شديدة من طرف خلفاء الدولة الموحدية، فقد سعوا جاهدين إلى محو المذهب المالكي واستبداله بالمذهب الظاهري، وقد تعرض فقهاء المالكية في عهد الخليفة الموحدى يعقوب المنصور إلى امتحان شديد، وأُتلفت كتبهم بالإحراق وتم إبطال العمل بالمذهب المالكي، وطغى المذهب الموحدى باعتباره مذهباً رسمياً للدولة الموحدية.

لكن في العهد الزياني تمت العودة إلى العمل بالمذهب المالكي وكثر المشتغلون به، وذلك بسبب عناية سلاطين الدولة الزيانية بفقهاء المالكية، حيث كانوا يستقدمونهم إلى عاصمتهم ويحيطونهم برعايتهم، ويوفرون لهم كل ما يحتاجونه، كما ساعدوا على انتشار المذهب من خلال بنائهم للمؤسسات الدينية والمدارس التعليمية التي أدت دوراً فعالاً في خدمة المذهب المالكي.

وقد حظي فقهاء المذهب المالكي بمكانة اجتماعية عالية، وأحاطهم الخاصة والعامّة بالتقدير والإجلال، بسبب مكانتهم العلمية التي رفعتهم عند السلاطين، كما حظوا باحترام المجتمع لهم وذلك بسعيهم في قضاء حوائج الناس والتوسط لهم عند الحكام.

وقد وجد تيار آخر وهو تيار التصوف الذي عرفه المغرب الأوسط، حيث تسرب إليه عن طريق بعض المصنفات التي وصلتته من المشرق مثل كتاب الإحياء للغزالي، والرعاية لحقوق الله للحارث المحاسبي، وقوت القلوب لأبي طالب المكي وغيرها من الكتب التي وجدت عناية من طرف العديد من العلماء والطلبة الذين تأثروا

---

بأفكارها، مما أدى إلى بروز شخصيات اشتهرت في المغرب الأوسط بالتصوف وساهمت في تنشيط الحركة الفكرية من خلال المصنفات التي ألّفت في هذا الموضوع، كما ساهم في انتشار التصوف عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية و فكرية، ساعدت كلها في ظهور تيار التصوف في المغرب الأوسط.

ومن خلال هذه الدراسة يمكننا الخروج بالنتائج التالية:

- وجود علاقة ود ومحبة بين الفقهاء بعضهم وبعض، تمثلت في المجال الثقافي كالاعتراف بالتفوق في مراتب العلم، وفيما كان يجمعهم من مناظرات في المجالس العلمية في عديد القضايا الفقهية، وكذلك التي كانت تعقد برعاية السلاطين،

• بمقاييس علمية محددة وتتم على أعلى المستويات متناولة مواضيع مختلفة ودرجة أولى علم الف وجدت علاقات اجتماعية مميزة بينهم تمثلت في الود والمحبة والعطف على بعضهم والصحة والمصاهرة.

• وجود علاقة اختلاف بين الفقهاء في بعض القضايا، كالذم والتحاسد والتباغض، والردود المخالفة في ظل الصراع الفكري الذي عرفه المغرب الأوسط خلال تلك الفترة.

• تظهر علاقة المتصوفة بالفقهاء في تواصلهم في الجانب الثقافي كالإجازات التي كان يمنحها بعضهم لبعض، والتلمذ عند بعضهم البعض وانتصابهم للتدريس في كلا المجالين الفقهي والصوفي، وتعمقهما في مختلف العلوم، الأمر الذي حال دون وقوع خلافات بينهما، كما جمعت بينهم مراسلات لأخذ آراء بعضهم وتبادل المعلومات وغيرها، ونجد تلك العلاقات الاجتماعية التي ربطت الفقهاء بالمتصوفة كالشفاعة لبعضهم عند السلطان، وتقديم وتوقير بعضهم لبعض أمام الناس.

• وجود مظاهر الاختلاف والنفور بين الفقهاء والمتصوفة ت في الفتاوى والردود المعارضة لها، وقيام كلا الفريقين بالدفاع عن آرائهم من خلال بعض الكتب والرسائل التي ألفت في تلك الفترة، ومن مظاهر الاختلاف التي برزت أيضا إنكار الفقهاء للكثير من الممارسات الصوفية كالتبرك بأضرحة الصالحين،

---

والدعاء عندها بنية الاستجابة، وإقامة بعض الطقوس المعروفة لديهم كالحضرة التي يصاحبها الرقص والتصفيق، وأعمال الدروشة والشعوذة والدجل، إضافة إلى المبالغة في الاعتقاد في كل من ظهرت عليه خوارق الأمور، واتخاذها ولياً وتصديقه فيما يقوله، ومنها المناظرات التي كانت تقع بينهما في العديد من فنون العلم، وكان الغرض منها إظهار الخصم بمظهر العاجز والقاصر للنيل منه وفضحه أمام الناس.

وقد نتج عن هذه العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة آثار اجتماعية يمكن تقسيمها إلى قسمين:



• حيث نتج عن تقاربهما تماسك وحدة المجتمع عندما كان التصوف مقتصرًا على النخبة، ويتصف أصحابه بالثقافة العالية والتعمق في علوم الدين، ومساهمة المتصوفة في حل العديد من مشاكل المجتمع كمساهمتهم في علاج المرضى وذوى العاهات علاجا روحانيا تمثل في تلاوة الآيات القرآنية وبعض الأدعية، كما قاموا برد المظالم إلى أهلها وكف العدوان من خلال تدخل شخصية الولي لردع اللصوص والظلمة.

• زوايا المتصوفة بدور اجتماعي فعال حيث كانت تعد دُورًا لعابري السبيل والذين لا يجدون مكانا يأوون إليه وتقديم الطعام لهم، كما كانت تقوم بجمع التبرعات في أوقات الأزمات والشدة وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين، وساعدت تلك الزوايا على اتساع شبكة العمران حيث كانت تقام بجانب زوايا الأولياء تجمعات سكانية تتوسع شيئًا فشيئًا لتصبح دشرة أو قرية تأخذ اسم ذلك الولي.

#### الآثار السلبية:

• قيام بعض المحسوبين على تيار التصوف ببعض الممارسات والطقوس الخارجة عن إطار الدين، وغلبة الفكر الكرامي على ذهنية المجتمع وتقديسه لشخصية الولي تقديسًا، يرفعه في كثير من الأحيان إلى رتبة الأنبياء.

---

• انتشار أمور الدجل والشعوذة والخرافة، وهي أمور أنكرها الفقهاء وأتباعهم، مما أدى إلى انقسام المجتمع الزياني بسببها بين أنصار الفقهاء وأنصار التصوف الطرقي، الشيء الذي خلق نوعا من الإحتقان والتوتر والتشنج في العلاقة بين أفراد المجتمع الواحد.

• ثيوع مظاهر الإنحطاط الفكري كالدروشة والدجل وغلبة الطابع الصوفي على الحياة الاجتماعية نظرا لكثرة الطرق الصوفية، ومدعي الولاية وأصحاب

• الكرامات، وإقبال الناس على التسليم بفكرة الكرامة وخرق العادة إقبالاً زائداً عن

الحد، وهي أمور أخرجت التصوف عن حقيقته وأفرغته من محتواه.

• ظهر في أوساط بعض الفقهاء الذين حادوا عن الدين ممارسات مشينة غيرت

نظرة المجتمع إليهم، حيث راحوا يتكسبون من الرشوة والمال الحرام وأكل مال

اليتيم، مما جعلهم في موقف ضعف لا يسمح لهم بالتصدي لممارسات أتباع

المتصوفة التي لا يقبلها.

في الأخير لا بد أن نشير إلى أن الأصل في العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة كان علاقة

ود وائتلاف، وأن التوتر بينهم شكل استثناء لهذا الأصل، كما لا يسعنا إلا أن نقول إن

موضوع العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة خلال العهد الزياني، موضوع يحتاج إلى المزيد

من البحث والتدقيق، لأن المصادر التي بين أيدينا في هذه الفترة وإن كان بها بعض

الإشارات الهامة عن هذا الموضوع، لكنها غير كافية لإعطاء صورة واضحة عما كانت

عليه تلك العلاقة، وإنما بعملنا هذا نرجو أن نكون قد ساهمنا ولو بشيء قليل في تسليط

الضوء على بعض الجوانب في علاقة أصحاب الفقه برجال التصوف، ونتمنى أن يأتي

بعدنا من يعطي هذا الموضوع مزيداً من العناية والبحث والدراسة.



## الملحق رقم (1)

نص الإجازة التي منحها الشيخ أحمد بن زكري، للشيخ أحمد بن الحاج الوريدي

الحمد لله الذي جعل العلم نورا، وصير أهله بين العالمين بدورا، وحلاهم به  
فاكتسبوا بجواهره، وعظيم مفاخره، من فنون المعقول وفروع المنقول ما يوجب لهم بين  
الخلق تمييزا وظهورا، تساق إليه بضائع الاجتهاد، وتظفر منه بالبغية والمراد، أشجار  
علوم المشايخ ، وأطيار تلامذتهم بالمعارف ناطقة، فسروا به وسر بهم سرورا،  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام وبدر التمام، والرضى عن آله وأصحابه  
ومن تبعهم في المرام، أما بعد فمرغوب الفقيه اللبيب، الوجيه الأريب، كاتب اسمه في  
الاستدعاء المكتوب، هذا بظهره متلقى بالإسعاد، ومقابل بنيل قصده بطريق الإنصاف  
وما طلب من الإجازة فقد سوغته إنجازه، فليرو عني ما يجوز في الرواية على الشروط  
المعروفة، والسنن المألوفة، فهو أهل لأن يروى ويروى عنه من شاء على وجه  
الصواب، لجميع ما استفاد مني بخطاب أو وجدته في كتاب، أو بلغه له ثقة من الأصحاب  
وكذا كل ما ثبت عنده أنه من مروياتي، أو جمعته أو أجمعه من مكتوباتي، إنه لجدير أن  
يروى ويروى عنه لما اتصف به الأوصاف المقتضية ذلك، سالكا فيه بعون الله أحسن  
المسالك، على الشروط المشهورة، والأوصاف المسطورة، وفقنا الله وإياه لما يحبه ربنا



---

ويرضاه، بمنه وفضله وجوده، قال ذلك وكتبه بخط يده عبید الله سبحانه أحمد بن محمد بن زكري لطف الله به في أوائل شهر ربيع الثاني عام سبعة وتسعين وثمانمائة (897هـ) عرفنا الله خيره، وكفنا شره، وصلى الله على سيدنا محمد خير المرسلين، وإمام المتقين، وعلى آله وأصحابه التابعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وكذا أجزت لأولاد الفقيه المذكور، ما أجزت له على الشرط المسطور.

23 :

## الملحق رقم (2)

مقتطف من نص الرسالة التي بعث بها الامام السنوسي إلى الشيخ المغيلي، وهي نموذج من المراسلات التي كانت تتم بين العلماء.

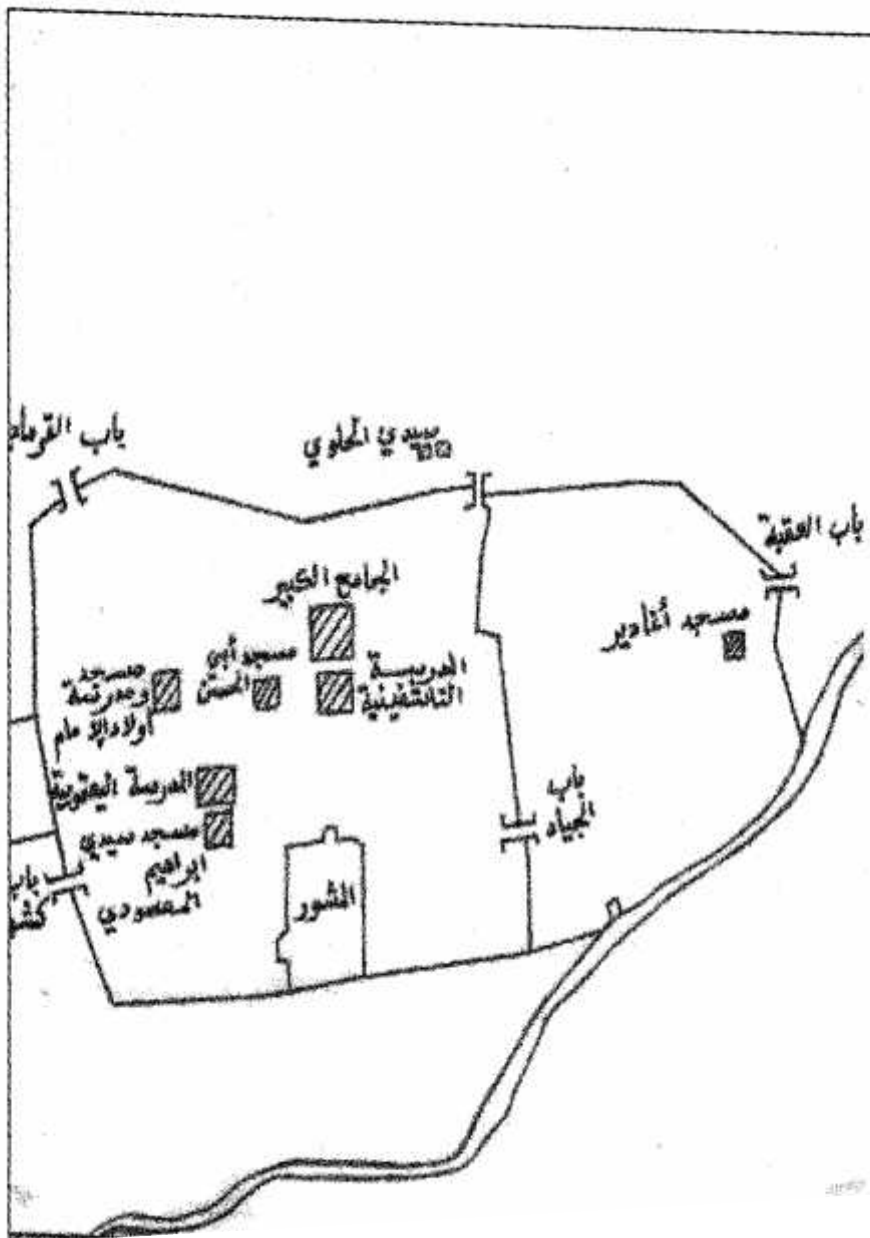
من عبید الله محمد بن یوسف السنوسی إلى الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان، من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي القيام بها لاسيما في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية وعمارة القلب بالإيمان، السيد أبي عبد الله بن عبد الكريم المغيلي حفظ الله حياته وبارك في دينه ودنياه، وختم الله لنا وله ولسائر المسلمين بالسعادة والمغفرة بلا محنة يوم نلقاه، بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، فقد بلغني أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية، والشجاعة العلمية من تغيير إحداث اليهود أذلهم الله كنيسة في بلاد الإسلام وحرصكم على هدمها، وتوقف أهل تمنظطة من جهة من عارضكم فيه من أهل الأهواء فبعثتم إلينا مستتهضين هم العلماء فيه، فلم أر من وفق لإجابة المقصد وبذل وسعه في تحقيق وشفاء الغلة ولم يلتفت لقوة إيمانه ونصوح إيقانه لما يشير إليه الوهم الشيطاني، من مداهنة من يتقى

---

شوكته، سوى الشيخ الإمام القدوة الحافظ المحقق علم الأعلام أبي عبد الله محمد بن عبد  
الجليل التنسي أمتع الله به.

نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي، ص: 576.

### الملحق رقم (3)

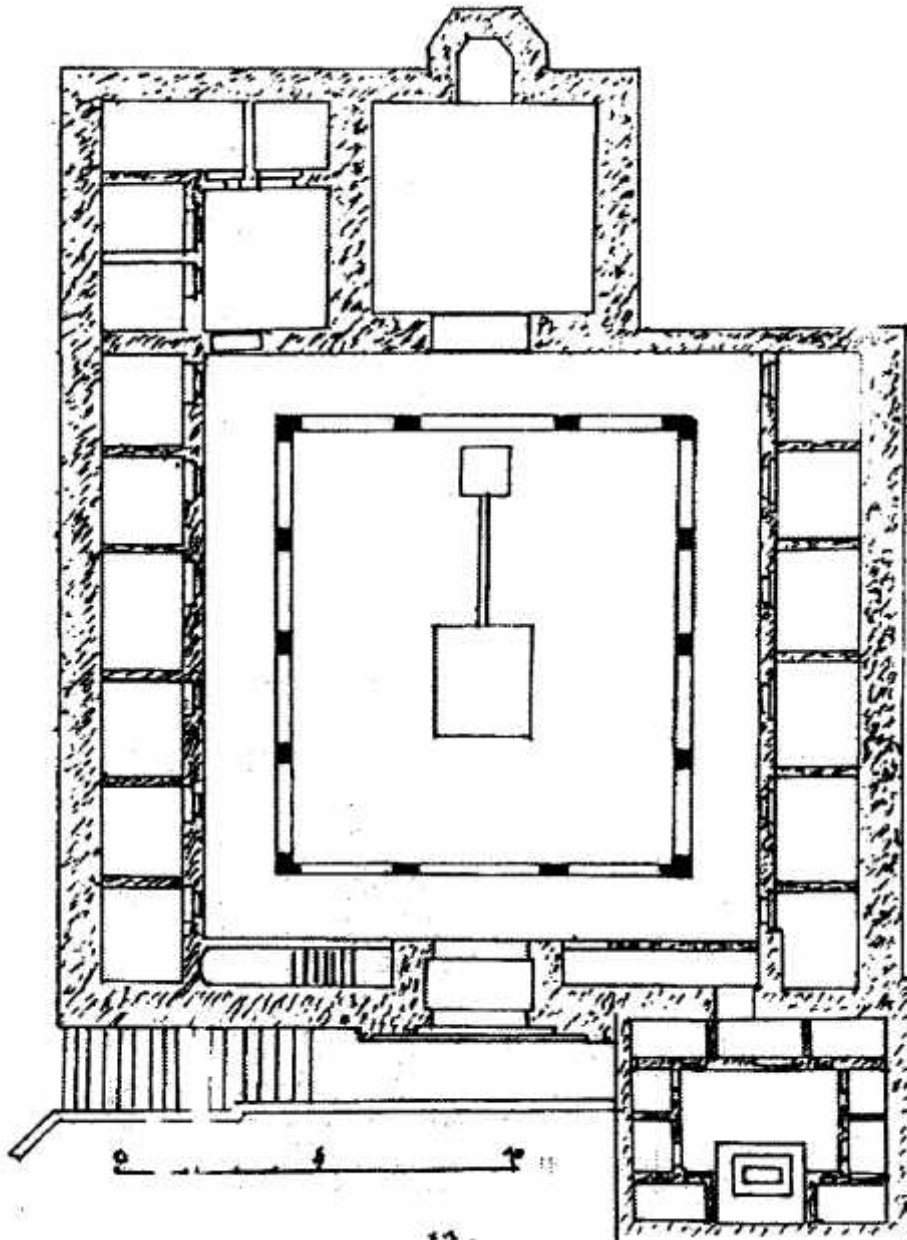


أهم المؤسسات التعليمية في تلمسان الزبانية.





الملحق رقم (4)

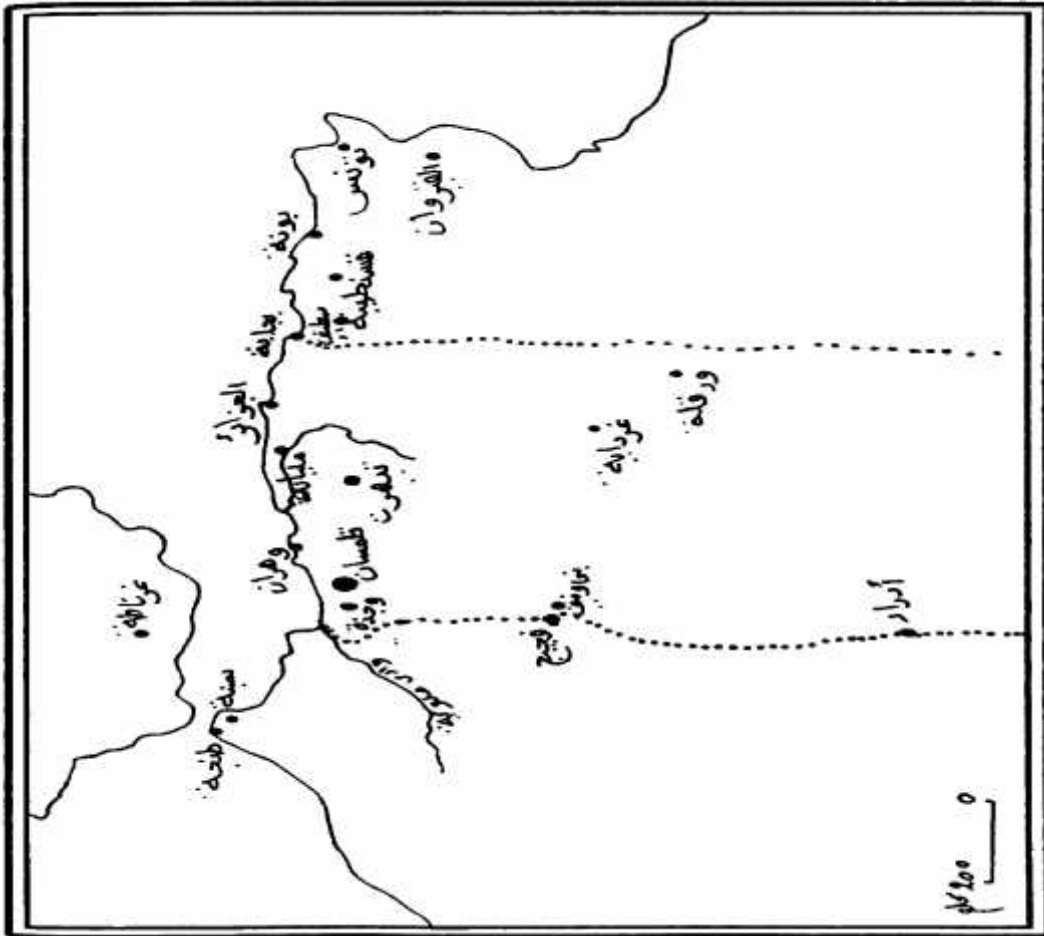


---

## المدرسة التاشفينية

من كتاب تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، ص:165.

## الملحق رقم (5)



ية للدولة الزيبانية.

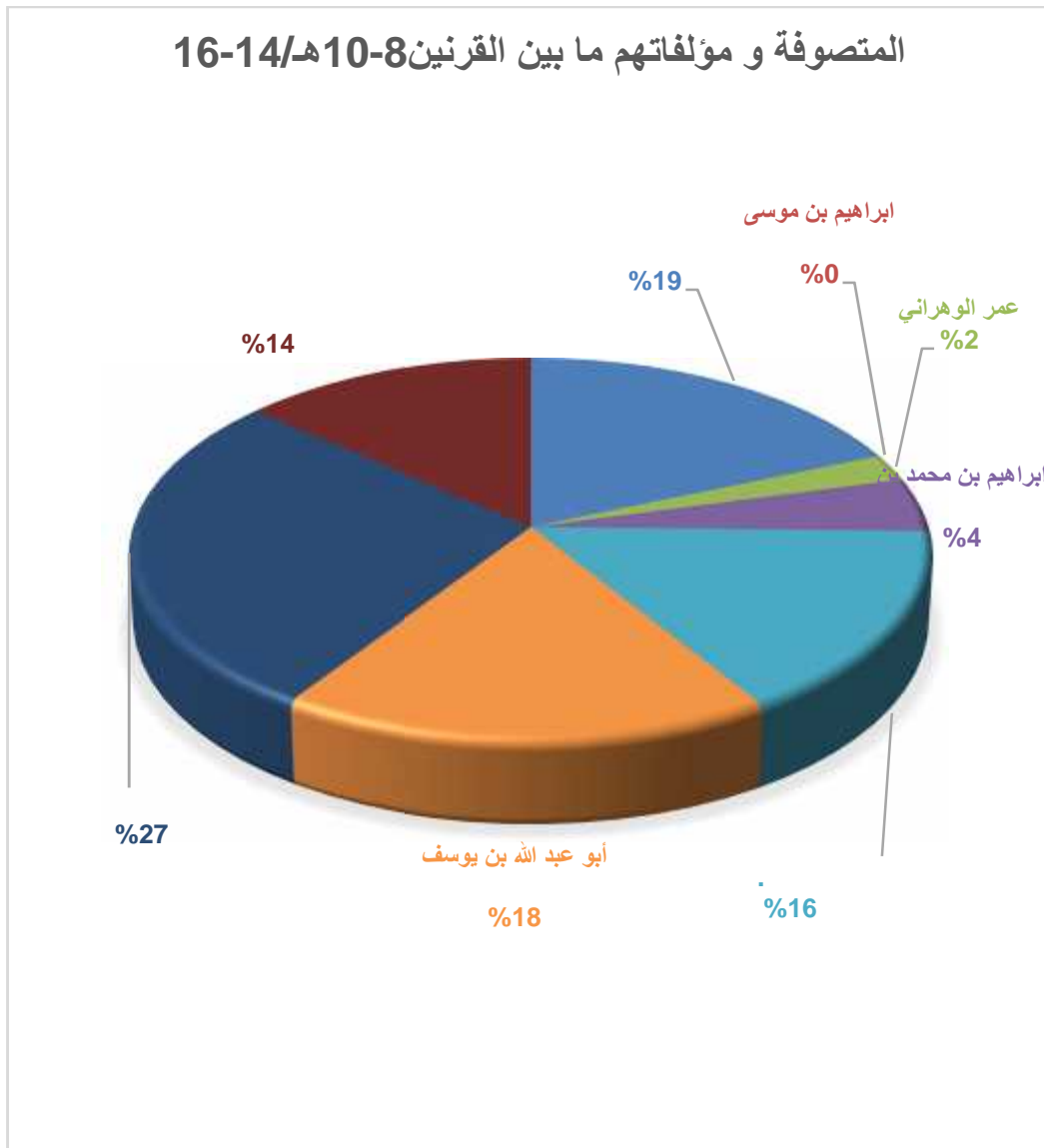
.628 :

فيلالي عبد العزيز،

## الملحق رقم (6)

دائرة نسبية تمثل إنتاج المتصوفة الفكري بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 8-10هـ/14-16م

10 / 14-16م



## الملحق رقم (7)

دائرة نسبية تمثل إنتاج الفقهاء الفكري بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 8-10

10 / 14-16م









القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

## قائمة المصادر والمراجع

### المصادر:

- 1- الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. : مجموعة من المحققين، ليدن: مطبعة بريل 1863م.
- 2- الأصفهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج:1 بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1 1988م.
- 3- الأمدي علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام. ج:4 : عبد الرزاق عفيفي، المملكة العربية السعودية: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط:1 2003م.
- 4- الإيجي عبد الرحمن بن أحمد: شرح العضد لمختصر ابن الحاجب وضع حواشيه، فادي نصيف، وطارق يحي، بيروت: دار الكتب العلمية 2000م، ط:1.
- 5- البغدادي عبد القاهر: الفرق بين الفرق. : محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: المطبعة العصرية 1995م.

6- البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. وهو جزء من كتاب

المسالك والممالك. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د،ت.

7- البلوي خالد ابن عيسى: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق (الرحلة الحجازية

( ج 1 : الحسن بن عمر السائح، المحمدية المغرب: مطبعة فضالة (د، ت).

8- التادلي يوسف بن يحي: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس

السبتي. : أحمد التوفيق، الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط: 2

1997م.

9- التاهنوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج: 1 :

علي دحروج، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون 1996م، ط: 1.

- 10- التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، 1: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: المغرب 2000م.
- 11- التنسي محمد بن عبد الله: نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان. : محمود آغا بو عياد، تلمسان: موفم للنشر 2011م.
- 12- الجرجاني علي بن محمد: معجم التعريفات. : محمد صديق المنشاوي، القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، د. س. ن.
- 13- الحجوي محمد بن الحسن: الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي. ج:2: اعتنى ا : أيمن صالح شعبان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1 1995.
- 14- أبو حمو موسى الثاني: واسطة السلوك في سياسة الملوك. د. تح، تونس: مطبعة الدولة التونسية 1886م.
- 15- الحموي ياقوت: معجم البلدان، ج:1، بيروت: دار صادر 1977م.
- 16- الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار. : إحسان عباس، بيروت: مطابع هيدلبرغ، د،ت. ط:2.
- 17- الزركشي محمد بن ابراهيم: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية. : محمد ماضور، تونس: المطبعة العتيقة ، ط:2 1966م.



- 18- الزركلي خير الدين: الأعلام، قاموس تراجم. بيروت: دار العلم للملايين، ط:15 2002م.
- 19- زروق أبو العباس أحمد الفاسي البرنسي: قواعد التصوف، تق وتح: عبد المجيد خيالي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط:2 2005م.
- 20- الزياتي محمد بن يوسف: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران : المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر: 2013م، ط:1.
- 21- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج:1، دار الجيل: بيروت1992، ط:1.
- 22- السلماني أبو عبد الله بن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول، تونس: المطبعة العمومية 1316هـ.
- 23- الشفشاوني محمد بن عسكر: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، : محمد حجي، الرباط: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977م. ط:2.
- 24- الشوكاني محمد بن علي: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. ج:2 : سامي بن العربي الأثري، الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ط:1 2000م.

- 25- الطبراني أبو القاسم: المعجم الكبير، ج:13.
- 26- ابن عاشر أبو محمد عبد الواحد: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، القاهرة: دار الطباعة للقاهرة، د ت.
- 27- ابن عبد البر القرطبي: الإستيعاب في أسماء الأصحاب. : 3 :
- محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ط:1 1992م.
- 28- ابن أحمد الحسني: معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تق و تح: عبد المجيد خيالي، الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي، د ط، د س ن.
- 29- ابن عربي محي الدين: رسائل ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ت.
- 30- ابن عمار أحمد: نحلة اللبيب، بأخبار الرحلة إلى الحبيب. الجزائر: مطبعة فونتانا 1903م.
- 31- الغبريني أبو العباس أحمد: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، : عادل نويهض، بيروت: دار الأفاق الجديدة، ط:2 1979م.

- 32- الفاسي ابن أبي زرع: الأيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. ترج: كارل يوحنا تورنبرغ، أوبسالة: دار الطباعة المدرسية 1893.
- 33- الفاسي الحسن الوزان: وصف إفريقيا. ج:2، تر: محمد حجي، ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط:2 1983م.
- 34- القسنطيني أحمد بن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقيير، نشر وتصحيح: محمد الفاسي وأدولف فور، مطبعة أكدال: الرباط 1965م.
- 35- القشيرى أبو القاسم عبد الكريم: الرسالة القشيرية في علم التصوف. بيروت: دار الكتاب العربي.
- 36- القلصادي أبو الحسن علي: رحلة القلصادي، ا : محمد أبو الأجفان، تونس: الشركة التونسية للتوزيع 1978م.
- 37- كاتب مراكشي من كتاب القرن 6 : الاستبصار في عجائب الأمصار، وصفة مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب. : سعد زغلول عبد الحميد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، د،ت.
- 38- كربخال مارمول: إفريقيا. ج:2، تر: محمد حجي وآخرون، الرباط: دار الشروق للمعرفة 1989م، ص: 375.

39- المازوني موسى بن عيسى: مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله

الأخير، ا : عبيد بوداود، الجزائر: الرشد للطباعة والنشر والتوزيع،

ط: 1 2015م.

40- مجهول (مؤلف): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ا :

زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء: دار الرشد الحديثة، ط: 1 1979م.

41- المراكشي بن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. ج: 1

: ليفي بروفنسال، و كولان، بيروت: دار الثقافة، بدون ت.

42- المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب : محمد سعيد

العيان، القاهرة: 1963م.

43- مرزوق محمد التلمساني : المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن

مولانا أبي الحسن، ا : ماريا خيسوس بغيرا ، تق: محمود بوعيادة، الجزائر:

الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1981م.

-44

)

(: المسند

الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ا : ماريا خيسوس

بيغبيرا، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981م.

) -45

(: المناقب

المرزوقية. : سلوى الزهراوي، الدار البيضاء: مطبعة النجاح، ط1  
2008م.

) -46

(:

الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس: دار  
الكتاب2000م، ط:2.

) -47

(: عدة المرید

الصادق. : الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، بيروت: دار ابن حزم  
للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 1 2006م.

) -48

(: الذخيرة

السنية في تاريخ الدولة المرينية. اعتنى بنشره: محمد بن أبي شنب، الجزائر:  
مطبعة جول كربونل 1920م.



- 49- ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. مر:  
محمد بن أبي شنب، الجزائر: المطبعة الثعالبية 1908م.
- 50- المزارى الأغا بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر  
وإسبانيا وفرنسا. : يحي بوعزيز، بيروت: دار الغرب الاسلامي، د.س.
- 51- المقرى أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.  
ج5 : إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1988م.
- 52- المنجور أحمد بن علي بن عبد الرحمن: فهرس أحمد المنجور، : محمد  
الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر 1976م.
- 53- منظور جمال الدين أبو الفضل: لسان العرب، : 5، القاهرة: دار  
المعارف، د، ت.
- 54- النبهاني يوسف بن إسماعيل: جامع كرامات الأولياء، ج:1 : ابراهيم  
عطوة عوض، الهند: مركز أهل سنة بركات رضا فوربندر، ط:2 2001م.
- 55- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي: المعيار المعرب والجامع المغرب  
عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب.ج2، بإشراف: محمد حجي، الرباط:  
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1981م.

المراجع:

- 1- ابراهيم حركات: الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، تنسيق: نفيسة الذهبي،  
الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1997م، ط: 1.
- 2- أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف. ج: 1، الجزائر: مطبعة  
بيير فونتانا الشرقية 1906م.
- 3- أحمد بكير محمود: المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، بيروت: دار قتيبة  
للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 1 1990م.
- 4- بل ألفريد: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تر: عبد الرحمن بدوي، بيروت:  
دار الغرب الاسلامي، ط: 3 1987م.
- 5- بوقلي جمال الدين حسن: الامام بن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، تلمسان:  
كنوز للنشر والتوزيع، ط: 1 2011م.
- 6- السلاوي أحمد بن خالد الناصري: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج: 3  
: ولدي المؤلف، جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب 1955م.
- 7- الجابري علي حسين: دروس في الفكر الفلسفي الاسلامي، دار الفرقد للطباعة  
والنشر، د.ب.ن، ط: 2010 1م.
- 8- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين  
والموحدين، مصر: مكتبة الخانجي، ط: 1 1980م.

9- الدراجي بوزياني: القبائل الأمازيغية، أدوارها، مواطنها وأعيانها، ج1، الجزائر: دار الكتاب العربي 2007م.

)-10

(: عبد الرحمن الأخضرى، العالم الذي تفوق في

عصره، دار الأمل للدراسات 2009م، ط:2.

11- الزحيلي وهبة: الفقه الاسلامي وأدلته، ج:1، دمشق: دار الفكر 1985م، ط:2.

12- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ط:1 1998م.

13- صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، الجزائر دار القصة للنشر 2007م.

14- الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين و12 و13 الميلاديين. عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.

15- عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياتي، حياته وآثاره. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط:2 1982م.

16- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، بيروت: دار مكتبة الحياة ط:2 1965م.

- 17- عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني. ج:1، الجزائر: موفم للنشر والتوزيع، 2002م.
- 18- عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ج:2، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 200م، ط:3.
- 19- عبد الله بن عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان: الرباط، 2003م، ط:4.
- 20- عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، ج1، الرباط: المطبعة الملكية، 1968م.
- 21- عبد الوهاب محمد حلمي: ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، تقديم: رضوان السيد، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط:1، 2009م.
- 22- عفيفي أبو العلاء: التصوف، الثورة الروحية في الإسلام، بيروت: دار الشعب للطباعة والنشر، (د، س، ن).
- 23- علي محفوظ: الإبداع في مضار الابتداع، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط:1، 2001م.
- 24- الغنيمي أبو الوفا التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1979م، ط:3.

25-القادري ابراهيم بوتشيش: الإسلام السري في المغرب العربي، القاهرة:

للمنشر، ط: 1 1995م.

26-كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية

والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب

للمنشر، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب 1996م.

27-محمد أبو زهرة: أصول الفقه، دار الفكر العربي، د، ت.

28-محمد إدريس طيب: الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء والأولياء الجامع بين

الشرعية والحقيقة، بيروت: كتاب ناشرون، ط: 2 2008م.

29-محمد القبلي: رمز الإحياء وقضية الحكم في المغرب الوسيط. د. س. ط.

30-محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، الرباط: دار المغرب

للتأليف والترجمة والنشر 1977م، ط: 2.

31-محمد بركات البيلي: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن

الخامس الهجري، القاهرة دار النهضة العربية 1993م.

32-محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول، القسم الثاني،

القاهرة: مكتبة الخانجي، ط: 4 1997م.



(: دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين،

ج:5، مصر: مكتبة الخانجي، د. ط.

34- محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، القاهرة: دار المعرفة

الجامعية 200م، د ط.

35- محمد : النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الاسلامي من ق

6 - 12/9-15م. الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1999م.

36- محمد مصطفى الزحيلي: الوجيز في أصول الفقه الاسلامي، ج1، دمشق: دار

الخير، 2006م، ط: 2.

37- مختار : تاريخ الدولة الزيانية، ج:1، الجزائر: منشورات

الحضارة 2009م.

38- مصطفى باحو: علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم،

المغرب: منشورات السبيل، ط: 2 2007م.

39- منال عبد المنعم جاد الله: التصوف في مصر والمغرب. الإسكندرية: منشأة

المعارف (د. س. ن).

40- يحي هويدي: فلسفة الاسلام في القارة الافريقية، الجزء الأول في الشمال

الإفريقي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية 1965م.

56- المقالات:

- 1- أحمد ساهي: أحمد بن إدريس البجائي الأيلولي ق14/ه8م، ودور زاوية التراث العربي الاسلامي. مجلة الدراسات التاريخية، ع: 7 1993م.
- 2- دور السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 15 2016م.
- 3- حميدة النيفر، المعيار والهوية والحوار، قراءة في التجربة التاريخية في الغرب الإسلامي، مجلة آفاق للثقافة والتراث، العدد 24 1996م.
- 4- جلول هادي: الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السلطة الزيانية بها (ق8-10ه) مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع: 19 2018م.
- 5- عبد الرحمن الأخضرى، رائد التصوف السلفي في الجزائر العهد العثماني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ع: 7، نوفمبر 2006م.

- 6- عبيد بوداود: قراءة في العلاقة بين صوفية وفقهاء المغرب الأوسط ما بين القرنين 7 و8 الهجريين/13-15م، مجلة عصور الجديدة، عدد: 1، 2011م.
- 7- عمار الطالببي: الحياة العقلية في بجاية، الفلسفة والكلام والتصوف. الأصالة، ع: 19 مارس أبريل، 1974 : 7، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م.
- 8- عيسى لطفي: التصوف في بلاد المغرب، مشترك موروث بين مختلف أقطاره، له امتداده على كامل البحيرة المتوسطية. مقال منشور في جريدة الشروق التونسية، يوم: 2010/08/17.
- 9- المهدي البوعبدلي: أهم الأحداث الفكرية بتلمسان، مجلة الأصالة، ع: 26 جويلية، أوت 1975م.
- 10- المهدي البوعبدلي: ظهور السلفية في الجزائر لة الدراسات المغاربية وهران ع 1، أكتوبر 1988م.
- 11- فايزة بوسلاح، المدارس العلمية بتلمسان في عصر بني زيان إشعاع فكري وحضاري، مجلة عصور الجديدة، العدد 2، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 1432هـ/2011م.

12- زهية خلافي، النسق الفكري لفقهاء المغرب الأوسط من خلال كتاب البستان

كتاب جماعي: قضايا من تاريخ المغرب الأوسط، تقديم وتنسيق، عبيد بوداود،  
مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

13- بكاي هوارية: العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة في المغرب الأوسط الزياني بين

التعايش والتصادم. مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، العدد الثالث،

.2017

## 57- الرسائل الجامعية:

1- إسماعيل بركات: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ليحي بن موسى المازوني.

دراسة وتحقيق رسالة ماجستير بإشراف: عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ  
والآثار، جامعة منتوري قسنطينة 2010/2009م.

2- أمينة بوشاقور علي عمر: الطرق الصوفية والصراع السياسي في المغرب

الاسلامي، الملياني أنموذجا، رسالة ماجستير بإشراف: رابح لونيبي، كلية العلوم  
الاجتماعية وهران 2012-2013م.

3- بسام كامل عبد الرزاق شقدان: تلمسان في العهد الزياني، رسالة ماجستير تحت

إشراف: هشام أبو رميلة جامعة النجاح الوطنية بفلسطين 2002م.

4- رسالة ماجستير بإشراف: دادة محمد، قسم التاريخ والآثار، جامعة أحمد بن بله 1

وهران. 2014-2015م.

- 5- سمية مزدور: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-  
1520م) رسالة ماجستير تحت إشراف: محمد الأمين بلغيث، كلية الآداب والعلوم  
 الإنسانية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة 2008-2009م.
- 6- صباح بعارسية: حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري،  
السادس عشر الميلادي. مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، بإشراف: عمار بن  
 خروف، جامعة الجزائر، قسم التاريخ 2006/2005م.
- 7- عبد الرحمن بالأعرج: العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والممالك مذكرة  
 ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبو بكر  
 لقايد تلمسان 2008/2007م.
- 8- عثمان بوحجرة: الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني، 1519-  
1830م. مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، بإشراف: نادة محمد، جامعة أحمد  
 بن بلة وهران قسم التاريخ والآثار، 2014-2015م.
- 9- فاطمة الزهرة جدو: السلطة والمتصوفة في الأندلس عهدي المرابطين  
والموحدين رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، إشراف ابراهيم بحاز،  
 2008/2007م.



10- محمد بلحاج: مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، " الجزء

الأول" دراسة وتحقيق. مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: بن معمر محمد،

قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2008/2007م.

11- نصر الدين بن داود: بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7/13م إلى القرن

10/16م أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ

وعلم الآثار، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان 2010/2009م.

12- حسين تواتي: الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية (الكتابة

نموذجاً) 633 - 791 / 1236 - 1389م. مذكرة لنيل شهادة

الماجستير جامعة تلمسان، 2014م.

## 58- المراجع الأجنبية:

1- *Brunschvig(R), Berberie orientale sous les Hafside .2 vol ,paris,1982 .*

2- *Bel Alfred : L'Islam Mystique, Jules Carbonal Imprimeur-Eduteur, Alger,1928.*

3- *Diego de Haedo , topographie et histoire générale D'Alger " La vie à Alger au seizième Siècle" Traduire par Berbrugger et Monnereau , 3éd, Grand-Alger- livres, Alger, 2004.*

- 
- 4- *Dhina (A) : Le royaume abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1<sup>er</sup> et d'Abou Tachfin1<sup>er</sup>* , O.P.U, ENAL, Alger, 1<sup>er</sup> Edition, 1985.
- 5- *Dhina (A) : les Etats de l'occident Musulmans au 13,14 et 15<sup>ème</sup> siècle*, O.P.U, Alger,1984.
- 6- *De Courcelles D.(dir.), Les Enjeux Philosophiques de La Mystique, Actes Du Colloque Du Collège Internationale De Philosophie, Edition, Jèrom Million, Paris*
- 7- *Georges Marcais, Tlemcen vielle et Dhistoire, Paris: edition laurens collection1950,*
- 8- *Marcel Bodin, « Note sur Sidi M'hammed Ben- Chaa: Patron des Beni-Zeroual d'Algérie », in société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran, fondée en, 1878, T51, 1930.*
- 9- *Levi provençal :Religion culte des saints et confréries dans le nord marocain, bulletin de l'enseignement public, libraire Email la rousse. 1926.*
- 10- *Rinn Louis : Marabouts Et Khouans, Etudes Sur L'Islam en Algérie ; Adolphe Jordan Libraire -Editeur, Alger, 1984.*

# فهارس عامة

فهرس الأعلام

93	أبا الفضل النحوي	148	ابراهيم التازي
41	أبا بكر بن خطاب	101,	ابراهيم بن موسى المصمودي
46	أبا تاشفين عبد الرحمن		103, 207, 210
31	أبا سعيد عثمان	30, 46, 57, 60, 238	ابن أبي زرع
62	أبا عبد الله التلمساني	59, 138, 139	ابن أبي زيد
67, 196	أبا عبد الله الشريف	21	ابن الأثير
32, 33	أبا عنان	107, 215	ابن البناء الفاء
43	ابراهيم اليهودي	139, 140	ابن الحاج الورنيدي

56, 65, 138, 194, 236	ابن الحاجب	144	ابن عطاء الله
271, 57, 45, ز,	ابن الخطيب	62	ابن فرحون
45	ابن الخطيب الحفيد	101, 206	ابن قنفذ القسنطيني
158	ابن العباس	47, 71, 75, 76, 97,	ابن مرزوق
74	ابن القاسم	98, 101, 137, 138, 140, 145,	
94	ابن القنفذ القسنطيني	146, 147, 155, 172, 177, 203,	
157	ابن المرأة	205, 207, 239	
136	ابن تاغزوت	66, 75, 194	ابن مرزوق الجد
57, 122	ابن تومرت	71, 76, 101, 138,	ابن مرزوق الحفيد
135	ابن جيدة المديوني	147, 203, 207	
59	ابن حبيب	71, 204	ابن مرزوق الكفيف
68, 198	ابن حجر العسقلاني	46, 65, 66, 69, 70, 71,	ابن مريم
28, 40, 57, 66, 89, 90,	ابن خلدون	74, 76, 99, 100, 101, 102,	
97, 131, 194		105, 106, 107, 125, 127, 128,	
129, 130	ابن زاغو	129, 130, 131, 135, 138, 139,	
127, 128, 129, 134,	ابن زكري	140, 143, 149, 150, 153, 157,	
135, 158		158, 166, 171, 172, 192, 194,	
24	ابن سعيد المغربي	195, 199, 203, 204, 207, 208,	
,139, 105, 102, 101,	ابن سعد ح,	212, 214, 215, 216, 240	
,170, 165, 150, 149, 148, 141		169	ابن ملوكة التلمساني
,212, 208, 207, 188, 187, 185		177	ابن
272		58, 59	ابن يونس
90, 238	ابن عاشر	61, 64, 74, 192	ابني الإمام
89, 238	ابن	126	أبو إسحاق بن حكم السلوي
21	ابن عذارى المراكشي	139, 142, 143	أبو الحسن الصغير



32, 63	أبو الحسن المريني	88, 236	أبو نعيم
98, 100, 205	أبو العباس أحمد بن مرزوق	184	أبو يعقوب بن محيو الهواري
28, 60	أبو العلاء إدريس	97	أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق
101, 136, 206	أبو الفرج بن أبي	31, 58, 91	أبو يوسف يعقوب
31, 33, 35, 42, 45, 46, 62, 65, 143, 146, 193, 237, 242, 275	أبو حمو موسى	96	أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني
31, 65, 193	أبو حمو موسى الأول	140	أبي إسحاق التنسي
35	أبو حمو موسى الثالث	61	أبي إسحاق بن خلف التنسي
33, 42, 45, 46,	أبو حمو موسى الثاني	140	أبي الحسن التنسي
62, 146, 237		35	أبي العباس أحمد المعتصم
30	أبو زكريا الحفصي	166 150	أبي العلاء المديوني
31	أبو زيان محمد بن عثمان	75	أبي القاسم الغبريني
63, 64, 74,	أبو زيد عبد الرحمن	39	أبي المهاجر دينار
129, 192		128	أبي بكر العصنوني
63, 129	أبو زيد عبد الرحمن بن الإمام	58	أبي بكر بن الجد
33	أبو سعيد الزباني	41, 129	أبي تاشفين الأول
	أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا الحفصي	34	أبي تاشفين عبد الرحمن الثاني
33		93, 94	أبي حامد الغزالي
66, 194	أبو عمران المشدالي	41, 61	أبي حمو موسى الأول
34, 35	أبو فارس	34, 35, 43,	أبي حمو موسى الثاني
95	أبو مدين شعيب	66, 129, 154, 195	
62, 126	أبو موسى عمران المشدالي	58	أبي داوود
64, 74, 192	أبو موسى	128	أبي زكريا أبي البركات التلمساني
			أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني
		96	

122	أبي طالب المكي	106, 214	الأبي
153	أبي عبد الله الشامي	,182 ,151 ,110 ,109 ,	الأخضري
32, 33, 67, 96, 196	أبي عنان	275 ,244 ,241 ,221 ,220	
35, 96	أبي فارس عبد العزيز	274 ,236 ,23 ,	الإدريسي
37	أبي قرّة اليفرني	153	الاسفرائيني
70, 203	أبي محمد	106, 214	الألبيري
94	أبي مدين شعيب	57, 60, 68, 75, 154,	الإمام مالك
	أبي موسى عمران بن موسى المشدالي	199	
74		65, 106, 192, 214	البخاري
126	أبي موسى بن الامام	130	البساطي
37	أبي يزيد مخلد بن كيداد	91	البسطامي
140	أبي يعقوب المريني	,60 ,32 ,25 ,23 ,22 ,21 ,	البكري ي,
58	أبي يعقوب يوسف	274 ,236	
35, 171	أحمد العاقل	96, 236	البلوي
152	أحمد القباب	104, 212	الدين الحسني
70, 203	أحمد المقري	65, 192	الدين
106, 215	أحمد بن الحضرمي	,136 ,106 ,105 ,104 ,	التازي ح,
128	أحمد بن عمران البجائي	,212 ,185 ,179 ,149 ,148 ,138	
176, 181	أحمد بن يوسف الملياني	272 ,215 ,213	
60	إدريس المأمون	,75 ,74 ,68 ,67 ,64 ,62 ,	التنبيكتي ز,
39, 46	إدريس بن عبد الله	,127 ,107 ,106 ,105 ,104 ,102	
28	إسماعيل بن علان	,141 ,138 ,137 ,130 ,129 ,128	
		,196 ,186 ,157 ,155 ,153 ,142	
36	إفريقيش بن قيس	,215 ,214 ,213 ,212 ,208 ,197	
66, 102, 194, 196, 208	الأبلي	271 ,237 ,216	

التتسي و, 30, 31, 61, 62, 66, 101,	السلابي 32, 34, 39, 59, 182, 241
105, 128, 140, 154, 171, 195,	السلطان ابن الأحمر 42
206, 212, 237, 270	السلطان المريني أبو الحسن بن سعيد 32
144 الجنيد	السلطان المريني أبو عنان 64
122 الحارث المحاسبي	السلطان المريني أبي ثابت 31
106, 130, 215 الحافظ السخاوي	السنهوري 106, 215
106, 214, 215 الحباك	السنوسي , 100, 106, 127, 128,
الحسن أبركان ح, 105, 138, 141,	131, 135, 138, 139, 143, 179,
143, 213, 272	185, 215, 241, 275
143 الحسن الحلوي	الشافعي 74
الحسن الوزان 23, 25, 26, 31, 38,	الشريف أبو عبد الله التلمساني 75
40, 43, 44, 45, 47, 48, 49, 50,	الشريف التلمساني 46, 61, 63, 66,
51, 96, 109, 169, 172, 175,	101, 102, 125, 129, 136, 141,
176, 177, 181, 182, 220, 239	146, 195, 206, 208
105, الحسن بن رضي الله	الشفشاوني 69, 127, 128, 137,
213	159, 181, 201, 238
102, 171, 209 الحسن بن مخلوف	الشهاب الأبيطي 106, 215
الحفناوي ز, 76, 127, 134, 147,	الشهاب المغراوي 130
241, 271	الشوذي 150, 157
91 الحلاج	الشيخ أحمد الغماري 187
الحميري 22, 23, 24, 25, 29, 31,	الشيخ الحلوي 139
237, 36, 37, 40, 48, 49,	الشيخ سيدي يعقوب 158
105, 212 الحوفي	العاهل الحفصي أبي زكريا 30
61 الخطيب بن مرزوق الجد	العصنوني 128
106, 215 الرصاع	

العقباني	ي, 46, 61, 66, 67, 76,	173, 179, 246	الملياني
	102, 125, 142, 146, 152, 184,	58, 243	المنوني
	194, 197, 208, 274	, 28, 60, 142, 143, 159,	المهدي
الغبريني	94, 99, 238	276, 245, 237, 185	
الغزالي	93, 152	21, 22, 109, 130, 145, 148,	النبي
الغوث بن مر	88	154, 155, 171, 220	
القرافي	75, 102, 208	109, 149, 220	الورتيلائي
القشيري	39, 88, 89, 156, 164,	274, 220, 109, 50, 26, 26,	الوزان ي,
	239, 275	, 75, 70, 68, 66, 23,	الونشريسبي ط,
القلصادي	ي, 76, 101, 206, 239,	, 146, 133, 130, 128, 127, 126,	
	274	, 168, 155, 153, 152, 151, 147,	
الكندي	91	, 177, 174, 173, 172, 171, 170,	
المأمون	28, 29, 42, 60	, 197, 195, 185, 181, 180, 179,	
المأمون الموحد	29	273, 241, 202	
المرابط بن	181	28, 29, 60	جابر بن يوسف
المرازقة	ط, 47, 138, 272,	27, 36, 37	
المزني	74	65, 192	الدين القزويني
المغراوي	130, 152	146	حسن بن عبد الرحمن البجائي
المغيلي	23, 128, 159	27	رزجيك
المقري ز,	47, 48, 61, 63, 65, 70,	59, 157, 179	رسول الله
	74, 75, 101, 126, 136, 137,	156	رويم البغدادي
	138, 147, 148, 192, 193, 194,	, 106, 105, 100, 88, 68, 68,	زروق ك,
	202, 206, 207, 240, 271,	, 145, 144, 143, 142, 130, 110,	
المقلاش	102, 209	, 215, 213, 197, 178, 152, 151,	
الماللي	105, 214	275, 243, 237, 221	

29	زكرار بن زيان	71, 203	عبد الله بن العباس
59	سحنون	28	عبد المومن
142, 147	سعيد العقباني	57, 58	عبد المؤمن
30	سعيد بن يغمراسن	28	عبد المومن بن
177	سيدي بوزيد	57	عبد المؤمن بن
150	سيدي بوسعيد الشريف	29	عثمان بن يوسف
188	سيدي عبد الله بن منصور	169	عروج
176	سيدي غانم بن يوسف	65, 192	علاء الدين القونوي
47	سيدي محمد بن عبد الله	21, 39, 46, 63,	بن أبي طالب
150, 152, 159	سيدي واضح		146
70, 202	ثقرون بن الوجدجي	41	بن حسن
27	عابد الوادي	166	بن موسى
142	عبد الحق الزرويلي	128	بن أحمد الماواسي
31	عبد الرحمن أبو تاشفين الأول	179	بن البسكري
34	عبد الرحمن أبو تاشفين الثاني	67, 197	قاسم العقباني
100, 101, 105,	عبد الرحمن الثعالبي	,197, 142, 76, 67,	قاسم بن سعيد ي,
106, 107, 143, 179, 206, 213,			274
	215, 216	39	كلثوم بن عياض
102, 136,	عبد الرحمن الوغليسي	59	البرازعي
	151, 208	93, 122, 164, 223	الغزالي
126	عبد الرحمن بن الامام	36	ماذغيس الأبتز
25, 27, 28,	عبد الرحمن بن خلدون	36	ماذغيس بن بر
29, 30, 31, 32, 34, 36, 37, 38,		26	مارمول كربخال
	42, 89, 90	59, 60, 62, 66, 68, 70, 74,	مالك
145, 182	د الكريم الفكون		147, 194, 198, 202



35	محمد المتوكل	106, 214	مسلم
147	محمد المراكشي	88	معروف الكرخي
130, 141, 158	محمد بن العباس	37	مغراو بن يصلتين
35	محمد بن تاشفين الثاني	102, 208	موسى العبدوسي
70,	محمد بن عبد الرحمن الوهراني	41	موسى بن
	202	39	موسى بن نصير
109,	محمد بن الخروبي الطرابلسي	105, 213	نصر الزواوي
	220	39	هشام بن عبد الملك
,136 ,105 ح,	محمد بن عمر الهواري	42	القطلاني
,179 ,170 ,169 ,158 ,150 ,149		27	واسين
	102, 208 272 ,212	27	ورسيك
99	محمد بن عبد الله	106, 215	وناصر الدين المشدالي
139	محمد بن غازي	27	يادين
,72 ,71 ,63 ,47 ط,	محمد بن مرزوق	166	العيدلي
,142 ,140 ,138 ,136 ,134 ,101		27, 28, 30, 31, 33,	بن خلدون
	272 ,206 ,205 ,203	40, 41, 42, 43, 47, 49, 66, 67,	
92	محمد بن مسرة	97, 101, 145, 194, 195, 196,	
169	محمد بن	206	
100, 105,	محمد بن يوسف السنوسي	27	يصلتن
126, 128, 139, 142, 149, 157,		28, 29, 58, 59,	يعقوب المنصور
	171, 173, 213	122, 223	
28	محمد عبد الحق بن معاد	30	يعقوب بن عبد الحق
93	محمد عبد السلام التونسي	27, 29, 30, 32, 38, 40,	يغمراسن
89	الدين بن عربي	41, 42, 43, 44, 47, 51, 61, 99	
43			

27, 29, 40, 41,	يغمراسن بن زيان	41	يوسف بن تاشفين
43, 44, 47, 51, 61, 99		58	يوسف بن عبد المؤمن

فهرس الأماكن والمدن

21	الإسكندرية
41	آسيا
274, 239, 26, 23	إفريقيا
274, 273, 241, 236, 64, 61, 39, 33, 32, 24, 23, 22, 21	إفريقية ط, ي
239, 142, 95, 93, 92, 60, 58, 57, 47, 41, 40, 39, 38, 21	الأندلس ز
271, 246, 243, 240	
41, 43	أوروبا
50	إيطاليا
151, 146, 136, 130, 107, 102, 99, 95, 51, 26, 25, 24, 23	ط, :
275, 273, 245, 216, 208, 175, 173, 166	
23, 47	البحر المتوسط
173	البرتغال
43	برشلونة
36	برنس
130	بساط
109, 220	بسكرة
176	البطحاء
40	بلاد العُدوة
176	بلاد القبائل
158	بلاد المصامدة

21, 93	بلاد المغرب
100, 147	بن زاغو
68, 137, 138, 142, 147, 198	بن مرزوق الحفيد
109, 220	بنطيوس
27, 28, 36, 40	بنو عبد الواد
,64 ,63 ,61 ,55 ,51 ,46 ,45 ,34 ,32 ,30 ,27 ,26 ,20 ,	زيان و ز
275 ,271 ,270 ,246 ,237 ,186 ,126 ,99	
166	منجلات
23, 24, 25	بونة
87	بيت الله الحرام
24, 25	تازا
38	
48	التكرور
,33 ,32 ,31 ,30 ,29 ,28 ,27 ,26 ,25 ,24 ,23 ,22 ,	تلمسان , ا و ح ي
,61 ,60 ,51 ,49 ,48 ,47 ,46 ,44 ,43 ,41 ,40 ,39 ,38 ,37 ,36 ,35 ,34	
,129 ,128 ,126 ,107 ,105 ,104 ,102 ,101 ,99 ,97 ,71 ,70 ,68 ,67 ,65	
, 169, 172, 176, 165 ,158 ,157 ,146 ,143 ,142 ,141 ,139 ,136 ,130	
177, 181, 193, 197, 198, 202, 204, 206, 208, 209, 212, 213, 216,	
237, 241, 242, 244, 245, 246, 247, 270, 272, 274, 276	
24, 25, 31, 61	تتس
23, 26, 51, 127, 128, 139, 159	توات
25, 26, 30, 57, 76, 104, 107, 109, 137, 212, 216, 220, 237,	تونس
238, 239	
23, 40	تيكورارين
38 ,37 ,	تيهت

107, 216	الزيتونة
141	سيدي الطيار
177	العمور
37, 38	راشد
38	تيطري
176	ماخوخ
181	ونشريس
, 96 ,95 ,94 ,90 ,76 ,63 ,61 ,46 ,43 ,37 ,33 ,30 ,27 ,25 , الجزائر	
,173 ,169 ,167 ,164 ,159 ,155 ,143 ,142 ,131 ,109 ,108 ,107 ,97	
,275 ,274 ,246 ,245 ,244 ,242 ,241 ,240 ,239 ,238 ,237 ,217 ,216	
276	
65, 192	الحجاز
23	نرعة
56, 57, 65, 192, 241, 244	دمشق
95	الدولة الرستمية
49	رأس القلعة
176, 244	زواوة
109, 220	الزيتونة
23, 24	
36	سعيدة
21	
21, 42, 47, 48	السودان
23	سويسرات



37	سيرات
37	سيق
21, 22, 51, 65, 192	الشام
27	
23, 24, 48, 128	الصحراء
25, 62, 240	طرابلس
100, 130, 144	العباد
181	
37	غليزان
48	
30, 31, 32, 41, 48, 66, 102, 128, 129, 159, 195, 208, 238	فاس
93	قرطبة
176	قرية آيت أحمد بن يوسف
24, 25, 93, 96, 109, 130, 172, 175, 220, 244, 245, 246	قسنطينة
43	قطونية
93	حماد
37, 38	هواره
22, 25	القيروان
88	الكعبة
55, 152, 236	لبنان
171	المارستانات
273, 245, 172, 152, 31	مازونة ط
30	

21, 22, 48	المحيط
62	المدرسة التاشفينية
62, 100	المدرسة اليعقوبية
	المدية 31
31, 40	مستغانم
,192 ,164 ,163 ,106 ,96 ,95 ,93 ,68 ,64 ,41 ,33 ,23 ,22	المشرق ز,
277 ,271 ,236 ,223 ,215	
22	المشرق الاسلامي
21, 60, 65, 166, 184, 192, 241, 243, 244	مصر
27, 40	المغرب الأدنى
,243 ,186 ,173 ,145 ,95 ,94 ,92 ,58 ,49 ,41 ,40 ,ك1	المغرب الإسلامي
	275 ,246
21, 24	المغرب الأقصى
25, 27, 28, 32, 48, 241	المغرب الأقصى
,26 ,25 ,24 ,23 ,22 ,21 ,20 , ,	المغرب الأوسط أ, ج, د, ز, ح, ط, ي, ,
,60 ,55 ,54 ,49 ,46 ,43 ,40 ,39 ,37 ,36 ,35 ,34 ,33 ,31 ,29 ,28 ,27	
,141 ,127 ,125 ,122 ,107 ,99 ,98 ,97 ,95 ,94 ,93 ,87 ,73 ,72 ,62	
, 173, 171 ,168 ,167 ,166 ,164 ,163 ,160 ,154 ,151 ,148 ,147 ,145	
174, 175, 176, 177, 178, 179, 180, 181, 184, 186, 189, 205, 216,	
223, 224, 245, 246, 266, 268, 271, 272, 273, 274, 276, 277, 278	
21, 104, 212, 239	
24, 25	
29	ندرومة
49	نهر سفسف

36, 37	وادي ثلث
24, 25	وادي
25	وادي ملوية
37, 38	وادي
24	وارجلان
49	الوريط
23, 27, 101, 102, 104, 138, 142, 148, 149, 159, 167, 173, 176, 207, 208, 212, 237, 240, 245, 246	وهران

## فهرس المحتويات

5	شكر و عرفان
7	إهداء
20	الفصل التمهيدي: الدولة الزياني: إطارها الجغرافي - التاريخي - والبشري
21	أولا: حدود المغرب الأوسط :
30	: بني زيان ومراحل
30	1 بني الواد وبداية أمرهم:
35	2 مراحل الدولة الزيانية:
35	أ ال والتوسع:
39	ب الهيمنة المرينية (737-749هـ/1352-1364م):
41	ج إعادة إحياء الدولة (760-791هـ/1358-1389م):
42	د التبعية لبني (791-795هـ/1389-1393م):
43	ه التبعية لبني (827-890هـ/1424-1485م):
44	و السقوط (890هـ-923هـ/1485م-1517م):
45	: وفئات المجتمع الزياني
45	1 المجتمع الزياني
57	2 فئات المجتمع الزياني
م16-م14/ه10-ه8	الفصل الأول: أوضاع الفقهاء والمتصوفة في الدولة الزيانية القرنين
53	

56	أولا الفقه والفقهاء في العهد الزياني
56	1 مفهوم الفقه
57	2: مفهوم الفقه اصطلاحا
58	3 المذهب المالكي العهد الزياني
62	4 العودة إلى العمل المالكي في العهد الزياني
67	5 الفقهاء الاجتماعية والعلمية وإنتاجهم العلمي القرنين (8-10هـ/14-16م)
67	أ الاجتماعية:
69	ب العلمية ومصنفاتهم:
82	6 ظهور التيار الاجتهادي في الفقه
101	: التصوف والمتصوفة في العهد الزياني
102	1 - مفهوم التصوف
102	أ - :
103	ب - اصطلاحا :
105	2 - أقسام التصوف
105	أ - التصوف السني :
107	ب - التصوف الفلسفي :
110	3 - نشأة التصوف بالمغرب الأوسط
114	4 - عوامل انتشار التصوف بالمغرب الأوسط
114	أ - العامل السياسي :
117	ب - العامل الاقتصادي والاجتماعي:
120	ج - العامل الفكري:



- 5 – أبرز أعلام التصوف في العهد الزياني وأهم مؤلفاتهم القرنين (8-10هـ/14-16م): ..... 122
- الفصل الثاني: علاقة أصحاب الفقه برجال التصوف القرنين 8 - 10هـ/14-16م** ..... 124
- أولاً: الفقهاء ..... 126
- 1 – العلاقة الثقافية الفقهاء: ..... 126
- 1-1 الود الفقهاء: ..... 127
- 2-1 الاختلاف الفقهاء: ..... 128
- 2- العلاقة الاجتماعية ..... 132
- 136 : الفقهاء برجال التصوف ..... 136
- 1
- التواصل ..... 137
- 1-1 : ..... 137
- أ - الإجازات والتلمذة : ..... 138
- أ - أ - الإجازة واصطلاحاً: ..... 138
- : ..... 138
- اصطلاحاً : ..... 138
- \*الإجازة العلمية: ..... 138
- ب - التأليف والتدريس في المجالين ..... 145
- ج - المراسلات ..... 147
- 2-1 العلاقة الاجتماعية الفقهاء والمتصوفة : ..... 150
- 2 - الاختلاف والنفور ..... 152
- 2-1 الفتاوى والردود المعارضة لها : ..... 152

- 2-2 إنكار الفقهاء الممارسات الصوفية : ..... 163
- 2-3 الاختلاف في المنهج والسلوك : ..... 173
- 2-4 المناظرات و التشغيب في حضرة السلاطين: ..... 176
- الفصل الثالث: نتائج علاقة الفقهاء بالمتصوفة على الصعيد الاجتماعي..... 162**
- أولاً: الآثار الإيجابية ..... 164
- 1 - تقارب الفقهاء والمتصوفة و انعكاساته المجتمع ..... 164
- 2- العلاج الروحي العلمي ..... 167
- 3- قيام الولي برد المظالم وكف العدوان ..... 171
- 4- دور المتصوفة في التكافل الاجتماعي وحل المشاكل ..... 175
- 5- دور الزوايا في المجتمع واتساع العمران ..... 179
- 5 - 1 الدور الاجتماعي : ..... 179
- أ التنقل ..... 180
- ب الإيواء ..... 181
- ج الرقد ..... 181
- 5 - 2 اتساع العمران : ..... 182
- : الآثار السلبية ..... 185
- 1- انحراف سلوكيات المتصوفة ..... 185
- 2- ان الفكر الكرامي و الولي ..... 189
- 3- انقسام المجتمع أتباع الفقهاء وأتباع الصوفية ..... 193
- 4- تغير نظرة المجتمع للفقهاء ..... 196
- 5- الطابع الصوفي المجتمع ..... 198

14 / 10 - 8	الفصل الرابع: دراسة نماذج من الفقهاء والمتصوفة الذين عاشوا ما بين القرنين	-
191	م. 16	.....
193	أولا: أهم أعلام الفقه المالكي ما بين القرنين 8-10 / 14 - 16 م.	.....
193	1 - أعلام الفقه خلال القرن الثامن الهجري	.....
197	2 - أعلام الفقه خلال القرن التاسع الهجري	.....
203	3 - أعلام الفقه خلال القرن العاشر الهجري	.....
206	: أهم أعلام التصوف ما بين القرنين 8-10 / 14 - 16 م.	.....
211	1 - أعلام التصوف خلال القرن الثامن الهجري	.....
220	2 - أعلام التصوف خلال القرن التاسع الهجري	.....
249	فهارس	.....
250	فهرس الأعلام	.....
265	فهرس المحتويات	.....

### ملخص الرسالة:

لا يختلف اثنان على أن المغرب الأوسط خلال العهد الزياني شهد تطورا فكريا وحركة علمية نشيطة، كان من بين مظاهرها بروز العديد من الأعلام الذين تعدت شهرتهم البلاد بسبب نبوغهم المعرفي وكثرة مؤلفاتهم في مختلف العلوم، خاصة منها ما تعلق بالفقه المالكي، إذ كان الراعي لهذه الحركة العلمية هم سلاطين بني عبد الواد الذين أعادوا للفقه المالكي مكانته متخذين منه مذهب الدولة الرسمي، وأصبح للفقهاء مكانتهم وكلمتهم في جميع ما يجري في أوساط المجتمع.

وإلى جانب الفقه برز تيار التصوف كمنافس له على الساحة الفكرية والاجتماعية، حيث تبناه العديد من العلماء متخذين من منهجه سلوكا عمليا في حياتهم اليومية، ومع مرور الوقت توسع انتشاره ليصل إلى أوساط العامة وينتقل من النخبة إلى مختلف شرائح المجتمع، حيث سيعرف سلوكيات وعقائد أدت إلى استنكار الفقهاء لها وكان لهم ردود أفعال نحوها فبينما كان الفقهاء ينظرون إلى أن تطبيق الأحكام التشريعية هي الغاية من الدين (علم الشريعة)، كان المتصوفة ينظرون إلى غاية أخرى للدين وهي المعاني الباطنة لتلك الأحكام أي إلى حقيقتها (علم الحقيقة).

فاختيارنا موضوع هذه الدراسة الموسوم بـ "علاقة الفقهاء

المتصوفة وأثرها الاجتماعي، المغرب الأوسط ق 8-10هـ/14-16م

" . يهدف أساسا إلى الغوص في موضوع طبيعة العلاقة بين رجال الفقه ورجال التصوف في المغرب الأوسط الزياني وما تركته من نتائج على الصعيد الاجتماعي، ومعرفة مكانة كلا الفئتين في المجتمع الزياني، وكذا التعرف أهم إنتاجهم الفكري والمعرفي.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أننا سنحاول من خلالها رصد ورسم ملامح ومعالج لطبيعة تلك العلاقة التي ربطت الفقهاء بالمتصوفة في تلك الفترة الزمنية الهامة من جهة، ثم تتبع واستقراء تداعياتها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة؛ السلبية والإيجابية المستوى الاجتماعي.

أما عن أهداف الدراسة فهي تهدف إلى الاطلاع على حقيقة العلاقة التي كانت تجمع الفقهاء بالمتصوفة والوقوف على تداعياتها ونتائجها على الصعيد الاجتماعي سلبا وإيجابا، ومعرفة إسهامات كلا الفريقين في مجتمعهم.

أما أسباب اختيارنا لهذه الدراسة فمنها ما هو موضوعي ومنها ما هو ذاتي، فالأسباب الموضوعية لاختيارنا لهذه الدراسة تمثلت في رغبتنا الخوض في حقل التصوف لمعرفة ما كان يواجهه من تحديات عند بداية بروزه في الدولة الزيانية، وكشف النقاب عن العلاقة التي جمعت بين الفئتين، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن قلة الدراسات التي تناولته مقارنة بباقي المواضيع السياسية والعسكرية هي التي جعلتنا نفضله على غيره من المواضيع الأخرى.



أما الدوافع الذاتية فتتمثل في محاولتنا التعريف بمكانة التصوف والمتصوفة العلمية وإظهار مساهماتهم وحضورهم الفعال في المجتمع خلال العهد الزياني، لأن الصورة التي ترسم في أذهان الكثير من الناس عن التصوف والمتصوفة يغلب عليها الطابع السلبي ويعتبرون ذلك بدعة خارجة عن الدين.

ومن هنا نتحدد إشكالية موضوعنا الرئيسية حول: طبيعة العلاقة التي جمعت بين الفقهاء والمتصوفة في العهد الزياني بين القرنين 14-16م، وانعكاساتها ومدى تأثيرها على المجتمع الزياني في الفترة المدروسة.

وتثير هذه الإشكالية بدورها جملة من التساؤلات منها:

- فيما تجلت إسهامات الفقهاء والمتصوفة على الصعيدين الثقافي والاجتماعي؟
- مظاهر العلاقة التي جمعت بين الفقهاء والمتصوفة؛ هل كانت علاقة تقارب وتوافق؟ أم كانت علاقة اختلاف وتنافر؟
- هل وصل الاختلاف حد الصراع والتصادم؟ و مدى تأثيراته الجانب الاجتماعي؟

وبغرض الإجابة عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة اعتمدنا جملة من المناهج كان أبرزها المنهج التاريخي التحليلي الذي يعتمد على جمع ورصد المعلومات وعرض الأحداث وترتيبها بالتقصي ومتابعة المحطات التاريخية وربطها زمانا ومكانا، مع تحليل مختلف القضايا والمواقف وربط بعضها ببعض للوصول إلى الحقائق التاريخية. والمنهج

الوصفي التحليلي حسب توفر المادة العلمية في مظانها بغرض الاستقراء والوصف والنقد،  
نون الإستغناء عن التحليل والتفسير في كثير من المواضع التي تتطلب ذلك.

اعتمدنا أيضا على المنهج المقارن الذي لا يكتفي بالتاريخ السردي الوصفي، بل  
يستلزم وجود عدة قضايا مشتركة ومختلفة بين الأطراف المقارن بينها، فالمنهج المقارن  
يجيب على التساؤل لماذا حدث؟ أما المنهج الوصفي التحليلي فيجيب على التساؤل كيف  
حدث؟؛ وقد اعتمدناه للمقارنة بين سلوكيات الفقهاء والمتصوفة، وأثرهم في المجتمع  
الزياني... كما استخدمنا المنهج الإحصائي الكمي في بعض العناصر لإحصاء وجردهم  
أعمال الفقهاء والمتصوفة وإنتاجهم الفكري.

وكان عمادنا هذا مبنيا وفق خطة مكونة من مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول،  
و، وأرفقنا هذه الدراسة بمجموعة من الملاحق لإثراء الموضوع.

في الفصل التمهيدي والموسوم بـ " التعريف بالدولة الزيانية - حدودها -  
مراحلها وسكانها" خصصناه للوقوف على حدود المغرب الأوسط من خلال كتب الرحالة  
والجغرافيين، ثم ذكرنا فيه نسب قبيل بني عبد الواد وبدايات ظهورهم السياسي، ومراحل  
حكمهم منذ التأسيس إلى السقوط، كما ، عناصر وبنية المجتمع الزياني  
ومكوناته وفئاته ومميزاته.

وفي الفصل الأول المعنون بـ " أوضاع الفقهاء والمتصوفة في الدولة الزيانية بين  
القرنين 8-10/14-16م " استعرضنا فيه أوضاع الفقهاء والمتصوفة في الدولة الزيانية

خلال الفترة المدروسة، وتطرقنا إلى وضعية المذهب المالكي قبل وخلال العهد الزياني، وكيف كانت مكانة الفقهاء الاجتماعية والعلمية وبعض تراثهم الفقهي، ثم أشرنا إلى بداية نشأة التصوف في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني وأبرز أعلامه وأهم مؤلفاتهم.

أما الفصل الثاني فكان عنوانه "علاقة أصحاب الفقه برجال التصوف خلال العهد الزياني خلال القرنين 8-10هـ/14-16م" خصصناه تلك العلاقة التي جمعت بين أصحاب الفقه برجال التصوف، مركزين أولاً علاقة الفقهاء بعضهم ببعض ثقافياً واجتماعياً وسياسياً، ثم ذكرنا علاقتهم بالمتصوفة وقسمناها إلى مظاهر تواصل ومظاهر قطيعة ونفور.

وكان الفصل الأخير تحت عنوان "نتائج علاقة الفقهاء بالمتصوفة على الصعيد الاجتماعي" درسنا تلك العلاقة بين الفئتين حيث جزأناها إلى جزأين، ذكرنا في الأول النتائج الإيجابية، والثاني النتائج السلبية.

وختمنا عملنا بخاتمة احتوت على مجموعة من النتائج هي خلاصة ما توصلنا إليه، محاولين الإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة.

وعززنا بحثنا ببعض الملاحق المتمثلة في بعض الرسائل، ونماذج عن الإجازات العلمية وإجازات في التصوف. وكذا بعض الجداول والرسومات البيانية لتمثيل وتجسيد لأبرز الفقهاء والمتصوفة؛ وبعض مؤلفاتهم وإنتاجهم الفكري والعلمي.

ولدراسة هذا الموضوع كان لزاما علينا الاطلاع على الدراسات التي تناولت موضوع العلاقة التي كانت تجمع بين الفقهاء والمتصوفة في المغرب الأوسط على عهد الزيانيين وأثر ذلك على المجتمع، وذلك ليسهل علينا الإحاطة بجميع جوانبه؛ ثم الاستفادة منها في كيفية التعامل مع مصادره.

- ومن أبرز الدراسات الحديثة التي استعنا بها في بحثنا هذا؛ المقال الذي أعده بوداود عبيد والمعنون بـ: " قراءة في العلاقة بين صوفية وفقهاء المغرب الأوسط ما بين القرنين 7 و9 الهجريين / 13-15م".

- ومنها مقال هوارية بكاي بعنوان: "العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة في المغرب الأوسط الزياني بين التعايش والتصادم" حيث تعرضت فيه إلى طبيعة العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة وتتبعتها عبر مختلف مراحل تطور الدولة الزيانية وتعرضت لأبرز فقهاء ومتصوفة تلك الفترة مع ذكر مؤلفاتهم في الفقه والتصوف.

- ومنها أيضا المقال الذي أعدته ، بعنوان: " دور السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط"

- وكذلك الدراسة التي أعدها مصطفى باحو بعنوان: " علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم" وهي دراسة تبرز العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة من جهة وأثرها على المجتمع من جهة أخرى.

دراسة وعرض المصادر والمراجع:



وكانت مصادرنا لهذا البحث متنوعة، فمنها المصادر التاريخية والجغرافية وكتب الرحلة والطبقات والتراجم وكتب البلدان والمسالك، وكتب الفقه والفتاوى والأحكام، وكتب المناقب والكرامات؛ وقد تفاوتت هذه المصادر في قيمتها التاريخية والحضارية، حيث أن علاقة مباشرة بموضوع الدراسة وكذا من حيث قربها الزمني من الأحداث، ومن أهم هذه المصادر نذكر:

\* - كتب التاريخ والحواليات:

وهي في معظمها مصادر مغربية سنوية وهي كثيرة ومتنوعة رغم ضياع العديد منها؛ أمدتنا بأخبار الملوك والحكام، واستفدنا منها في رصد الحياة السياسية والاجتماعية للدولة الزيانية... أهمها:

5- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: لعبد الرحمن بن خلدون (808هـ/1406م): في جزئه السابع الذي تعرض فيه إلى التعريف بأصل قبيلة زناتة وذكر أهم الفروع التي تنتمي إليها وخريطة توزيعها، ونسب بني عبد الواد وبداية الدولة الزيانية.

6- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد: ليحيى بن خلدون (780هـ/1378م) أرخ فيه لسلطين الدولة الزيانية وتاريخها السياسي، كما ترجم في الجزء الأول منه لعدد من علماء تلمسان.



7- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان

شرف بني زيان: لأبي محمد عبد الله بن عبد الجليل التنسي (899هـ/1494م) استعنا بالتراجم الموجودة في القسم الخاص بالدراسة أخذنا منه شيوخ المؤلف، كما أفادنا في التعرف بعض الحوادث السياسية لتاريخ الدولة الزيانية.

8- تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان: لإسماعيل بن يوسف الخزرجي المعروف

بابن الأحمر (807هـ/1404م) الذي أرخ فيه لتاريخ بني زيان لكنه يقطر تحاملا عليهم ونيلا من سلاطينهم عدا من كان منهم في خدمة بني مرين وقد أخذنا منه تاريخ بني عبد الواد عندما كانوا في بداية أمرهم داخلين في خدمة الموحدين.

\* - كتب الطبقات والتراجم:

تعد كتب التراجم والطبقات سجلا حافلا للأنشطة الثقافية والدينية والعلمية؛ كما أنها تمدنا بمعلومات قيمة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية للفترة التي تناولها، وتبين مدى إسهامات المترجم لهم في تلك المجالات المذكورة. ومن الكتب التي اعتمدنا عليها في هذا الجانب نذكر منها:

6- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: لأحمد بابا التنبكتي (1032هـ/1624م) وكذلك

كتابه الثاني كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج حيث ترجم فيهما لعلماء المغرب والأندلس وبعضاً من علماء المشرق.

7- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب: لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني (1041هـ/1631م) خصص قسما منه لتراجم بعض من علماء المغرب الأوسط، وذكر فيه بعض الأسر التي كانت تتشط في مجال التجارة بتلمسان ومنها أسرة المقرئ.

8- تعريف الخلف برجال السلف: لأبي القاسم محمد الحفناوي (1360هـ/1941م) ترجم في كتابه هذا لحوالي أربعمئة علما من أعلام المغرب الأوسط وغيرهم.

9- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: لشمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي (902هـ/1498م) استخرجنا منه بعض تراجم الصلحاء والعلماء المغاربة الذين ضمهم كتابه.

10- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (681هـ/1283م) ترجم فيه لكل من له شهرة ويقع السؤال عنه مرتبين على حروف المعجم، ورغم أن تاريخ تأليفه يسبق الفترة التي ندرسها إلا أننا استعنا به في تراجم بعض الشخصيات التي جاء ذكرها في سير أحداث هذه الرسالة

\* - كتب المناقب والكرامات:

يعتبر هذا النوع من الكتابات المصدر الأساس للتعرف على واقع التدين عند أهل المغرب الأوسط، لأنها تترجم وتؤرخ للأشخاص المشهورين من الصوفية والفقهاء حيث

كان الغرض منها ذكر فضائلهم والتعرض لكرامات الصوفية ومكانتهم الدينية والاجتماعية. فمن الكتب التي استعنا بها في هذه الدراسة نذكر:

6- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: لأبي عبد الله محمد المليتي المعروف بابن مريم التلمساني (كان حيا 1025هـ/1611م) أفادنا كثيرا في تراجم أولياء وعلماء تلمسان والتعرف على كرامات المتصوفة وطريقة عيشهم وذكر بعض العلاقات التي كانت بينهم.

7- روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين: ويعرف أيضا بروضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين لمحمد بن سعد الأنصاري التلمساني (901هـ/1499م) ترجم فيه لأربعة أولياء من المغرب الأوسط حسب تواريخ وفياتهم/ وهم على التوالي الشيخ محمد بن عمر الهواري، والشيخ الحسن أبركان والشيخ ابراهيم التازي والشيخ أحمد الغماري، عدد فيه مناقبهم ونبذا من حياتهم الصوفية وطريقة عيشهم ولباسهم.

8- النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب: لنفس المؤلف (ابن سعد التلمساني)، وهو من أقدم الكتب التي ترجمت لصوفية المغرب الأوسط، وقد أفادنا في نقله لكم هائل من الكرامات وخوارق العادات التي كانت سائدة ومسيطرّة على ذهنية المجتمع في تلك الفترة، وكذلك مسألة اللجوء إلى الأولياء للعلاج وقضاء الحاجات.

9- المناقب المرزوقية: لأبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني (1379هـ/781م) ترجم فيه لعدد من أسرة المرازقة وكامل أحوالهم وذكر ما كان يقع في مجالس الصوفية من مذكرات في المقامات والأحوال وختم كتابه هذا بترجمته لنفسه وذكر شيوخه ومن نقيه من الأولياء وزهدهم وصلاتهم.

10- مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار: لموسى بن عيسى المازوني، ترجم فيه لعدد من أولياء المغرب الأوسط وذكر قصصا من حياتهم وكراماتهم وتعاملهم مع السلطان وخوارق عاداتهم.

\* - كتب النوازل والفتاوى:

تكمن أهمية هذا النوع من الكتب في ما تحتويه من معلومات غزيرة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وكذا ما تحمله من فتاوى وردود وإجابات عن أسئلة مختلفة كان مجتمع المغرب الأوسط يطرحها، وقد أفادتنا هذه الكتب في معرفة مواقف الفقهاء من عديد الممارسات التي كان صوفية المغرب الأوسط يمارسونها. ولعل أهم المصنفات في هذا المجال:

7- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب: لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (1508هـ/914م) وهو بالإضافة إلى كونه كتابا نقل فيه صاحبه فتاوى السابقين والمعاصرين له، فإنه يعد مادة إجتماعية وتاريخية



هامة للباحث في مواضيع العصر الوسيط حيث يعثر فيه على العادات والتقاليد وطريقة عيش الناس والتعرف على ذهنياتهم وجميع ما كان سائدا من معاملات في تلك الفترة، وقد أفدنا منه الكثير من الممارسات الصوفية وإنكار الفقهاء لها، وطريقة عيش المتصوفة في المأكل والملبس وجميع حياتهم اليومية.

8- الدرر المكنونة في نوازل مازونة: ليحي بن عيس المازوني (883/1478م)

ورغم أن عنوانه يدل على أنه مخصص لفتاوى أهل مازونة إلا أنه نقل فيه فتاوى أهل وتلمسان، وقد أفدنا في نقله لبعض المسائل المتعلقة بمعاملة السلاطين لفئة المتصوفة وعنايتهم بأبنائهم.

\*كتب الرحالة والجغرافيين:

وهي من المصادر الهامة التي تعد مادة أساسية لاستقاء العديد من المعطيات التاريخية، فعن طريقها استطعنا رسم صورة عن الحياة التي كان المتصوفة يعيشونها، وكذلك معرفة مكانة الفقهاء لدى سلاطين بني زيان. فكان من بينها الكتب التالية:

5- وصف إفريقيا: للحسن الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي

(957/1552م) فيه لوصف لجميع المن والأقاليم التي زارها ومنها تلمسان وبعض مدن المغرب الأوسط، حيث نقل إلينا وصفا لفئات السكان وطبقاتهم وروايتهم، وأشار أيضا إلى بعض المتصوفة الذين صادفهم أثناء رحلته.



6- رحلة القلصادي: لأبي علي الحسن بن محمد القلصادي (891هـ/1486م) تعرض في ثنايا كتابه إلى الشيوخ الذين تتلمذ عليهم أثناء إقامته بالمغرب الأوسط، منهم قاسم بن سعيد العقباني.

7- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: لأبي عبد الله الشريف الإدريسي (548هـ/1154م) وصف لبعض مدن المغرب الأوسط ومنها تلمسان، حيث وصف فيها أنواع الحرف وأنواع المحاصيل والإنتاج.

8- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب: لأبي عبيد الله البكري (487هـ/1094م) استعنا به في رسم حدود المغرب الأوسط، على اعتبار أنه أول من ذكر ذا المصطلح عندما قسم المغرب إلى ثلاثة مناطق، كما استعنا به في التعريف ببعض المدن والأقاليم.

وتكملة لما أوردته المصادر حول الموضوع، استعنا بمجموعة من المراجع والمقالات والدراسات الحديثة المنشورة وغير المنشورة المتخصصة في تاريخ حضارة تلمسان الزيانية ومنها:

10- كتاب تلمسان في العهد الزياني. ج:1، لعبد العزيز فيلالي.

11- كتاب تاريخ الدولة الزيانية لمختار حساني، وهما حافلان بالإحداث السياسية والثقافية التي كانت في العهد الزياني.

12- كتاب تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي.

- 13- وكتاب التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين 12 و13  
الميلاديين لطاهر بونابي.
- 14- وكتاب أعلام التصوف في الجزائر لعبد المنعم القاسمي الحسني.
- 15- وكتاب تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، لأبي القاسم سعد الله.
- 16- وكتاب الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي لألفريد بل.
- 17- وكتاب الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن  
الخامس الهجري لمحمد بركات البيلي.
- 18- وكتاب الرسالة القشيرية في علم التصوف القاسم عبد الكريم  
القشيري.
- 19- وكتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله  
الأصفهاني.
- 20- وكتاب الإسلام السري في المغرب العربي لإبراهيم القادري  
بوتشيش.
- 21- وكتاب الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب لإبراهيم حركات.
- 22- وكتاب الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء والأولياء الجامع بين  
الشريعة والحقيقة لمحمد إدريس طيب.

23- وكتاب جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية

في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي  
لكمال السيد أبو مصطفى.

24- وكتاب أبو حمو موسى الزياتي، حياته وآثاره لعبد الحميد  
حاجيات.

25- وكتاب الامام بن يوسف السنوسي وعلم التوحيد جمال الدين بوقلي

حسن، وغيرها من المراجع التي ساعدتنا على إنجاز هذه الدراسة.

هذا بالإضافة إلى بعض الرسائل العلمية من بينها:

10- بيوتات العلم بتلمسان من القرن 7/13م إلى القرن

10/16م، لنصر الدين بن داود.

11- العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والممالك عبد الرحمن

بالأعرج

12- عبد الرحمن الأخضرري رائد التصوف السلفي في الجزائر

خلال العهد العثماني (مجلة الآداب والعلوم الإنسانية)

13- الحياة العقلية في بجاية الفلسفة والكلام والتصوف )

(الأصالة) عمار الطالبي.

14- ظهور السلفية في الجزائر ( لة الدراسات المغاربية) المهدي

البوعبدلي.

15- أهم الأحداث الفكرية بتلمسان (مجلة الأصالة) المهدي البوعبدلي.

16- قراءة في العلاقة بين صوفية وفقهاء المغرب الأوسط مابين

القرنين 7 و9 الهجريين/13-15م (مجلة عصور الجديدة) بوداود عبيد.

17- الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السلطة الزيانية

(ق 8-10هـ) \_ (مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية) هادي جلول.

18- التصوف في بلاد المغرب، مشترك موروث بين مختلف

أقطاره، له امتداده على كامل البحيرة المتوسطية. (مقال منشور في

جريدة الشروق التونسية) لطفى عيسى.

\* المعاجم والقواميس والموسوعات:

وهي متعددة وقد استفدنا منها في تعريف الكثير من الأعلام وتحديد العديد من الأماكن

والبلدان وشرح الغامض من المصطلحات.

كما تمت الاستعانة ببعض المراجع الأجنبية نذكر منها:

5- Georges Marcais, Tlemcen vielle et Dhistoire.

6- Brunschvig(R), Berberie orientale sous les Hafside.

- 7- Marcel Bodin, « Note sur Sidi M'hammed Ben- Chaa: Patron des Beni- Zeroual d'Algérie », in société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran.
- 8- Dhina (A) : Le royaume abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1<sup>er</sup> et d'Abou Tachfin1<sup>er</sup> .
- 9- Dhina (A) : les Etats de l'occident Musulmans au 13,14 et 15<sup>ème</sup> siècle.

وقد حاولنا قدر الإمكان الإفادة من المصادر والمراجع التي استخدمناها في هذه الدراسة لتحديد طبيعة العلاقات التي كانت بين الفقهاء والمتصوفة واستخلاص ما نتج عنها من نتائج إجتماعية حسب ما توفر عندنا من مادة علمية.

أما صعوبات البحث فقد صادفنا البعض منها، فحاولنا تجاوزها حتى تخرج هذه الدراسة بصورتها الحالية، وأهم هذه الصعوبات:

صعوبة التمييز بين شخصية الفقيه من شخصية الصوفي في تلك الفترة التي كان أغلب الفقهاء فيها من المتصوفة، فكثيرا ما كانت المصادر التي تترجم لأحد الأعلام على أنه من الفقهاء تصفه بعبارات تدل على أنه من أهل التصوف، منها عبارات: الزاهد الورع؛ من كبار الزهاد؛ كان من الصلحاء... وغيرها مما صعب علينا التمييز بين الفقيه والمتصوف، وبما أن الموضوع قد تناول العديد من الأعلام والأماكن فقد تحتم علينا تعريف الكثير منهم وهو أمر يعرف صعوبته كل باحث حيث فرض علينا ذلك اللجوء إلى



الكثير من المصادر الجغرافية وقواميس الأعلام للقيام بذلك، كما أن العثور على مادة علمية تغطي متطلبات الفصل الأخير والمتعلق بالنتائج الاجتماعية لعلاقة الفئتين ببعضهما كان أكبر عائق أمامنا، لكن عزيمة على إتمام ما بدأناه كانت أقوى.

ويمكن أن نجمل أهم النتائج المتوصل إليها في نهاية هذه الدراسة في النقاط التالية:

- تعرض المذهب المالكي وفقهائه، قبيل العهد الزياني إلى معارضة شديدة من طرف خلفاء الدولة الموحدية، الذين سعوا جاهدين إلى محو المذهب المالكي واستبداله بالمذهب الظاهري.

- عودة العمل بالمذهب المالكي العهد الزياني وكثرة المشتغلين به، بسبب عناية سلاطين الدولة الزيانية بفقهاء المالكية.

وجود تيار آخر هو تيار التصوف الذي عرفه المغرب الأوسط حيث تسرب إليه عن طريق بعض المصنفات التي وصلته من المشرق والتي وجدت عناية من طرف العديد من العلماء والطلبة الذين تأثروا بأفكارها، مما أدى إلى بروز شخصيات اشتهرت في المغرب الأوسط بالتصوف وساهمت في تنشيط الحركة الفكرية من خلال المصنفات التي ألقت في هذا الموضوع.

- وجود تباين بين الفقهاء بعضهم وبعض تراوحت بين الود والاختلاف، فتمثلت علاقة الود في المجال الثقافي كالاقراراف بالتفوق في مراتب العلم، وكذلك فيما كان يجمعهم من مناظرات في

المجالس العلمية في عديد القضايا الفقهية والتي كانت تعقد برعاية السلاطين، كما جمعتهم علاقات اجتماعية مميزة تمثلت في الود والمحبة والعطف على بعضهم والصحبة والمصاهرة.

- أما علاقة ائتلافهم مع بعضهم فقد تمثلت الذم والتحاسد والتباغض، والردود المخالفة في ظل الصراع الفكري الذي عرفه المغرب الأوسط خلال تلك الفترة.

- وجود علاقة المتصوفة بالفقهاء فتمثلت في تواصلهم في الجانب الثقافي كالإجازات التي كان يمنحها بعضهم لبعض، والتلمذ عند بعضهم البعض وانتصابهم للتدريس في كلا المجالين الفقهي والصوفي، وتعمقهما في مختلف العلوم، الأمر الذي حال دون وقوع خلافات بينهما، كما جمعت بينهم مراسلات لأخذ آراء بعضهم وتبادل المعلومات وغيرها، ونجد تلك العلاقات الاجتماعية التي ربطت الفقهاء بالمتصوفة كالشفاعة لبعضهم عند السلطان، وتقديم وتوقيع بعضهم لبعض أمام الناس.

- أما مظاهر الاختلاف والنفور بينهما فقد تمثلت في الفتاوى والردود المعارضة لها، وقيام كلا الفريقين بالدفاع عن آرائهم من خلال بعض الكتب والرسائل التي ألفت في تلك الفترة. ومن مظاهر الاختلاف

التي برزت أيضا إنكار الفقهاء للكثير من الممارسات الصوفية كالتبرك بأضرحة الصالحين، والدعاء عندها بنية الاستجابة، وإقامة بعض الطقوس المعروفة لديهم كالحضرة التي يصاحبها الرقص والتصفيق، وأعمال الدروشة والشعوذة والدجل.

وقد نتج عن هذه العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة آثار اجتماعية يمكن تقسيمها إلى قسمين:

### إيجابية:

- حيث نتج عن تقاربهما تماسك وحدة المجتمع عندما كان التصوف مقتصرًا على النخبة، ويتصف أصحابه بالثقافة العالية والتعمق في علوم الدين، ومساهمة المتصوفة في حل العديد من مشاكل المجتمع كمساهمتهم في علاج المرضى وذوى العاهات علاجًا روحانيًا تمثل في تلاوة الآيات القرآنية وبعض الأدعية، ورد المظالم إلى أهلها وكف العدوان من خلال تدخل شخصية الولي لردع اللصوص والظلمة.

- زوايا المتصوفة بدور اجتماعي فعال حيث كانت تعد دُورًا لعابري السبيل والذين لا يجدون مكانًا يأوون إليه وتقديم الطعام لهم، كما كانت تقوم بجمع التبرعات في أوقات الأزمات

والشدة وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين، وساعدت تلك الزوايا  
اتساع شبكة العمران حيث كانت تقام بجانب زوايا الأولياء تجمعات  
سكانية تتوسع شيئا فشيئا لتصبح دشرة أو قرية تأخذ اسم ذلك الولي.

### السلبية:

- خروج التصوف عن المبادئ التي رسمها الأولون، وذلك من خلال قيام المتصوفة ببعض الممارسات والطقوس الخارجة عن إطار الدين، منها غلبة الفكر الكرامي على ذهنية المجتمع وتقديسه لشخصية الولي تقديسا يرفعه لرتبة الأنبياء، وما يرافق ذلك عادة من أمور الدجل والشعوذة والخرافة، وهي أمور أنكرها الفقهاء وأتباعهم، مما أدى إلى انقسام المجتمع الزياني بسببها بين أنصار الفقهاء وأنصار التصوف الطرقي.
- غلبة الطابع الصوفي على الحياة الاجتماعية، نظرا لانتشار الطرق الصوفية وكثرة مدعي الولاية وأصحاب الكرامات، مما أدى إلى ازدياد عدد المنخرطين في تيار الطرق الصوفية، وإقبال الناس على التسليم بكل كرامة وخارق للعادة وشيوع مظاهر الانحطاط الفكري كالدروشة والدجل.

ملخص :

تتناول هذه الدراسة علاقة الفقهاء بالمتصوفة في المغرب الأوسط ق8-10 / 14-16م. حيث تحاول إبراز مظاهر التوافق والود الائتلاف من جهة، ومظاهر التنافر والقطيعة والاختلاف من جهة أخرى، بين هاتين الفئتين، وانعكاسات ذلك على الصعيد الاجتماعي؛ وهي في خلال ذلك تتعرض لأبرز أعلام الفقه والتصوف وأهم إنتاجهم الفكري، في محاولة لإعطاء صورة تقريبية لما كانت عليه أوضاع النخبة العالمية.

الكلمات المفتاحية: العلاقة؛ التصوف؛ الفقه؛ المغرب الأوسط؛ المجتمع.

**Sommaire :**

*Cette étude traite de la relation des juristes avec les soufis au Maghreb moyen, 8-10 AH / 14-16 CE. Où il tente de mettre en évidence les manifestations de consensus et d'amitié entre la coalition d'une part, et les manifestations de dissonance, d'éloignement et de différence d'autre part, entre ces deux groupes, et leurs implications sur le plan social. En attendant, il est exposé aux figures les plus importantes de la jurisprudence et du mysticisme et à leur production intellectuelle la plus importante, dans une tentative de donner une image approximative de ce qu'étaient les conditions de l'élite savante.*

**Mots-clés:** relation; Mysticisme; Jurisprudence; Maghreb moyen; la société.

**Summary :**



---

*This study deals with the relationship of the jurists with the Sufis in the Middle Maghreb, 8-10 AH / 14-16 CE. Where it tries to highlight the manifestations of consensus and friendship between the coalition on the one hand, and the manifestations of dissonance, estrangement and difference on the other hand, between these two groups, and their implications on the social level. In the meantime, it is exposed to the most prominent figures of jurisprudence and mysticism and their most important intellectual production, in an attempt to give an approximate picture of what the conditions of the scholarly elite were.*

**Keywords:** *relationship; Mysticism; Jurisprudence; Middle Maghreb; the society.*